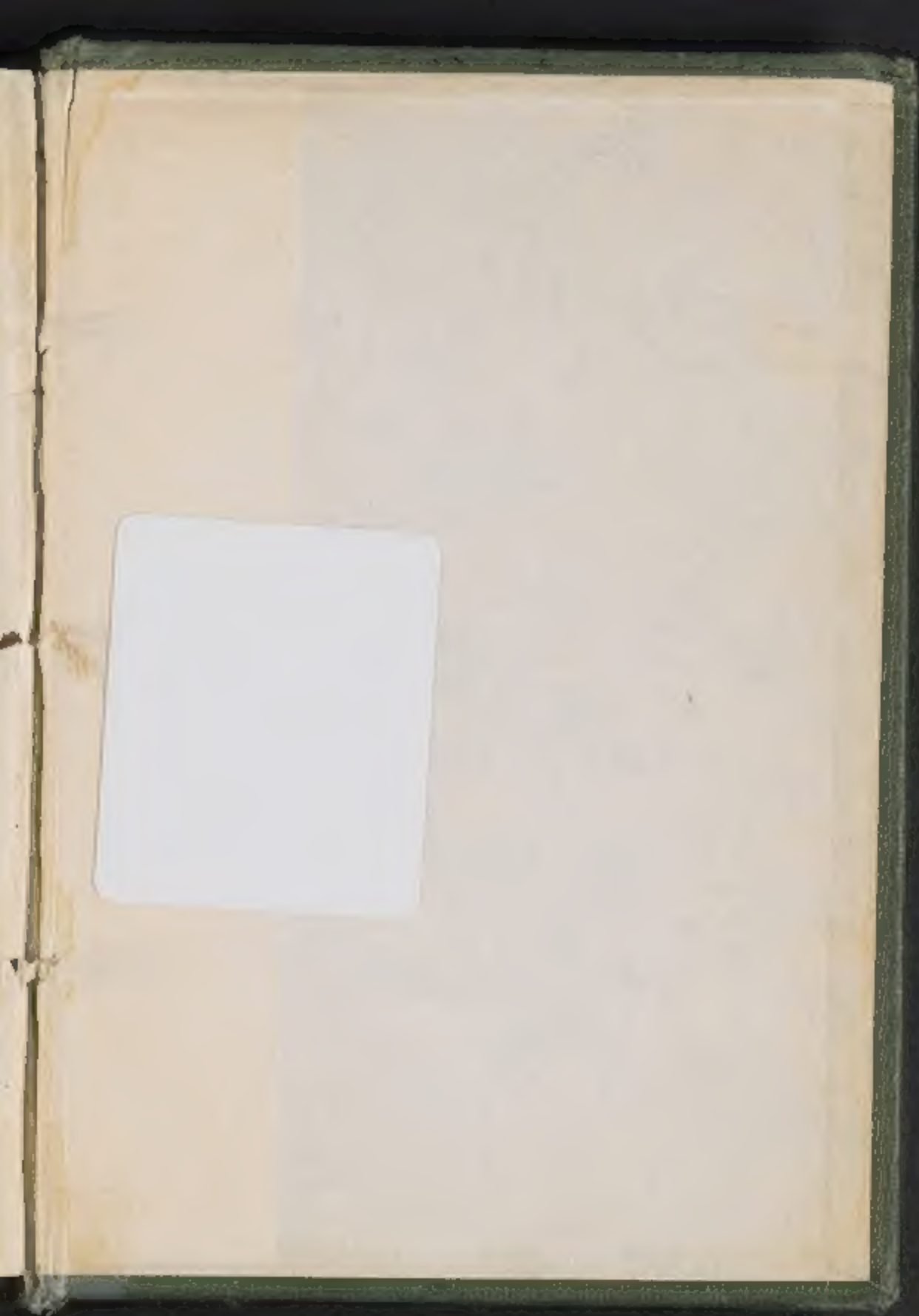


AMERICAN LIBRY IN CAIRO LIBRARY  
3 8534 01047 8398

DN  
12  
17



4

~~1922~~

DT

124

H3

192

02-B6068

10-12-02

10-12-02



سنة ١٩٥٧

عشرة ايام

# في السوكرات

بقلم حضرة الكاتب الكبير

الدكتور  
محمد خير هنكل

رئيس تحرير جريدة السياسة

عني بنشره

الياسر انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

بالفجالة، شارع الخليج الناصري رقم ٦

(مندوق البريد رقم ٩٥٤ - مصر)

DT

124

H3

1927

916.24  
H125C

OCLC  
318940872

B1278265/  
14301830

917, 14

ع. ٢٥

7516

---

حقوق إعادة الطبع محفوظة  
لناشر الكتاب

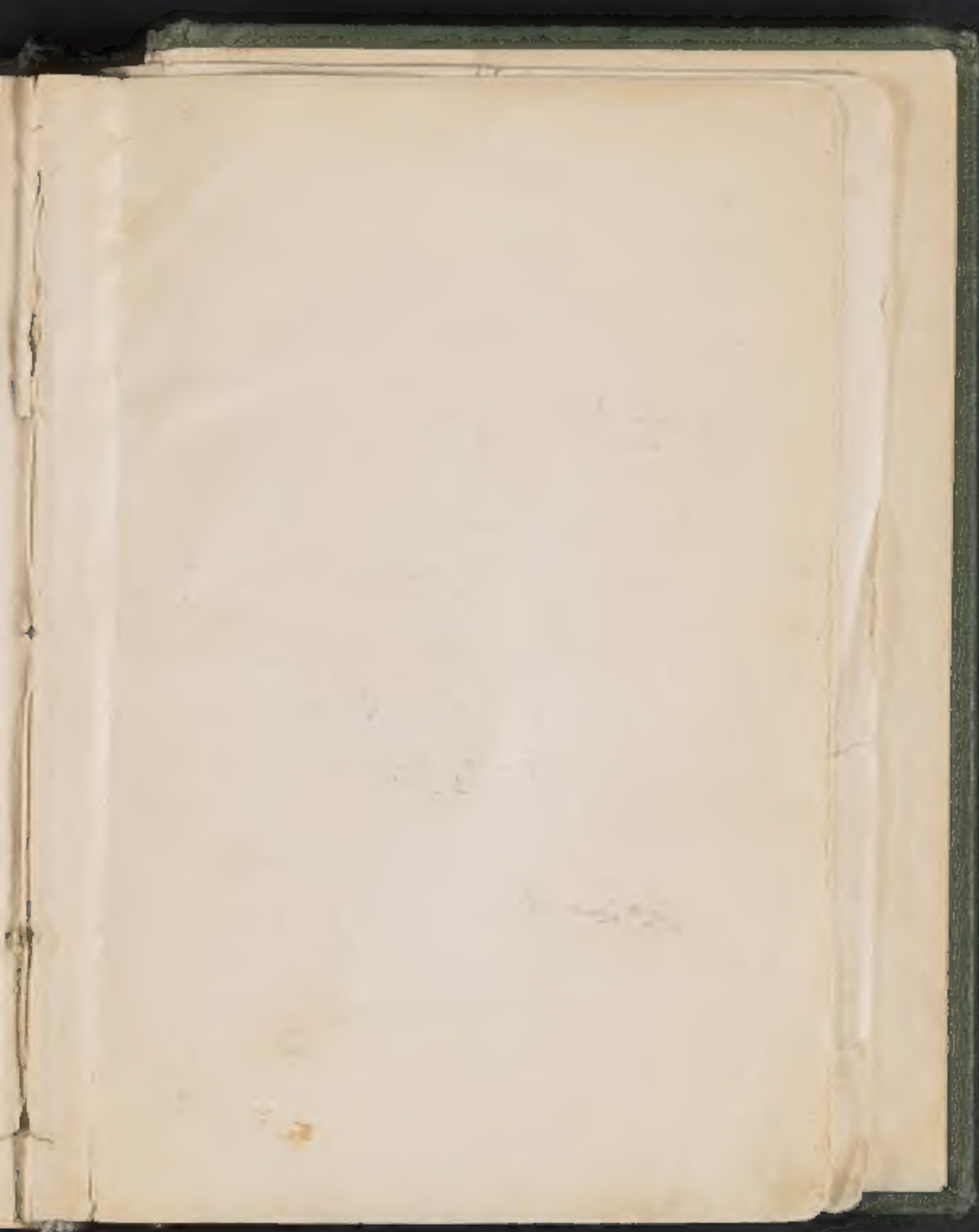
---

أهداء الكتاب

إلى أهالي السودان

شكر وتحيةة

محمد حسين هيكل





السودان . ولعل أكبر السبب في هذا راجع إلى أن لدى المصريين فكرة تكاد تكون صحيحة عن سوريا وأحوالها وما يدور فيها ، وإلى أن السوريين أنفسهم يكتبون عن بلادهم وعن أحوالها ما يزيد في الدقة على كل ما يمكن أن يكتبه سائح قضى مدة قصيرة في ربوعهم . ثم لعل ثمت سبباً آخر . ذلك أن بين مصر والسودان رابطة طبيعية هي النيل أبو النعمة ومانح الحياة للبلاد المحيطة بواديه الضيق الحصب المتصل أوله بآخره بآثار التاريخ الخالدة على التاريخ . هذه الرابطة الطبيعية المتصلة بها حياة المقيمين على ضفاف النهر السعيد تجعل بين ابنائه من رابطة الأخوة ما إن عقوه يوماً فلن يزال رابطة تربطهم ويجب أن تنتهي إلى خير ما تنتهي إليه مودة ذوى القربى .

ثم إن السودان على متاخته لمصر وعلى امتلاء قلوب المصريين باسمه وبذكره بعيد عن أن تكون منه في أذهانهم صورة مضبوطة . فمنهم من يخاله بلاداً جرداء لا تصلح لمقام ولا يمكن أن تكون إلا منفى لمن غضب عليه الأمر في أرض مصر . ومنهم من يتوهمه مقام همج لا أمل فيه لزواج زراعة أو صناعة أو تجارة . وكثيراً ما روى عنه الراوون أن أهل أشد الناس عداوة للسعي والعمل ، وأنهم لا يريدون من الحياة إلا بلقة تقيم الحياة ، فليس بهم إلى مياه النيل من حاجة ، وليس إلى المقام بينهم باسم المدنية أو التعبير سبيل ، هذه الأفكار وما إليها من مثليات تروج في مصر ، ومنها كثير فاسد أشد

الفساد وضار بالمصريين أنفسهم ابلغ الضرر . فليس بد إذن من أن يكون المصريون لأنفسهم عن هذه البلاد صورة صحيحة بعيدة قدر المستطاع عن أن تلونها شهوات الساسة بالوان خداعة تنفر أو تستهوى . وهذا ما حدا بي الى وضع مشاهداتي أمام نظر القراء لعلمهم بمجدون فيها ما يمكنهم من تكوين هذه الصورة الصحيحة .

ثم إن مسألة مياه النيل واولوية مصر التاريخية في الانتفاع بها ، وامكان توزيعها لتكفي مصر والسودان جميعاً إمكاناً فنياً ، وما قد يقوم في وجه ذلك من عقبات سياسية ، وما تنجي هذه العقبات السياسية على حسن فهم المصريين والسودانيين بعضهم لبعض ، وعلى إحتفاظ كل منهم إزاء أخيه بمواطنف الاخلاص والمودة - كل ذلك جعلني أوجه حفاً كبيراً من همي ومن عنايتي الى هذه المسألة الخطيرة التي لم تنج في مصر كما لم تنج في السودان من شوائب الشهوات السياسية ، والتي كانت وما تزال سبباً لنشر الدعوة التي تثير بين المصريين والسودانيين العداوة والبغضاء .

وسبب آخر يدعوني لوضع هذه الرسالة . ذلك انني بين من دعاهم حكومة السودان لشهود حفلة افتتاح خزان سنار كنت الكاتب المصري الوحيد الذي قد يعني بدراسة الحال هناك ويذكر آراء مستقلة تمام الاستقلال عن أن تشوبها شوائب الهوى والغرض . فان المصريين الذين دعوا لهذه الحفلة كانوا أربعة . اسماعيل

سري باسم وزير الاشغال وعبد محمد حسين مدير السكك الحديدية المصرية. وهذا دعيا من هم من رأي سبق في مشروعات النيل وعلاقة حاضرة مصر مع ندي دعي ناس لحضور حفه افتتاحه. وقيل انهم دعيا صفتهم نعلبه. وهم قد ذهبا من قبل الى السودان مرت ولما في امره اكثر من مائة مائة له وبن وقيمة. لكن مراكرهما ارسية حات وتحول دون شرتي. من هذه الآراء بل دون نشر ملاحظات من في نوع كان عن سودان. وهم بعد لم يتخذوا من اكتابة والادب وسيلة لايدف الزني عدم على ما يريدان ان ينف الزني لعمه نبيه. ولا يريد شعا اليوم ان تكون اكتابة مهتها. اما مدروب متظلم يدي دعي هو لآخر اشهود لخدمه فقد قدم بالسودان من قبل سبعة عشر سنة وله بأمره المام غير قليل وكان له فيه تاريخ مند دخل فيه وخرج منه ولم يكتب عن سودان شئ.

فكل زما بعد ذلك كه ان اخضع لما بينت من الاسباب التي دفعني لكتابة هذه رسالة.

\*\*\*

وما كان شردي بهذه صفة يجعل ممكنا تسرب لخطا الى ملاحظاتي وفكري. ومن الذين دعوا من اكتاب مصريين. صحفيين وغير صحفيين، كانوا اكثر عددا كانت ملاحظاتهم لا ريب

أكثر وذوق . ومن هذه ملاحظة أنه ، مسيو السديري الذي  
قدم بحسب كبير من مشروعات نري على ليل ، سم ، في حران  
اسوان ، وفيما نقيم في اليوم عند جبل الاوي ، وفي حران سار نفسه ،  
والذي دعي هذه لفظة حضور هذه فتح هذه حران الأخير .  
قد تحدثت به ونحن في طريق مدين حلف وخرطوم فدهش حين  
علم أي مثل لصحب المصرية العربية كلها . وكان مرجع دهشته  
أن حكومة السودان كالحكومة المصرية يعنيها أن يقف الناس على  
حقيقة مشروعات السودان من أثر على ثروة مصر وعلى ثروة  
السودان جميعاً . ولا يكون ذلك كما تدعيه أي الحكومتين من شررات  
يسهل لمن خصوم حكومتين غيبها وتقدمه بها قد لا يتفق  
مع الواقع في شيء . وقد سهل تفسيده من رأى السودان نفسه . وقد  
يقف من على حقيقة ما يشهده الناس يرون هذه المشروعات رتي  
المعنى وتتح لهم فرصة سؤال ذوي شأن ومن دشروا العمل عن  
أثر هذه مشروعات وما يمكن أن يحجم عنها من ضرر لمصر وعن  
وسائل تدف هذا الضرر .

وكما نعد من يرون هذه مشروعات ويرون السودان كله  
ويبدون رأيهم فيه وقع تحت نظرهم سنطاع الجمهور أن يقف على  
الحقيقة بعيدة عن كل تزيب وتزييف .

على أن مردي بهذه الصفة حملي أشعر شغل حمل الواحد  
استقي على عتي . فسميت بكل ما يدي من جهد لأرى ولأسمع  
ولأحقق ولأصل إلى فكرة التي قسعت بصحتها في كل مسألة تعرض  
لها . ولذلك لم تقف من ملاحظاتي عندما جمعت في عشرة الأيام التي  
قمت باسم دان . بل جاهدت لأخلص هذه ملاحظات مناقشة من  
ذهبوا إلى السودان ومن قدموا فيه من مصريين ومن غير مصريين .  
وكل عايتي من هذا تمحيص أن يكون القيل لذي اعرضه في هذه  
لرسالة ثم بطر القمر ، قرب ما يكون نام وقع وللحققة .

ويجب أن نسه اندري . إلى أن توحيت عية الصراحة فيما  
سيقر . لم راع ما قد يرعه مشغل سياسة مثلي من المحملات ولم  
اسم لتقيق حسن وجمعة ولا تقيد برئي سياسي أو غير سياسي .  
وهذا سمكت هذه اسيل لا اعتادي الشاء من مؤامرة كثيراً ما ينشأ  
عنه خطأ . وإذا خطأ اسس في تصور شيء لا وسيله عدمه إلى  
تحقيق رأيهم فيه بعده عنهم بعد السودان عن مصر كان عسيراً  
بعد ذلك أن يتغير رأيهم ثم كانت الخطه التي يسبرون عيها منرتبة  
على هذا الخط دعية التورط في صلال لا يشأ عنه الافاد في  
السياسة واضطرب في النظام .

وقد رثيت أن تضع فيه بعض الخراط ورسوم واصور لأن  
كثيراً من المواقع التي ورد ذكرها في رسالة نيس من ينقاه اتلامبذ



وطالب ولا يترصد على خريطة استدوتة، كما أن لصور قد تفسر  
ما لا نستطيع كتابة تفسره .

وكل من رجع لموقعه ليد أن توقف قراء عمدة وبي وضي  
المصريين حصه على نبي من صورة هذا السود الذي يشارك في  
الأمس ولا ياتي لأنه ويدا يعيش على صفاق المهر العظيم نحس ،  
ون أوسيع نمورا است عيها الأهل ، وان أذل قومي على منزله  
من السود ومدره السود منهم ، وما يحب أن يكون بين مصريين  
وسودين من صلة وعلاقة . فان وقت الى ما ليه قصدت فذلك  
خير ما احي . وبن حظي لتوفيق قد قمت محبود شعرت واحدا  
على أن نفهمه . وفي اداء واحب لذاته عطلة نفس كبيرة .



## - من مصر الى الخرطوم -

يعرف كثير من طريق من القاهرة الى لاقصر . هي  
كل سكك حديد حكومة المصرية<sup>(١)</sup> . وقد قطعها ليلاً ثم  
اتت الى خط ما بين لاقصر وسال . وما يزال هذا الخط ضيقاً  
وعرضه على صورة سبيل صورة عربات سكة حديد الحكومة  
لمصرية . وفيه من أوجه شبه عربات سكة حديد مدينة  
عربات مدرجة واحدة لا تشبه . فمما حدث في نظام نظام  
العربات المعدنية في سكة حديد الحكومة ان لا تحرى فيها كبسات  
طولية وى جنب الكنت كرسى من اعش . وبين مصر هذه  
الكرسى والبعض الآخر من معدن تحت للكتابة أو لعب اوراق  
والأول طعمه عيب . وحسب استعمال لهذه العربة الأخيرة كثير  
من استعمال لأية عربة أخرى . فكثر ما يرين بين لاقصر وسال  
يأخذون طعمه معب وى كل يعطى عربة كل تعة المشتركة  
لموية فيها مثل طعمه سائر عربات المشتركة

وعلى الخط ما بين لاقصر وسال من خطوط سكة حديد  
حكومة . وفساده لا ينف عند سوء عرته . بل هو يسير حول

(١) تخدم بحرى ما بين مصر و لاقصر وصدا في كتاب ( في وادى العراق )

المسافر سبه من بعد ما لا مثيل له في أي خط آخر ، ولا في خط :  
مصر المنصورة عن طريق السويس . وهو لمك غير محتمل في الصيف  
بحال . روى له أحد المدين كانوا على اتصال من يعملون في بناء  
حراس اسوار ان بعض المفرين في عربات المدرجة الثالثة على هذا  
الخط ، انهم يطيئوا الحر والبرد معاً وحتقوا وماتوا

وقد فكرت مرة سكة الحديد في مد الخط الواسع من الأقصر  
الى اثار . فعلمه بعد مراع منه وافتحه في أوائل عام ١٩٢٧ يتقد  
أرواح أولئك المفرين بالمدرجة الثالثة من الهلاك ويجعل المفرين  
في المدرجين الأولى والثانية أكثر راحة وطمينة

\*\*\*

قدم لقطار مدي قدام من الأقصر في الساعة التاسعة والتدقيقة  
الخامسة والأربعين من صباح الأربعاء ١٣ يبر سنة ١٩٢٦ . ولم يكن  
من المصريين المفرين فيه قاصدين السودان غير عدد قليل من  
موظفي حكومة السودان . أما المدين ذهبوا لحضور حفلة افتتاح خزان  
مكوار فكوا حضرة صاحب السعادة عبد الحميد باشا سليمان ومندوب  
المفظم وثا بالنبية عن لصحافة المصرية العربية . ولم ينب أحد عن  
الصحف التي تصدر في مصر باللغة العربية . أما الصحف التي  
تصدر باللغة الانكليزية فثاب عنها مندوب عن الاحشيش غارت  
وأخر عن الاحشيش ميل . وكان مع من الانكليز كذلك مراسل

لتيتمس ومددوب عن الافريكان وورلد كلف تأخذ اصور ومعه بعض  
مساعديه . وسبق مراسل روتر بالاسكدرية نائبا عن صحف لندن .  
أما غير الصحفيين من الانكليز فكثير ، سافر بعضهم مع زوجاتهم  
وسافر الآخرون وحدهم . ولم يسافر من حسيات غير الجنسية  
الانكليزية — من غير الموظفين بحكومة اسود — إلا ثلاثة  
أنحاص لهم علاقة ببناء حرن مكوار



يقع الطريق بين الاقصر واسوان في مضيق بين سلسلي تلال  
ليبيا والعرب . ويسير القطار شرق ايل في سفح سلسلة تلال العرب .  
وتفصله عن سلسلة ليبيا في بعض الأماكن مزارع ضئيلة تنسج أو  
تصيق على ما تريد التلال المحيطة بها . ويبعد ايل عن القطار  
أحيانا فيجمل المزارع بينهما . وكل أن ترى المزارع بين القطار وتلال  
العرب . ويصل الضيق بالمزارع في بعض المواقع حتى تشعر بالسلسلتين  
في اقترابهما وليس بين احدهما وبين اهر إلا دهليز ضيق مخضر  
بالعلائ ترات ، أجرد لا روع فيه أخرى . فإذا كانت اسأ رأيت  
نشاطا غير الذي رأيت ، وأحاط بالقطار من الاهلي باعة السلال  
المصنوعة من الخوص وطفل يتحرون فكهة البرتقال واليوسف  
افدي .

فإذا بلغت كوم امبو رأيت حصا وغدا لم يكن لك منذ الاقصر

بهم عهد . وقد يدعشت كبر مدته كيف تترك آلاف الأقدمة  
مما يجتهد ، ميل إلى خصص حرد . لا ربح فيها ولا نفع ، إذ يمكن أن  
تنتج هذه الأرضي مثل ما تنتج أرضي صكون امور . ولا لا تعي  
الحكومة المصرية تسخير الاهل على استعمال هذه الأراضي بدل  
تركها عمرة برضى ثقيفون عليها . يسعون به من شعير وميرد ايهم  
من دوسهم ثقتين والحكمة في المدن من ررق

يعود لأرض عمرة بعد كونه مزارع اسور . وقد سمع قطار  
عذره كثير من لأحب الذين قصدوا الى هذه الماشي المديع ، وهم  
بين سبيح حار ، يرحو في شعة شمس المحسنة بعض معاني الصبا  
والشباب ، وشباب نشي في مراكب الأرض يسعي الصحة ، وحسنا  
تصحب هذا السبيح ودمت حيل يعرفه حسن ورقتها عن مشبه  
أو غله ، وتأتي هي في داء الواجب لهذا العزيز شفة لسقاء سبت من  
رصد النفس يعومهم عن المدن وبهجتها ، وترى في هذه الشمس  
الساطعة وطبيعة غريبة تعير ما يسبها تقلب القلوب وأكاذيب  
لأنس وضاعت نفوس تي طالما خدعتها باللفظ المعسول . وإلى  
جانب هؤلاء عذرين من مدن ومرفأها وآلامها وألومها قوم اتعت  
ثروتهم عن أن يؤدي ركن ضيق من لأرض طلبات أهوائهم  
وشهواتهم فعمو من سباحة واتحور وسببه تريض النفس وعزاء  
من هموم لاقمة



ثم يتطعمه بقطر من لبن سوس وتسال يسلمه في منتصف  
الليلة الخامسة من شهر. وهو في هذا سبيل يعود ذرجه ممناً  
ثم يصدق في السائل بعد صحوره وصحوه من حجر ومن الحريست  
نحت منه مسالك لمرعة لأقدمين وتديه وقمت منه معايدهم  
وآلهم، وهو من آل في يده محب منه حائل وتجد منه  
انموذ لولاء أصبح في عرسه ثم من آله

على أن هذه لأحذر في سبب مصر محمد كما تشبه لها  
أيوه هم سبب ليكون من محمد سبب حب وبيل محمد على  
الرمس من حديث حب من سنة ودية

بين هذه صحور مصر الخارت بر سنة كل فيه فيه تن  
عادرته فيل وصوب، وعبره قصدة في حد في سوس مسدود  
بريقه سمي لذي يقوم منه حكومة لمر سنة في حنة فتتح  
خراب مسر

وبين هذه صحور تحت حكومة مصرية عن حد مكن  
لاقامة معسكر لحدود مصرية عدل جات من سودن، فهل  
يكن أن يكون حد معسكر ومشة نقص بين مصر وسودن  
يعسكر فيه جيش واحد من سدرس ومنق من في مصر و  
اسودن على ما رى حكومة لاندس لعل ذلك يكون قريباً.

ويبدأ من مطار بئر هيا بجبلة سيل وقد اتبع مداه بعد ما  
 حفر حرس سول ميهه . ويصل كذلك بضع دقائق يستريح بها  
 في محطة سلال حيث تنظره احره « رطاي » التي تعدت  
 من ومن مسافرين معديين عند انظر صورتها في الصفحة مقابلة )



- حرة - رطاي - حرة بية بقاء طريفة في مظهره ومحورها .  
 وهي من وحر حكومة السودان . وكل لسو حراتي نقل اركاب بين  
 اسول وحده عند وحر كوك و بعض اشركات لأكبرية الأخرى  
 ناهة حكومه سود . ولدت كات حكومة السودان هي التي  
 تنقضي احوار ركاب وقوم شس يريدون تصنيع وكات لطواع لتي  
 تنبع على وحرهم من طوع حكومة السودان . بل من اسول  
 وحده بعض اشركو دي اسول و . د و حمد و بوسل . وحكومة  
 اسودن هي التي تنقضي رسوم لدخول الى هذه الآثار . هذا كله  
 مع ان من اسول وحده هو مركز امدار أحد مراكز مديرية  
 اسول ودخل في الحدود المصرية . ومن من المدة التي تقاطعها  
 وواحر حكومة السودان ، لا تضع كيلو مترات لا تزيد على العشرين  
 وقعة بحري حده هي معتبرة عند حكومة السودان نفسها داخل  
 حكومه سود .

وهو أشبه سربو وحر حكومة السودان في ميد مركز الدر بئر

تصویر از کتیبه



سكة حديد فلسطين في تسعة حريزة سبب . والسودان ك فلسطين  
وقع تحت سيطرة تحت حكم الاسكندري . وسياسة الاسكندرية  
تري - وقد يهاكم هذا الحق في رأيهم هذا . كل أرض لهم  
صاحب أو طور عدم حرية . ويرى عبد الحكيم أن يتواء على  
استغلال من طرف وسائل هذا الاستغلال . وسكة حديد فلسطين  
تسبب سبب حريزة سبب . ويرى حركته حكومة السودان تستغل مركز  
من فتنع سبب فلسطين وتوقع أن السودان وتنفذ حدود مصر  
عند هذه سبب من فترة وسبب سبب سبب . ومن يدي  
د كات سياسة برية لا ترمي في هذه هيئة

على أن لا حيد من سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
من أن سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
تسبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
د سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
لأفصر وسبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
وسبب سبب من دة سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
اليو ح سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
اعية سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
اقتصادياً لأحد ومصر من خبر سبب سبب سبب سبب سبب  
من لا يري إلا وقت حصر . مركز فلسطينية مقتر . تتحدو

حس السنتين عدة في شهر مباشرة . ومن وراء الحبل صحاري  
غير ذات ريح . سكن مركزه ندر هو حرس اسوس . وهو فوق  
هذا حصن يدعى بفصل بين ما يقع عليه وما يقع جنوبه . وهو بذلك  
من حرم مركز مصر ويحيط به كوكب من غيرة حبيب . ويحيط به  
أن من غير مستحيل سعة على صورة تحمل الحياة فيه كثير  
وعند وبعده

وهو بعد مني لا مثيل له . وأن كما تحدثت في الحياة  
الحيوية منه وحدثت حوض من وادي شمس فيه . وحدثت سمه  
صهواً تمنع الحومها مني في بيوت التي لا أثر لهم حتي لتعجبها  
مصبح سكر سكت في سماء الحوض من نور الأمل سحر .  
وهي سايده هريق تعث في صفة بين عيوس . ويريل غيوسها  
ويجعل سكينهم مالا فائدة تحدث بين سحر الجمع تعاني ضرب  
واحد . ثم حلت في محيطه سحر فهي وركا كات حلت فرها  
حرد . إلا في نجرده . مية ندر . وكانها تيه . ورده من  
محدثت نامي الجيد . آثار البرعة رد قدمه وحس صمته معي  
محدثات من ايوه . كل حصة معصور قديمة من آثار في  
المن تخر مده . آثار الحصرة الحصرة ساحة . وسبق من آثار  
اروما من سحر اودي في سبق من آثارهم إلا تقي لا سطق معي  
ولا تم إلا عن عذر عادي وعن سطره لايم



وقد دهشت فيه عدد لآثر بحيدة من محلات ماضي وراء  
 حبل مركر من غير تقين ست. السكر دهشت تروا إذا  
 دكرت له كل كثر ست وب. قل ن نمر ميه سيل دعه  
 بعد ما فم حرس سور فيه. ودد دكرت في حاب هد نكل  
 وب بر حصا هو يدرع به موك دعو لأيد د عر عيهم  
 معتر وثر به نثر. حبل مركر ندر تحك في خوف حرك تحك.  
 تحك في حرك وفي سهل وفي شجره. ثم هي بعد حبل من صحر  
 صيد لا يرتفع. ولا سلة ولا سليل من سره من حاله فلا خوف  
 من ن يعتد بهر على آثار ندها نهي حيد خلل وقت. لا يلي.  
 عرج حركه عند سير واحد من عدد لآثر حمة.  
 عرج عدد وندي سبع وواد وبو سبل وعبرها. وهي جميعاً  
 مدع من عدد من ندها على ندها في لقطمة وثقة وفي  
 دلالة على الحيد وسطوة. وبو سبل هو بين ندر مركر الندر  
 كنزه عظمة وقوة ومحد وسطوة. وهي نهد نومه رمسيس  
 يكون وحدة من آت حيد. وكل رسو اسمية عند بو سبل  
 في منتصف بين نهدت له سلا انكبر. يرى اسانح ابن يوم  
 نقوش حدد لاسية خدين على صيم الامع. فعد ابو سبل  
 يحكي مكسول ستره عن اعيون لاختمة من نهر في ماض يوم السنة.  
 نهد حطة منبرق نهد عند سوء نصور. في هته اللحظة

تمتد شعة اله ضبة ومصريين فتحي . حصة روج متصرة على  
جيوش السلام . مثل رميس خد حس على سرشه متصر على  
جيوش الحية والمدر . فم في سوي هذه بحمة فيحتفي . يطوي  
عليه المعبد وحدرانه في حجب عيب وحالاه . و هيئ لخال عيب  
من حجاب . وكذبت طل هذا لآثر حتى مدت لأيدي الآنة اسم  
العلم تكلف عيب عن هذا لخال عيب . لمصاح والسكر . على  
انها حين كسبت عنه لما تكف ثم عظمته وقوته واهم سطانه  
وسطوته قل سحر وسهر .

وهو لخال مقوي في حجب عيب تحيد حدران معبد ابي  
سبل وقد وقف له قنيل أربعة مئذنت عظيم كفا المودة والحدال .

٥٥٥

ما ودي لسوح - وهم قرب آثار مكر مدر الى سوان -  
فيقوه فوق هضبة سير عبدة عن نهر . يتحلق مد حل ايه دهيرا  
يحيط به . هول هي لسوح في صق اسمها على اودي عند هل  
هذه منطقة من اسدج تدعين سعادة الطبيعة ساذجة . وقامت  
داخل المعبد وفي ساحته تائيل دكت من عصب رؤوس وتخطمت  
من البعض سيف . وتلي دكت حجر تحجوة بطلاسم مقدسة وقد  
رسم على حدرنها من آت دكت رومن تقرب والجعر . وشعبان  
وما اليها من دكة ثلاث لعصر الحيدة



Fig. 3302

ثم ما سوى هذين من الآبار فوق منها خللا وعظمة . على  
 أنها تدرك آثار عصور بعيدة . تحدث حجارة وتحدث ارمال  
 المحيط بها . كان لأهل هيت لأرمن سانية من حصرة ومجد ،  
 ويدعش وات بين ثلث مائة سنة وسط الصحراء لعمره الجرداء  
 عامر نفس معن قل س تدوم محضرك حين تشهد آثار هذا  
 زمن حاضر ممثلي . بحدثة وعامة وقاسمة حرة .

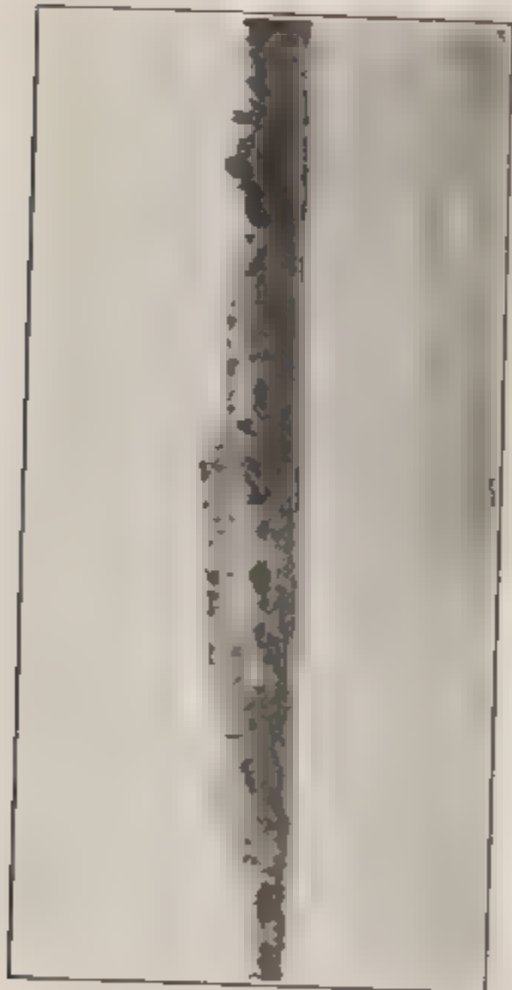
• • •

فوق اسفل سرت بموصل في عهد مشي بديع ، ثم قيم فيه  
 من وسائل الراحة والنعمة . بطمع فيه من رغب في الاستشفاء ومن  
 يعر من قس قس فر السند ، حيث س ، قس فارس لأودت مصر  
 من مركز مد كثير ولأودت أهل عهد مركز من مصحبه شتوي  
 بديع ، بعضهم من وفاة . بعضهم — وعمل قبل مدة وسط —  
 قوى متحة ذات أثر فعلى في حيا مصر مدة

• • •

واست - حرة على هور تدفعا محركتها فوق لحمة النهر  
 لهادي ، صدفي وسات محيط به شوي ، حصرة نارة محدة طورا  
 ويستعمل هور رقيق منع به نة فوه فوق كما متعو بهذا الجو بديع  
 الذي لا يستر له في مشي من متاتي لعامة ، وهذه الجبال الصغيرة

السلام و التحية على من وافق على ما في هذا الكتاب





حرد، ترة وحصر، أخرى ونخطة برمن، سبعة لاصهار حياً  
آخر، ولا، المظنة عيب من نهم الصغيرة ترمق، اليوم ترى  
هل بقي في دوسهم وقوسهم أو فلتتهم أثر من عبادة قدس  
الدهى الحيد فتري في من مصري حيد يردد أو يقتص بقدر  
عبادة لشخص وطه أو محرد حرصه على ما يحبه منه من فائدة

o o o

ه نحن أولاً، لأن تقربنا إلى حرة من حرد، قد يبق يساً  
والسوا، الحرة عنده لا دقائق، وهذا نجيب سارية سبيلين  
من نجيب وأعني وأل ورم، وهذا هوذا ما يربط إلى جانب  
الهاب على هوب وفي هدة وسكون، ولحو، قيق وحما، صفو  
وسمس شمس ربيع، وحيه لوجود حصر، بضرة، ثم هذه  
حما عند مرمى نظر، وهذا نحن أولاً في سطر حكومة السود  
عند ما ضل في سطر حكومة مصر إلى سبيلين مصر، فإن نحن  
سأكون في يد حبي، أنا نحن أنا، نيل ما نزال في وط تحكماً  
قوانينه كما تحكنا طبيعته جبه ثمانية

ما قترت سحرة بريديا من حرد قبل عيب روص فيه  
موظف ورق لجوز إلى سودن وطيب ميمته لا تدخل إلى  
السودان وأنه من مصر، وهما كبايرين، وكل أول ما نفت  
بعض ما يرين نيل حرد إلى سودن قبل أيام أن هد روص

كان يرفع في منى مصرى ولاكاري . في هذه المرة  
 وقد يكن عليه لا نغدا لاكاري . وقد أحب لكاري كان معه من  
 العلم مصرى ما كان يرفع في سودا . فعده رفع رفاص العلم  
 مصرى لا يمكن يكون منه صبي من كان يرفع العلم عن أن  
 مع لا غير واحد . في ربيع وبعده منه هو قطع على صاحب  
 سودا معنى .



في سنة ١٢٠٠ هـ . وسفد حه من مصر بين الموصفين  
 في حكمه من سودا كثر من سر وخرج ودعاهم فقتلونا  
 موبة في سنة . كان هذا بشر كان مشو . حي . من الاحتياط .  
 بعد الاحتياط من . مخا به مصريين إلا بعد خروج الجيش  
 ومقتل مصر بين من سودا آخر عام ١٩٢٤ سببه ما ادخل  
 ثلث من وسبه من حشية أن هم يسطو مع مصريين ناديين  
 من مصر كما كانوا يسطوون من قبل أن يقتلهم . فصاب  
 من طردو من سودا طردا . وبعده في حياطهم على  
 حق . فهو خرج إلى نقاء مبه في طرد . ومصر بحجة في قتلهم  
 حتى نحن مسنة سودا بس وبن لاكاري حل سم واتدق  
 وذهب في مصر لذي يتبعه من حبه في ساعة اثنية من بعد  
 صبر يوم فمعه يصل في طردو في ساعة رابعة من بعد ظهر يوم



شجره فیضی علیہ السلام

السب ود ه قصر نص ود حقه صبق لحط سكة الحديد ما بين  
 لاقصر وسور . سكك ، تكاد تدخل في سره وما تكاد  
 تستقر في فرعه يوم محضصة ث حتى تشعر بمعنى آخر غير شعور  
 من دخول قطار لاقصر سور . معنى نظام وظافة واحداً بينة  
 وراحة . ويذهب ثل سرب ساء في هذا لحط صبق أكثر  
 وحده ساء من سرب ساء في مصر . فعدت راحة فيه أكثر  
 من في سرب مصر . سرده أكثر ساء وعريش راح ، وساء  
 من عند بحس ساء لاس حين لراحة في يوم . وساء مروحة  
 كبرنية ومصدرة صغيرة ودولاب صغير لاس . وما قد تريله من  
 من فوق كبة . هذا عروسة لعين لطيف لطيف

تحريراً ساء في سعة ثابته وما كاد حتى دهسا ثول ساء  
 في سرفه ساء . وهي على مثل عرف ساء في سكة راحة  
 وسطانية وساء فيه مثله في سواحر مينة قرب انظام الاسكيزي  
 في صاهه . وسائون خدمة فيها كاسائين . لخدمة في لواخر اسيلية ،  
 هم جميعاً من نال ساء . لا تقع عيشت بينهم على حبي يقوم دراسة  
 عليهم . وهم كرمائهم في مصر نظام وظافة ود .

مايكاد انصار يترشح منكر (حتى يطق في اعظمور)  
 بو حمد . وهذا اعظمور من تمتد ماء ساء عن الحبين حتى تستقي  
 برقة لاس . الصدية عند لافق . ويتعد ساء عن سكة الحديد في

استدبرته الكرى ما بين حدة ووحدة ونسير سكة الحديد في  
خط مستقيم وسط رمال مدينة راسي ثلاثة كيلو متر . وفي هذا  
العظور يطق نضار من محطات لا يحيط بها إلا - المحطة وبيت  
اسطر ومسكن كرم . وبين كل وحدة وما بعده ما يريد على  
الآتين كيه منزلاً . وبيت - غير ومسكن كرم - أو تكلاتهم كما  
يسمونها في السودان - قد بنت في شكل عجيب . فسدنتها حدران  
مستديرة من طوب لأخر ترتفع عن الأرض منرين وتزيد قليلاً  
وفوق ذلك قبلاً على شكل قبة الصية حتى تتكاد تحبه صيوماً  
معدل ولا ما تسيه عد فربان منه من له - عشي - جبر الايض .  
وهو على هذه الصورة . كثر اتساؤ في رمال وقد ينسدر أن  
تندف به صدقة من الامطار . وحول بيت السحر ومسكن الكرم  
رمال اعظمور . فمما بذلك في وحدة دونها وحدة - بنت في صومعة .  
ويخرج قطار حديد والخرطوم أربع مرات في الاسبوع ذهاباً وحيث  
فيحمل ايهما رافقيه .

ولما يكن حوفهم من مظاهر حياة الناس ما يدرلده لاماكن  
سما . تذكر أحداث وقع فيها أو رحل ناس أول عتبة عمرتها أو بما  
سوى ذلك مما يبقى تاريخاً مطير من مظاهر الحياة الاسمية فيست  
هذه المحطات اسما . تتصل بهد تاربخ . ولذلك اعتبرت مراً تبدأ  
عند حلق بخرة واحد ، وتنتهي قبل بني حمد بخرة عشرة . وعند مرة ٦

يتم بها ضريبة لندن بضعة وخص من ذهب في ثم  
سردى تقوم شدة سكانية سعاد

لا وسية تضع وقت عهد ساد بحيط باث لاش تقرر و  
تحدث في من معب من سافرن . و كاز سافرن معب من  
الاسكيز . وهم على رقبهم وخلفهم كثر عدلاً في بينهم منهم  
بغيره . على في قصب . عد عد في متصف من في حديث  
طوبى مع مسو سدي يدي في على نحو . سبق نقول كثر  
نحو حزن مكا . كذا في من قبل كذا من نحو حزن سور  
تحت تحت وسيد سيري حتى قار . متصف نيل .  
وكن سافرن ساد في سنة ليل سادى رده سنة . بحيط  
س من ساد سكي . في تحت عد . قد كور من شيع السحوم  
في . . . . . حدم من . فب يدي يضل فيه التقار و  
اعتبرة قد هو يضل في ساد ساد ساد حبيد كذا في  
محدد ساد . حيا ساد ساد من ساد ويصل شود عيب  
حيد ولا تحس ساد . ثم سفت من حلال ساد ساد  
الضيق . حدم ساد في ساد . و . كذا ساد من سادوله ومن  
س من ساد حتى كذا تقصر قد مع . بضرة يضل فيه ساعة كامة  
س ساد ساد ساد ساد ساد ساد ساد ساد ساد ساد  
(سور ساد . كذا . ومن حركة كيرة سكة حديد حكومة ساد .



من ورسنة الواجرات كاملة نظام . وبها كدنت عدد عظيم من  
الموظفين مصريين . بل اعمل كثر عدد من موظفين المصريين  
السود . المقيمون بمطهرة . فيما حصة منهم على رصيف المحطة  
برغم هذه السعة المكنة من اصحاب قوت . منهم هـد الشتر الذي  
رئيسه من مصري حيد . ومنهم علم المدرس الموحودة . بسند  
لا تقوم إلا شؤون التعليم لأولي . وان حير مدرسة فيها تامة  
للأمريكان حيث يتعم طلس الى ان يسع ما قد انما شائنة  
الاتدنية في مصر ثم يرسل أهله له في مصر يسم تعليم فيها

ما أهلي ابلاد في ترال الحكومة تكتفي تعليم معصيه تعليم  
الأولي السيط يتخرجو عد ذلك وليقوموا بعض لأعمال كتيبة  
ومض أعمال فيسة أخرى كاعراف ومض أمور سكة الحديد  
ونحوه

و كثر موظف مصري في مطهرة يتقضى مرتباً سه وثلاثين  
حيثاً . وهو وحده الذي يتقضى هـد مرتب . ما من بيده في الدرجة  
فيقضى سبعة وعشرين حيثاً ويلي هؤلاء من دومهم في مدرجة من  
الموظفين

وقم قصار من مطهرة الى دمار وحدر نهر المطهرة على  
حسر (كبري) متين حسن الشكل . ومن مطهرة صغير كان مؤه

حين مرر في هذا المكان ومن هذه وقف - فتصاري في ندمر عاصمة بربر  
في هذه المنطقة وقد حدثت بعد ذلك في هذا المكان على مطار. لكن  
هنا كانت مسعة طاق و كانت تكثر في هذا المكان. ومن  
هذه المنطقة يسير قطار في خريفه قريباً من نهر آرة، بعيداً  
عنه نواك. محترق صوم. حديد حياً وهي قرب الألب. سبها  
مطهر. وفي هذا المكان من شجر متكلمة أخرى، محدياً بعض المزارع  
شبه. وفي هذه المزارع ترى القمل وعديد الحقل من نوع زراعة  
وترى مدود الحقل وعديد من الشجر.

♦ ♦ ♦

في هذا المكان من حديد ودمر كثير من ثمار عشرة ساعة.  
ومن هذا المكان من حديد ودمر كثير من ثمار. ومن هذه المنطقة  
تأخذ في سكة الحديد بعيداً إلى نهر سيحاح طويلة مشياً و  
تصل منه في نهر. كل من هذه المنطقة الأفريقية والسيحاح  
الأوليه وفي كثير من سيحاح في أوائل تلك بين حبال  
رفيعه وسطاً حديد سريع تنقب وطبيعة لا يحول عبوس الحودون  
السم. وكثير من سيحاح في نهر محترق سويسرا وأمة نواك  
السم. وفي نهر سويسرا، حديد يموح منه شجر عطر ويبدو للطر  
السم. وهي بعد طبيعة لا تترك للطبيعة. بل شراك الأسا  
السم في ريتها وفي حديد حديد رية وحملها. أما هذه المنطقة

لا فريقة اطوية فحترق بك صحاري لا حد لها ولا هبة  
وتعرك بأوحدة المنطة وسط نصص نصص لا تسمع فيه  
هسيماً ولا ترى فيه طيراً ولا حيواناً ولا يست في اكبره ست ولا  
شجر . وما ابدت اسباب وشجر فيستعر وفي كل قطوب الصحراء  
وعبوس خال لا يفن من عرشهم لا حمل الطبيعة الدائمة الصحو .  
او تراهم وقد تحطت عصاة وممر وأصحاء يصفى القصار أو يمر  
على محطات ذات ماء ، وذات تريح ويحيط ب الوقت بعد الوقت  
شيء من السحر قد صر في مفر دي بهجه يعوض ما مضى من  
عبوس وقطوب ؟

كان ب في ذلك ثمل . سكه سرياً ، تبدد وبقى له مه  
سراب هو هذه مريع لهينة من نطق وهذه القبات ترعى فيها  
الأنس ويحسد فيها تبدو لأسماءهم ومعرهم وتدرهم مرتعاً ، على أن  
لهذا سراب بهجة . ومن ثبات بهجة هل هذه من المستوحشة .  
وهؤلاء هم يفترون من قطار كلك آوى إلى حدى المحطات ويبد  
امرأة ليس رتب تبعه ويبد سلام عيش يعرضه لمن به حواء . وعملك  
غير مستطيع وان وصفت لك هذا لعيش أن تتصوره . هو . فرعيه  
صغير الحجم متفتح لا تدري هو من ذرة أم من شعير . وغير من  
ارائب وغير لعيش يتجر بعض هؤلاء اسود من حواء في سلال  
وئسات صنعت صغاً عريضاً من قش مون . وهذه هي البضاعة التي

يقبل عبيد بعض السجون ويخذلهم سوق رنجه . ثم اهلين واما  
العيش فلا عيش فيه لا يلبس ثياب من ثياب اللاد

٥٥٥

وهؤلاء سكان من ضمه من في السودان ليسوا جميعاً  
أصليين فيه . من بعضهم سكانوه ثوباً من سكان وحرور فلاتة  
حاروا من سحر في طريقه في الخرج فوفوا في السودان يتبعون  
ما يقبضهم في هدد رنجه فلو يده التي تكلمهم حينئذ سبب تباع  
يقومون بها عن فب صاب ومن صبة راحين من يعفر الله لهم بعد  
اداء فريضة مقدسة تقدمه من دمه وما شجر

ومن هؤلاء مائة عدد عظيم يقوم برعة تقطع وحبه في  
أراضي الحرية . وعلى سببهم تعتمد حكومة السودان الى حد عظيم

٥٥٥

بمصر عاصمة مصرية بربر . وعضل لمدي بربر في مديرية بربر  
وفي غيرها من مديريات شمل السودان يزوي من ميد النيل ارضي .  
وطريقه به تختف فب كان من رنجه لأهل فترويه السواقي .  
وما كان من رنجه فب شريك فترويه لآلات . وقد ذكر لي  
بعضهم من صاحب التي رنجه فب شمل السودان ما في فيما  
قلل اخرطوم - يست كثيرة وليست بدت حطير . فهي لا تزيد على  
ثلاثين الف قدر . وقد اتفق بين الحكومة المصرية وحكومة



سورانيون في النقارات في إحدى الخطوات

السودان - أو الأخرى وحكومة الاسكندرية على رى هذا  
 المقدر بعداء حرر سون وتعبه . وحكومة السودان ترسل  
 لحكومة مصرية في كل سنة وفيه تسجل فيها ثم ترزع رراعة  
 صفيه لأهده . لاين غفدس . ومعتبر حكومة مصرية هذه  
 مرفقة كفية لا تخضع في مرفقة هذه مديرة مرفقة من مرق امرفه  
 نعه هي من مرفقة أو تسبق مع حكومة البريطانية .  
 وقصص مدي برع في هذه مرفقة كاتطنل لمدي برع في  
 خبرد سون حكومة تتولى بعه . مرفقة التي تره . وقد رت  
 بعه مرفقة في هذه مرفقة نيم نوبس لأه في . سلى ثم مع  
 ديت قد صرححت بعض مرفقة سائل دوى سودان يتولوا هم بيع  
 قصصهم أنفسهم . وقد ذكر في مصري من حوصا ليهود له متعر  
 وسع الانقطن في مرفقة مرفقة مدي يساري قطار هؤلاء المشايخ  
 في كل سنة كما ساري قصص حكومة . وون مشايخ لمين سمحت لهم  
 احكومة بيده مرفقة لا يسمون عشرة عدد

وتسمى حكومة سودان نيمون مستعمل تقطن فيه ذا شأن  
 عظيم . فقد روى هذه مرفقة لافقطن مصرية لا تكن واقية بحاجة  
 المنع من في هذه مرفقة قصصت حنة مرفقة في لمربول . مكان نسيم  
 انقطن اسود في مرفقة كاتطنل مصري ومعنى هذا ان للحنة لم  
 تجد من مرفقة بين تقطن مرفقة دوى نيمون في سوق المضاعة



ولست تقف دراعة تفضل سدد مديريه بربر بل تعدها  
الى مديريات التي مدها حتى خرطوم ، وان كنت الاراضي التي  
تزرع قصباً ما تزال قليلة ، وهذه ثمة هي التي تجعل اهالي تلك المناطق  
يتركون بعيدين عن معني الحصاره متمسكين بتقيد بربر  
الصحيحة ، على ما يحسد بعضهم من ربح في زراعته الارض  
يحدث هذا البعض الاستغناء وسنعال الاراضي

وهذه حيلة لا تنتشر عند بشرأ كثيراً ، بل يترن مبرر  
مصري كبير لاثري في نهب السودان ، ونهبي السودان كانوا  
وقت قريب يقومون بعمل وتقيمون على حيلة سديّة كل معاير .  
فادم في دار واحد منهم عن سرده وسعير عند غسه عيب وف  
عمل ولم يثبت ان يوجد وثا يكره . ولا يبرله عن مته عمل ولا  
لحوق مدي يارم الحصاره . فحصره حيث حلت بحججه في العمل .  
ومن ثمة عمل فهد حل عليه خوب .

انطلق لفتار الى شدي ومرر بعد ذلك ، باللات ثلاثه ومرت  
شتر رويد رويد من الخرطوم بحري . فمابعد فبت معسكرات  
كانت معسكرات الخيس المصري حتي نعم المصبي . وقد فصحت  
ايوم معسكرات قوة الدفاع عن السودان . وهذه معسكرات وفعه على  
صفوف اسيل الاررق الى لفضة اشمية وتمتد الى بعد منه بحر قليل .  
عن عيين الداخل الى محطه خرطوم بحري متسع كبير عند

كوتسه احيوا من مسافة في مصر تنق فيه رومن السكاني ليقين  
 من يس فيه ما يحسن في مصر و... وضرر... وتقتل منها مباشرة  
 الى سطا... في حنة وسفين ندي يقف في اشال  
 في حسب هذه الكم... مكال... حكومة اسود  
 لثمة حيوات... ولحكومة اسود... في قيل في عدية كبيرة هذه  
 ابرية حتى لا تحتج... حيل للعيش ولا تستعين من حيوات  
 احراج... لا... حيل... الى لاصلاح اشج

\*\*\*

نصب سبل لاروق بين خرطوم بحري وخرطوم... ويختاره  
 املا فوق حصارا كم تري اعريض يتسع للقطار والمترام وللاكين  
 و... حيل... ثم تنوي سطا... ذلك... بين كلية عردون ومدرس  
 خرطوم الخمسة من... ومعسكرات جيش البريطاني عن الشمال  
 و... اتواء حتى يصل في محطة خرطوم رئيسية.

في محطة خرطوم في... من الارض لا يحيط به... يشعر القدام  
 معه... من... محطات موسم... الحصة... المحطة معرلة  
 صغيرة قفيه لا ترفع... محطات لاروق العادية في مصر... وليس  
 من... محطة... محطة... ولا قيل... وخط  
 الحديد لا يحده سقف ولا يحيط به من الاوريز ولا يتصل به من  
 خطوط... سكينة مري... في المحطات الرئيسية... لذلك

محطات  
 لاروق  
 ٥

دهش من لم يعرف الخرطوم من قبل أن تكون هذه محطة سكة  
الحديد لعاصمة السودان . على أن هذه الدهشة لم تدم إلا ريثما أخذت  
بالسعر زيات كانت تمتد إلى مرمى النظر في طريق متسع يبداً أمام  
المحطة . هذه ريت يوم الملك أعدت للاحتفال بعيد تذكاري مقدم  
حالة الملك جورج الخامس إلى الخرطوم حين عودته من الهند في  
سنة ١٩١٢ . وهذا الطريق لم يمتد فيه الزينت هو شارع فيكتوريا .  
وهو يصل ما بين المحطة وسراي الحاكم اعم .

كانت الساعة اربعة حين وقف القطار في المحطة . وكأ قد  
أمضيت ست وعشرين ساعة من وقت ان غادرتنا حتماً . ومهما تكن معدات  
الراحة بالقطار كاملة وأسفر قطعة من العذاب . لذلك فرح المسافرون  
جميعاً بلوغهم الخرطوم ، وراى كل يبحث عن ابيت أو امدق الذي  
يأوي به . ونزلت مع من نزل وألغيت جماعة من المصريين الذين  
عرفت من قبل وقود يتصرفون . فماروني قانوني بهرحاب والشر  
به أدخل الى نسي العطلة والخطيبة . ثم عذرت محطة الخرطوم الى  
فندق حراد حيث قصيت أيام مقامي بعاصمة السودان .

## الخرطوم للظفرة الأولى

قبل فتح سودان قوات الحش مصري وبعض فرق  
الأكبر في عند الأخير من فرق مصري كانت أم درهم هي  
العملة الكبرى هذه لأصغر مصرية من مصرية لا أفريقية،  
وكان يطلق عليها اسم مصرية مصرية، وكانت ذات أهمية تجارية  
خاصة كانت متفق طرق المواصلات لآنية من الأبيض وغير الأبيض  
من بلاد مدخل، وقد فاحت سودان واحد و دكتتر الخرطوم  
وفيها من مدكات تاريخية للعمليات المصرية مصرية، يجعل  
هذا أن يكون عملة من أم درهم، وكانت قد حوت كل  
مخزن من حوت فيبقى منه لا أثر وإصلاح، خذده بهمة  
الحش مصري وقومه من سودان من نهر نهر، وسعي  
سعيه يجعل أم درهم أثر مد عن، لكن أم درهم تمت إلى  
يوم مستقر تحو و ردت إلى سودان كان الخرطوم أصبحت  
بعد سنين وبعد ممدد حظ سكة الحديد عندها مستقر تحو  
الصدرة من سودان.

وتدروى الخدوش كثير من زويت عن الخرطوم وجعلوا  
منه مدينة عرة تحتة، وشوارعها ممتدة يريد بعضها على الحسين  
متر ولا يتقص واحد منه عن ثلاثين متر، وهيها منتظمة تقام

الانتظام . وفيه نور سكري ، يضيء شوارعها وممراتها . وفيها مياه  
جارية في كل مسال . وهذه التفاصيل عن صورة هذه المدينة التي  
تستق اسمها من صورة سيل لاررق مستوي ثواء خرطوم ميل  
تترك في دهن السري ، محلا لتقرب كثيرة . فيه شوارع واسعة  
وهذه الآثار الكهرتائية وهذا الماء الحري تقرب ما يكون الى صور  
من المياه في اوربا . ومدن اميا في اوربا . تجمع من معاني العمة  
ما لا يجتمع في غيره من المدن . فيها حدائق العمة . وفيها ما كان  
الرهة وزينة وفيها تجمعت زينة زهرة . وفيها كل ما يحلو  
صد النفس ويضرد هموم . من لا يد أن تكون الخرطوم على  
هذه الصورة لتسمة الجدانة . فطمع في قوم جمعوا في قرب المطلق  
لحظ الاسواء . قصه عنه كثير من أهل مدائن اسطق معتدته .

وتدخل الخرطوم وهذه الصورة تملأ نفسك . في يكاد عطار  
يسير من نحو محطة الوسطى كما يسمونها - حتى يدرك قد  
مرات - بعد تحطيت كبرى سيل لاررق من الخرطوم والخرطوم  
بحري . بعض من الحكمة لا تخفق الصورة التي في نفسك  
وسكنها مع ذلك لا تقضي عليها . ثوب كيسة عردون ومدارس  
المحيطه . حدائق طريقة تاحد سطر . لكن بعده قصه صحراريا  
لاسه فيه ولا . وتتمت وتنتهت بقصرينة ويسرة فد كل ما  
حولك من قبيلة الارتميت نيت من ضيق واحد . قد وقف قطار

رأيت ميداً واسعاً يس فيه شيء يزيه ورأيت أمامه مثل تلك  
النباتي عليه لا تدع وتعرفت بهذه صورة الجذابة المثلثة به نفسك  
وقد بدأت تدل وتضمحل . ككث سرعان ما تشعل عن هذه  
الصورة ودعوا من تره من معارفك وصداقتك الذين جاءوا الى  
الحلة يضطرونهم لتتظار تقدمه من مصر آمين أن يجذبوا به من  
ريح مصر . يسبهم ويبعثهم واب يلاقوا بين ارا كبين هؤلاء  
المعارف الذين عاينهم حين عدل كوا في حياتهم حراً غير  
ويل من هذه حيلة . ولذين تصحوا سبب هذه حيلة ولوجودهم  
رئيس عن هذه حيلة ومن الامكن اني عرفوهم من قبل فيها تقرب  
الى عوامهم وفدنتهم . ترى هؤلاء المعارف قهر يديهم ويهرون  
يديك شوق وفهنة ويسأوك من سلال ما حالها وعن خلفت وما  
حداية نمرهم؟ ود فرغت من ذلك وفكرت في اختيار فندق  
تأوى به عروك بريهم ونساعتهم وكل ما يسكون من وسائل  
المعاونة . وشهدت لثيب من رقتهم ما ساني مشقة سفر ست  
وعشرين ساعة فيها ما فيها من مشقة برغم ما في القطار من وسائل  
اراحة وصمانية

وعرفت ساعة وصولي لحظة حد كبار موظفي حكومة السودان  
من السورين فقيني ترحب في ترحاب وصحبي في سيارته الى



حرائد وتيل حيث نزلت . وما كاد يستقر بي منه حتى جاء ريارتي  
بعض احوالنا المصريين

وفي كنت باسيرة في طريقني الى الفندق ضربت دهشتي  
من هذه الصورة التي تبدي لي من الخرطوم ونبي لا تفق في شيء  
مع ما كان مرتسمه لي في خيالي . شوارع واسعة حقاً وعرضها  
يزيد على الثلاثين متراً . وفيها الكبرياء حفاً تصبغ اذ حن الميل وولت  
موليات انهم . لكنهم سوارع غير مرصوفة والتراب عن جانبيها  
كثير حتى يعوض فيه محال سيرة . ونحن على ما يضرب في حيز حيد  
المدينة الآهه نطمس سكان الخرطوم من الموظفين . ثم ما هذه مناني  
المحيطة . والتي لا ترتفع اكثر من طابق واحد . وهما لا يحيط بها  
من نصرة اربع وحصرت لا قبل . ولم نستطع احد ما يحول بخضري  
فالت صاحبي ما لم لا يرصفون شوارع . فكأن جوابه أن قل ان  
ذلك يكلف مليوناً من الخيالات وميريه سودا كنه لا تزيد على  
خمسة ملايين . وذلك تكفي لحكومة تسير ووردت ثقيلة في  
القسم الأوسط من سور الكبرياء حتى تمكن الناس من تسير فيه  
رددت الصورة التي كانت مرسمة في خيالي من الخرطوم  
ذولاً حتى كادت تصل الى حد تبجح حين ذهبت في صبيحة ليوم  
التالي زود نحاء المدينة . فقد انحدرت الى احياء تعدت موظفين قل من  
الأولين درحة وبعض عيال المدينة . كما انحدرت بعد ذلك في

الاحياء لا غنة ، سودا بين و تحارثهم و تقي تقع بعد ميدن الجامع .  
 و بعد ميدن فسيح مسبح بعد تقدم فيه الحفلات ذات الصبغة الدينية  
 و احدها حفلة موند سي . مع ذلك فهو ميدن ترب تعوض تقدم  
 فيه في حد يتعدى معه سير و يهد لائر تعب بعد قليل . و لما  
 ما عده من الاحياء السوداء سخته فتتحلى فيهم مطهر الفاقة الثالثة .  
 في شوب مفتوحة في الماء معقوض هي حوايت الصانع و ابداعه .  
 و ترى في هذه تحويب جمعة سود بين خلوص و عبيهم ملايهم  
 بجه . فصحت سم . من شمس و نراب . و ترى منهم من  
 صحتهم محاربات و لاحدية و غيرها من صحت و ضيعة ضيعة .  
 و قد رددت فعلا في . بعد ذلك ريت حوايت من القش  
 بمعه و حلا لا يكاد سترهم من الملاس و لا قليل . و ريت بعدها  
 « سوف مس » تحت شمس في و حوهم و ساريهم فرست  
 س . من عائم سمس و نار شفوة ما لا تفهم معه كيف ترضى  
 احدهم احتمال هذه الحية تناسية لولا . في الحية من سحر خداع  
 يعري سداس نوس و ستمه من في يوم نعمة و رخاء . و تتبع هاتيك  
 مسودة الكثرة . وهي نوع قبيح من الطعوم ، كما يعن العقل و بعض  
 من السعد ما يقطعه لافراء

ولا تروى عنك تشهد من نوس هاتيك و واثك اكثر  
 ما شهدت فتعود ادر حث ضالبا بعض ما يروح عن نفسك

وكان معي صاحب مصري طريف سرور يدعى لي «حي» الترام  
نركبه الى حية (منزل ١٠) ومنزلهم هم مكان الذي يقترن فيه ماء  
ليل الأبيض نيل لاررق وتجري عنده نسرين في ثقل اركاب  
المنافسين بين الحظوة و«دوم» فقطع في حيث محطة الترام  
وانتظراه حتى دق ناقص نفثته ترماً بحراً بحره آلة ذات عجيج  
وصحيج ومن وادها عرست عدة تكاد مع ثمنها في عشر واكثرها  
قدرة تقوم فيه مدرجات بحسب عيها ركب مدرجة ثلثة و«دوم» عرستان  
هم عرستان مدرجة الأولى مدهوشة متعده بحد أو مشمع تود لوان  
مكانه حباً بليماً

احذر ترام ب الحظوة من طرفها في طرف الآخر. واحتار  
ب في حية فتخلف بعة و«دوم» السكة كان يسير في شيه صحراء قل  
ن تقع العين فيها على سائر. فما بلغ محزون الحبوب عند سكة  
الحديد وقعت عين على منظر ما أحسبني رأيت في حية تينا  
شد منه إلاماً ولا أكثر منه دفعا للاشفاق في نفس. منظر ان  
يستطيع الحيل وان علاوان في عيون يصل الى تحيد الأم  
الانساني كما جسده هذه الحقيقة ساطعة كل معنى القسوة الاساسية  
في جانب محزون الحبوب ميدان فيسيح من ترب ضارب لونه  
الى لون الرمل. وفي هذا الميدان ترعاعان من ذرة أو شعير الى  
المخازن. وقد يقع منها في الترام مروره من يختلط يبدأ التراب

لما حبوب ترويه أرضاً سقط منهم إلى الأرض واحتلط ترابها.  
لكي زيت مرتين كل واحدة منهما عريّة وتكاد فلا يسترها  
إلا حتى قدر يعطى بعض السحب ويترك الطير كله والأفاع والراش  
مكتوفة الشمس ويهوى . وكانت كل واحدة مقعنة كما يقمى الكتاب  
وتس لارض بأفرفه وقد حدثت فيه شجرة كبرى وهي ما تزل  
دنه على شاش وتنبى ما من حين وحين شيئاً من التراب الذي  
يعنى بأفرفه ويديه في حبال أو محل في جابه . سألت صاحبي  
ما بال هؤلاء السمة كمن على نرى يختبره بأفرفه كما يختبر  
الخبول وحده محله . فل صاحبي وفي يرب صوته رة هم وسجن  
هم ففارب لا يحد قوب . وقد تعول واحدة من طلال أو كثر ، وقد  
أفس يختبر تراب مات ن يحد فيه حبة من ذرة أو شعير  
قد يدر سمة حل لعال إلى الخبار . ودا طمرت حداث نما  
حسنة حبة تمت به في عر لها . وتطل كدنت يوم تختفر تقوت من  
تراب لارض حمر . ودا حين اليها ن قد اجتمع في عر لها  
بعض من سميت تطعيمه عل فيه ما يقيم ويقيم من تعول من طلل  
أو يتيمة يوم ن يمتس به . وها كدنت يفعل ما عنهن القدر ودا  
أفارب يد أو تقضى موسم عائل فمن وثن يعلن بؤس وويل  
في سود خف لاسل كبد سواد ؟ هو سود من ثلاث  
الوجود شقية والخبول عريّة وشعر الماح في تعمده ولتافه .

ذلك منظر دونه كل ما رثب من مسطر مدقة وسلس . دونه هاتيث  
المسولات يرنحبن عطف كرم . ويثمن ن تنس وحتنن قد  
مكلوماً يفيض حربه سحر . هو ديس بنفس تي تعف من اسور  
وترى في عيت الشقة مع اعمل بعنة رفعة عن مائة تنم من عن  
مسألة الكرم .

حدثت بعض شيبين . خرطوم بيد وشدت م شهدت فيها  
فدبل ما كل لها من صورة في عبي . وحدثت لأحد مداب كاه  
عذر . وخرطوم بلد حديد . دحسب خيس مصري ومن معه  
من فرق الكبرية سنة ١٨٩٨ فامه حر . ومن داب  
النارج في مدش وعشرون سه فقط . قيمت المدينة كاه  
بما فيها من معسكرت ومسال وسورح وطرق . رست يوم رسمت  
على صورة زاية الهريضية الكون مثلاً لبطاء لاسكيري هادي .  
المطامن . وعرست لاشجار فيها فست مانس منها وتيد عرس  
مات . والمدن كالأشخص لها حياة غير الصورة ظاهرة وسير  
حياة لحسم الذي يتشبه مع أحسام اعير في أكثر مطاهرة . لها حياة  
الروح المستمدة من تريحها وما مر بها من محس وآلام . ومن مسرت  
وأعياد . وثلاثون سه يست كافيه شعت في مدينة من مدن حدة  
الروح ولتحمل منها ما يحدث نزل اليها تعن تحدث بها المدن

الندفة هي شبيهة من غير شريح وعنده ما ترك على كل حذر من  
حذرنا وحذر من حذرنا صحتنا حقة نختلف اصور ومعاني .  
فحذرنا حذرنا وهي عندنا حدث : د هي لا تحدثك بمكون  
حذرنا وست لك كما نبدو للعين لدمية صعب صعب على مثل غيرها  
من دمي ولا يكلمنا وقت نحتاجه فيجعل لنا معنى وقيمة . ولها الى  
جاءت من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا  
احكمين ودمي الامر فيها ما لا نرى مظهره لئلا قصرة على الحلي  
الذي فيه يميم .

فكل حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا  
التمس نحرطه من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا  
الحق كذا وفيه من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا  
حقا . ويس بين سكة من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا من حذرنا  
تقير خية . وفيه لا كبر حكام . وفيه السورين والمصريين  
موظفين . وفيه لا روم والسورين تحور . وفيه اسودايون قل من  
كل من سوهي في بلاد شرق ووسطا . ويس بين هؤلاء جميعا من  
الاحتلاط ما يخفق روحا جمعيه تعرف على بلد كذا : بل لكل  
جماعة قوامها القومي واخشي والديني والبعوي : الانكليز ناد  
والمصريين ، د والافط من نصريين مكتبة وكنيسة ومدرسة ،  
والسوريين د وجميع حري ، والاروام ناديان . والسودانيون اهل

البلاد لا يدي لهم ولا يجمعهم حول بلادهم وروح ذلك النسخ والطقس  
الذي يشتمل البلاد، وسوار على سعتها لا تنظم بعد النظام  
الذي يجعل ساكني أوروبا وسكان مصر يربطهم بعض الشيء كل بضعة  
أن سيرها سب. وأحياناً ثلاثاً. وهذا لوقع على السيل لأرق  
مباشرة وهو أحسن وأكثرها طمناً، لا يتنظم من غير الأسكيز إلا  
السير السيد علي مرعي، فيه قصره وله أمام قصره ساقية منها  
الجري. وثيب مقدم غير الأسكيز من موضحين ومقدم بعض  
الأسكيز الأصغر وله تحارة لأرواء واسوريين وما في البلد من  
دواعي المسرة، وثيب مقدم أهلي البلاد وله الخدم وميدته حيث  
يقام مولد لبي، وله ما سبق أن شئت إليه من مظاهر النور  
والفاقة، لكن المحطوم على أنتم من ذلك كله جهلاً والحيطة فيها  
روعة لمن عرف معنى حياة ورونتها

والعل الأسكيز أول من عرف كيف يجعل للحيطة في المحطوم  
معنى وروعة منذ زلوه. فقد أقاموا لكل منهم منزلاً بما تحتله كلمة  
منزل الأسكيزية Heme من المعنى. جمعوا فيه حديقته ومعها للتس  
ومقاماً للطيور. وجاء كل واحد في بيته من الحيوانات والطيور الأليفة  
أو التي يسهل تلقيها كالأرانب والسعد، وكل ما يحتاج إليه للوقت  
فراغه من غير ملال بل بغبطة ولذة. وقد وجد كل أسكيزي من  
« منزله » الكامل الأداة ما يعوض عليه مشقت العمل في هذا



الحق شديد حرارة في فصل ربيع وما يتسلى به عن وحدته وبعده  
عن الاده . ثم لم يكن هذا خيرا ملاعب ثم يعنون فيها كرة  
اسدم كما قوموا خارج مدينة ميدان سوق احين . وهي تمت  
لانحاري معدت رياضة كل به صنف نعيم حياة . وهو واحد في  
بيته عرا . فيه من معدت رياضة سكية وطرية . وما . بقي بعد  
دب من امر حومه وتحدث في لآخرين فمسر . لا كبري في  
زديه حرصوه ندعب به كل مس . ينضي فيه شطرا غير قليل من  
وقته .

وقد اجد غير لا كبر ما جد لا كبر ومنهجو سجونهم .  
ولا كبر من اموظين سورين ومصرين في مدركه ملاعب لتس  
وتوخ ستي من تسبيه .

وت سيدة سوريه في الحرمه ثلاث سوت : قد شعرت  
سور ك لاول ما ترات الحرمه . ولا يعحي قدره وصنم الموحش .  
سكي . تسب على ذلك الا قبالا . وه . بشت في وحدت في مربي  
وه . حومه من حديعة ومعوض وطري حيون سلوى حيث الي  
الحرمه وجعني ابي انجيد فيها متا وروعة

ولا ريب في حواء ما يتولون على جانب من لحق كبير .  
فايت يشعن من حياء لاس رحلا و امره حفا عظيم . فيه  
من عرف كيف يعيش فيه نعمة وسعادة . وليس ابييت هذا المطبق

اصيق في حدى العورت مشيدة بحيط — كه عن نيين وعن  
اسهل وعلاده ونفس منه من يرى سرورة الخوصة على سكينهم  
كي يحفظوا على سكينته ، ثم هو لا يجد بعد في هذا الطاق ما يعينه  
على مرحلة وريسته . ثم نيت من فيه نعمه وسعادة هو ، نسع  
خديقة ولعب وكفن الصخرة سداد ، الخرج ليه وه ، بشتهيه . وه  
اكثر ما تكمل يوت خرطوم هذه حاجات

ويذهب نيمون بالخرطوم في تحيد مدينتهم و اكثر من  
هدا ، فهو لا يترك الا ترى حد — ارج جميل نمتد على — ص  
الليل لأرق — من سرى الحكيم لعم وحديقة حيوات واصل  
الى القرب — الا نى — على حابة بحيط — حصرة ارج — اصر  
وقد قمت فيه لاسحر . سمه وشتت كثر من حتى تكاد  
نحسب انصر سيف كوسح في طائر حديسه — وفي هـ — سرع  
يقوم فسق ( الخرد ) وهو يصير — نهي صادق مواضع عمرة  
نظامه وصرفه و — خديقه هـ — واسعة الخبطة هـ . وحديقة حيوانات  
الى حانه فيها مسرح معين ورهه منحصر — تحتوي من صور  
وكراسر ومن شير ووحش وعرس . ثم من الخرطوم من — كى لشجرة  
ما لا تطلع فيه مدييه في حجم . وعدد سكك . فيها متحر وسعة  
يرد اليهم كل ما يتحه — لم نمتد من — صسعة ومواد ترف ،  
وبعض هذه الشجر كبر لى حديكاد — فس معه — كى لشجرة

الكثرة بالتهديد . وما سبب ذلك ان نور سوري انرى فيه محلاً  
لله ليس برين . فله محل عاقل لأرمي . وتري كذلك محلاً  
لكم نروى وهرج سوري وانرى فيه هذه من الامكن . لا  
تبي مصر فخره ان تدفن به مدفن هذه .

ويشعر بعرب سوري فخره ان يدفن به مدفن هذه توفر  
بجمع هذه به . فله قوت و . ب ومضاعف . وثان كان هذا  
كذلك فله وكان به شوق فلاش سكر مدينة قبيول لا يردون  
من بابين ما ولان ذهب ستادو عيس سوري يجمع الى كل يد  
من تنمو حسب ولعة وديا . فليس به الى هذه المختصات من حجة .  
في هذه انني تمة سكر فخره حسب من الحق سير  
قيل . وفيه . يدل على ان نظره لاول هذه مدينة الحديدة  
بمختصه سكر في لاند من ولعية علم . كان هذه  
لنورد لاولي يحتوي من الحق هي لاجري جاب غير قليل . فلهذا  
ايون سري يصنعون من من فائدة وسكية قصر على جمعة  
موضعين وسكر من حكة . ومن كان كثر مقيمين بالخرطوم  
موضعين وكان من من من تحب بهي كل منهم الى طائفة يجد  
في لاند . فلهذا فلهذا لا تكاد تشعر في الخوصوم بالحياة  
سرية على ما تلب في موسم التي تجمع الموضعين وانحر ورأب  
الصناعة ومن وعه وما تشاء هذه حياة من حو فكري تسعت

فيه لأراء مختلفة متآخرة مرة متصارعة أخرى عمدة دلت بسير  
بالأساية المحيطة به في سبيل بركي والسفد

وهذا طبعي ان كان السود بين قبيل في خرطوم حد الله  
وكانت حياة الطائفة رقية منهم منصفه . حكومة تصلاً له من  
الصعبة السياسية اكثر مما من أية صعبة أخرى . ذلك انهم  
درمان ، ترر سود بين هي مؤن وهي المنح . ان نحن فوسهم  
لأنهم عانتهم وخاصة اسلافهم و كاو لا يسكن ندمع عنها  
لتكون عاصمة الحيم ومعدنهم ومذوعهم .

ooo

هذه صورة الخصة . خرطوم يرجع سى مدد كرك الى بها  
مدينة حديده لم مض . أثبت منه على عام لم يرد لأحيوة .  
وفي بها بيت هذه نرة لأحيوة تعد حاجت المنحيين وقدم  
اليهم ما يستطيع من مدد سعة يعرف . وذلك كك اكثر  
السود بين الذين يقيمون . خرطوم يد يقومون في ركاب هؤلاء المنحيين  
وخدمتهم . ومن أجل ذلك لا يستطيع حرر . خرطوم ان يرى بها  
ما يكشف له عن معنى حياة وظيفه في همد . نوع مترمية  
الأحرف . وثبت يد أدت ان تعرف ست من معنى هذه الحياة  
فلا سبيل لك إلا ان تقصد الى مدع حيث تقوم « تكالات »  
السودانيين من اصناع والخدم وسفني سيرات وغيرها من يقومون

في حكمة - ذرة حكمة . في هذه ركائز نسبة من طين واقعة  
في « ديم » ، ضمن ترى شبه خيرة سودية لحيطه ، الخرطوم ،  
وهي حبة سنية شقق و ، يغوص في أحدهم من أعمال و ، هم عند  
مكس و عند سوديين نسبة من مكنه .

و ديم يبعد عن الخرطوم مدى غير قليل ، و هو يبعد الى  
« كريت » حين يره صور ، عرب ، قدسة التي يقضها ، « التمية »  
و « ساحرون » في « ف مصر و ديم كعرب تدمية لا مافد لماله  
نكاه من طرف زنية ، هو محبة و حيلة فيه ، منه يدخل  
هو و ديم و سوس كيدخل من و ديم .

و د كات خاضه مدمه ، تحين و من أحط بهم من اتجار  
لأرو و سوس من و من لا بهم من من سوديين فحبة فيها  
قرب نجاة عربية في كثير من مطهره ، و ت ترى متحررها  
متسعة على طرف ساحر لاولية كما ترى أكثر سحر فيها اسد  
رلام يتن شذلا و في سابل هذه احبة عربية يرضى لميمون  
خرطوم ان يحبه يحوم و هو ك و حصر الخمة طنة في علب  
القمح و راب حب كتر في قوام حياتهم ، رغم ما يمكن أن  
يعترضه و هو عدي في سوس القمحة على هذه لأطعمة الخمة طنة ،  
و رغم ذلك ان هذه مواد في ترد في الخرطوم من الاد بعيدة .  
سكن لاهل خرطوم في تحسن من حاجيات الاخرى التي سمو

وتربى في أسلافهم ، يعوضهم بعض شيء ، عن غلابة ثمان  
 ، ردت وقد تحف بعض شيء ، كدلت من لا غرصات لصحية  
 التي يطعن بها على لأصمة مخطوطة . وهن وديكة يومية وكلاهما  
 صام صانع شهي رحيصة عيه رخص . فريديكي من « لأوري »  
 ندين ولديت يومي أكثر منه لدة . و . ي بعض حوت مصرين  
 تقيمين الحارطوم وتنشدين في قصده نديكة يومية تحت بعد  
 ن تشتري مهد ثمن محسن لي من تقيمه سترن تسمن وتلد .  
 لكن لا كثيرين يروم ما يبدد من ستر حاحه لي هذه عديه .

فما احصر وديكة فدارة حد لندبه في حرمه وفي  
 السودن حيد حتى سقط في بعض حصول قسط . حتى ليري  
 ورد من المخرج محصه لأيدي قبل أن يصل في الأسواق .  
 وبذلك كانت المحوم هذه . لاسي ما يمين هدت . وكان ه عيهم  
 من الأثر مد على ككه المحوم ولا حصاة سر شمد ده وهم حيلا  
 طوية ولا تستطيع شهير وسموب ن تدعو من صانهم قد غا .  
 على ن الحارطوم مشد مع ديت كه شمد مقر حكومة ذات  
 شط عظيم . فاد كانت مديية تنضم حية مديية ويتنضم تاريخ  
 اسدائن فهي مستقر ساط كبير لموظفين من احاسهم نخلة . وهي  
 نذلك كثر شمد للمعلم *End of page* . وهذه عمودة منها تستحق أن  
 تكون موضوع بحث مستقل وبدياة خاصة .

## عبد الملك

و. م. م.

في تزويج وحب جلالة جورج الخامس ملكا على انكلترا  
 في ١٠ يونيو سنة ١٩١١ سافر على هذه السفلة يتوج مرسوم  
 لبيد. وفيه هو في طريق عودته من السودان وراز لخرطوم في  
 ١٧ يناير سنة ١٩١٢. وقد سمرت حكومة السودان هذه ارييرة  
 بثابة تتيج جلالة مرسوم السودان وعتبرت يوم ١٧ يناير  
 يوم عيد رسمي كانه عيد حوس جلالة على عرش السودان. وفي  
 هذا اليوم من كل سنة يرسل حاكم السودان اهداء رقيه في جلالة  
 باسببه عن اهلى السودان يعرب جلالة فيهم من تعظيم عرته  
 واحلامه له فيد جلالة كرك اهلى السودان مظهر حرصه  
 وحرص جلالة منكة على اهل السودان وتقدمه. وفي هذا السريخ  
 من كل سنة تقبل دبر الحكومة وتزين لخرطوم بزيه العيد ويسمى  
 الحاكم سرية حصة سائفة تزوج فيهم الاوسمة التي تعتم  
 حكومه ملك كاتر سبي رتيه من اهلى السودان سترقا بولائهم  
 وتقديرا لاخلابهم وما يقومون به من حين الخدمة للسودان  
 والامم صورية

ومصادف أن كان يوم ١٧ يناير سنة ١٩٢٦ يوم أحد، فتأجل  
الاحتفال بعيد ملك إلى يوم الاثنين بعده. وقد كان مندوب الكابرا  
الاسمي لمصر والسودان قادمًا لافتتاح حرس سر فند جعلت حملة  
هذا العيد التي تقام في سراي الحاكم العام تحت إشرافه ورعايته.  
يوزع هو فيه. تتمتع الحكومة البريطانية من لأوسمة ويوم من  
المراسم بما تقتضي به هذه الرعاية.

وسراي الحاكم العام حديقته من ندم فيه مثل هذه الحميد وما  
هو ثمرة منها. وقد قيمت على ترويح سودان في أواخر سنة ١٨٩٨  
حيث كانت تقوم اسراي التي قبل د. اويس الهندي فيها سررون  
سماواتي كانت مقر حاكم السودان من قبل مصر. وقد روعي في  
إقامتها ما يحجبها من عطية ومجدة. وهي على مسيرها على النيل  
الأزرق، وقد عبده أبها سحري. وتطال من جبهة غربية على منبره  
وسع لأرجاء مترمي لأحده. بديع سطر يقوم في أحده من أعلى  
المؤدي إلى سائر مكسورية إلى محطة الخرطوم.

وأنت إذا دخلت إلى سراي من جانب النيل لأزرق فذلك  
لأول تخطيط لباب دهبير تنص به سرفه سطر من ناحية وتنص  
به من الأخرى عرف عديدة متدحج تعدت موضع الحكومة  
المتنصين بالسراي. وحسب هذا دهبير مربية كذا عدة الحرب  
وأنت. فمنها قعت وحراة محففة نون واسكل. لكم جميعًا



قوت من لأكبرية وحربها، وعلى حد ريت عرس  
 لأكبرية، وذلك بخطيب مشهور وحدث أفتياً عليه دهب  
 آخر شويلاً بقدم من حارب في حربي سري اشرقية واعرية.  
 وعلى حد مشهور لأمي على ساحة يتم على جانيها حجاب  
 حصص خدمه كما هو وعده وحمل لأخر نصيحه، ولدهيز  
 واعرف ولا حجة كذا دية محمده وبنه، ومن فوق سري  
 رؤوف من مصري ولاكباري

١. حلقه سهي ولاحري متروك فسد فرست أرضه  
 سدس حروب وخدش صهارة وقوم في حومه وفي وسطه  
 شجر سهك وقيوي حد متصل مدي بدل فيه ورق شجر  
 في متروبيعي من كل ورق في نور، حمر د روء وهرجة ولا  
 نحب، فالحل له سنة في خرطوم هي بدل يوم اشياء وما  
 يك طمس به دهب مع وبنه حريرت خفيف وكل، فيه من  
 مشهر حبه به مدح لاتسم.

ooo

نصحت خرطوم يوم لاثني اذنت في لباس عيد، كانت  
 بات ولا عظام ترفوف في شارع فكتوريا وفي مقدمة بعض  
 خويست وشجر، وكل احدا كنعان قد داء في حفلة ساي تقام  
 في سرايه بعد صير ذمت ليوم عدد تريد على اثنته من بينهم دة

وعشرة من ثياب السود بين وروسه تقطن والعشائر فيهم ممن لا  
يقيمون ، خرطوم كج ذئب سود بين ، خرطوم وذن كبار  
موشين وكل ذي مككة من غير سود بين . وهؤلاء وبرية  
عيد خرجت مدينة من صخرة موحش بعض شي . وكان ثياب  
السود بين في حمم حجر . وورق . مطررة . ذهب . وسيوفهم  
لموهة سودها . ذهب كدب أكثر ما جمع على مطر عيد  
بهجة وريفة .

في الساعة العشرة من صباح ذئب ليوم استقبال الحاكم  
وقيل من رجائه . يورد لؤيد مندوب ككتر السمي الذي وصل  
ساعتذ محطة خرطوم قدما من مصر ثم قصد ودية سرايه . ولم يكن  
في انتصاره السمي ي سيرة عشرة من كابر ثياب السود صاحبهم  
المندوب السمي وقريته ثم سعد إلى سرفه .

وذا كانت الساعة ربعة قد حددت موعد خفنة شي حيث  
يقدم المندوب السامي وسمية السرف لارها هرج . يدعوون إلى  
سري الحاكم . حولي هذه الساعة . ومنهم جماعة « ارسينيين »  
ارتدو ملابسهم الرسمية وتقلدو لباسينهم ووسمتهم . ومنهم ثيابان  
السود تقلدو فوق عاتيقهم الخراف والكحية المطررة بانقصب  
المذهب سيوفهم موشة لأسماء بوشي مذهب وانقصة . ومنهم غير  
ارسينيين وغير ثياب السود من ذهبو في ملابس كل يوم . ونداء

كانت حقيقة السراي معرضة لأكثر ما يمكن أن يتصوره الخيال من لأرياء سيئة وخلاف . فكت ترى ردنخوت واضربوش ليسه موصفون في حكومة مصرية من مصريين والاسكاير وقد حتى كثيرون منهم صدورهم سياسيين مصرية . وكنت ترى ملاس موطني حكومة سودا المديين اتخذت من المناس الايض وفصت على صورة « حاكات » . وحرمة وانقطاع واجله تردها الموطعون الشرعيون كمقصدة وسقي ووحد وانش غير هؤلاء . ولترك و اسبحور ومعها تقعة عالية على بعض عيى لسوريين و الاروام من اتحرر ومقيمين . سودا . وحسب حكومة اسودا رسمية على انبال اسودا . وبين هذا اجمع ستمت بادية التقلة عدد كبير في اري مدي على مختلف تسككه ونوايه .

تراجعت هذه لأرياء المختنة التفتضة لمجموعة في هذا مكان وجمعت تدفع نحو مساحة السراي . ذلك ان الحكام العام والمدوب السامي حسا الى مقصدة فوق هذه مساحة وحس حوهر ضيوفهما . كذبت حلس عدد كبير من الموطعين والاعيان الذين تقرر الانعام عليهم باللاوسمة الى جانب من اساحة المحطة بدار بزوز والمرفعة فوق أرض المدينة بدرجة . وكان الحكام العام قد وقف يتلو البرقية التي رسل بها الى حالة مدك اسكيترا باسيبة عن أهالي السودان ورد حالة مدك حورج عديها . فلم تتم تلاوته وترجها فضيلة

مفتي السودان ورع مدوب لسمي الأوسمة على ريشه . ومثله  
ذلك كله هي التي أدت إلى ذلك التدفق الساكن بين كل تلك  
الأرياء .

لذلك ما كادت هذه المراسم تنتهي حتى انخرط عقد المك  
المتراصة وانقلب مدها نحو ساحة اسراي حرراً في الهواء الحديقة  
الواسعة . وزل السمع عليهم من عبيتهم وانخرطوا في سبك المدعوين  
تبرهم وسمتهم . وحدث نزولهم إلى اسس شيئاً من الحركة سبها  
اسراع الدس ليهن بهونهم به حادوا من شدة عية . فكالت  
الأيدي تصيح واشماه تبسم وحقق عيون اسم عليهم يلعب بعيني  
العبطة وارضا وتحضض حقوبهم حياء في صورة التوضع والحياء مما  
تنهح به دهم من سبرات تقدير انهمئين وتميئتهم « الخاصة »  
لهم دوام الرفعة ومثوبة رضا الحاكم . على ان نظر اعريب عن الديار  
كان يستريحه ما علق على صدور عيال السود الصالحين من أوسمة  
صيف أكثرها صلباناً ما كانوا ابرضوا ان تمسح يديهم لولا ما لها من  
معنى التقدير وتشريف . ثم ارداد العقد افراطاً وقصد كل إلى مادة  
من موائد الشاي السعثة على بظام طريف في انحاء المتنزه الجميل .  
كان أهل السودان في أريئهم المطررة أكثر استرخاء للنظر  
من كل من سواهم . ذلك لأنهم أهل البلاد وروح هذا لجوا الصحو  
الذي يفلتنا . على ان استرخاءهم لنظر الاوريين كان راجعاً لغربة

أريانههم وحذر كثير منه في معنى نفسي خاص . ثم اشرقيون  
عامة وأما في اسل حصة فكل معنى نفسي عليهم كك  
الأثر . ولا عجب . ومن عربي وسودني من لم يورق في ابل  
ومن وسنة ولدين واموند وعقده . يحمل اسودني امة لاوري  
لعر تنهي عبيد صوته خذرة ويعجز د كد عن سكه  
ما يقوي عليه . ووجه ونفسه مدحبه من هرت يبعث منها تقديره  
للحبة وعينه مبهمة وفيه معده . ثم اشرقي فيدر عرقيل من هذه  
الطرات مدحبه لانه يترك اسودني فيها كما يشاء في كل حصة  
وفي منه وعدته . ومن السيل فسترعي لسودني بظاره كما  
يسترعي غرته قريب نوح غب عنك سين طوالاً ود ريته  
وريت له . وفقره شعرت بين ضامك بسوق وحين وحدقت  
عيبك هؤلاء . لآباء ولا قرب ادين لآترهم من قبل والكم بحري  
في عروقهم دم لذي بحري في عروقك وتدعيمه لالام لي تدعك  
وتنفض قلوبهم . لآمال اتني يبيض بها فنت

حدا بعض موند لسي جماعة من هؤلاء . لاعين من أهلي  
السود . وكان معي صديق سودني عرفته يوم نزلت لخرطوم له  
بكل هؤلاء . لاعين صفة ومعرفة . فسر وايي يحدث بيني وبينهم  
من اتعارف ما يسمح به المقام . وتند شعرت وحسبهم شعروا  
هذا يعرف تقصير . حساس لاحتياط والخدر يدي لاحظته على

اخوانا المصريين من قهورة في حنف وفي العطبرة وفي الخرطوم . ولم  
 يزد ما تبدلنا وجماعة اعيان سودان في حديقة سراي اسير جوهرى  
 ارش حاكم السودان العام على عذرت تحية المسيطة . ورتب كات  
 هذه مباحة في الحذر لا يقتصيه موقف . لكنى كست من صيوف  
 حاكم السودان العام فكل واحب ان رعى هذه ضيقة كل حقوقه .  
 وجلست الى مائدة حسن اليه اسيد حمد مرعى وقصيلة  
 الشيخ اسماعيل الارهرى معنى سودان وجماعة آخرون كانوا كلهم  
 مثال الرقة وحسن الضيافة . وفي بحر حوس نقل سدر اسيد على  
 الميرغى فنام لجمع تحبه له واحلالا ونقل كل من الحصريين عليه  
 يقبل يده . وحسن الى جانبي في دور وعينه . وفي هو جالس كان  
 اعيان السودان يقبلون عليه ويحبون على يده يملون صاهاها  
 وباطنها ويرجون الرضى عنهم وحسن الدعاء لهم . وكانوا كذلك  
 يقبلون يد حيه اسيد حمد . لكنى شهد في ما ريت ايماناً كهذا  
 الذي ريته مرته على وجود هؤلاء اسدي في بصرتهم متجلباً في  
 كل حركاتهم حين . وفيهم مسرعين في خشوع وحلال يملون يد  
 السيد على وينظرون من طرف كسر نظرة كبر الايمان والاحلال  
 ورجاء الرضى وحسن الدعاء . ومن هؤلاء الايمان شبن توح عليهم  
 مظاهر القوة والاعتداد بالنفس . ومنهم كهول وسيوخ ترى على

عوارضهم من شيب بياضاً في سود ، وكل من هؤلاء الشبان  
والشيوخ سلطان على من يدينون له من القتل والعشر . لكنه  
يتقدم بهذا السلطان مدم السيد على وهو مؤمن بأن كلمة ارضى من  
لده أقوى من كل سلطان .

والسيد مير عني احترام خاص لمكانته هذه عند النازلين في  
السود من كل الاجناس والطوائف . ويريد في هذا لاحترام ماله  
من صمت تلي على من يتصل به اكباره وحسن تدبيره . وهو نجيب  
قصير القوم دقيق تقاطيع الوجه تم عيناه بيريقيها الشديد عن كثير  
من الدكا ، وندهه ونطوق شعره العربي الرقيق الشفاه ابتسامة دائمة  
تعمل بحياه الجذاب دائم الاشراق . وتعلو حبيبه قسوة قرب في  
صورتها الى اقلق ، البركي القديم الذي كان يلبسه انور ناشا ولم  
تكن سوداء مثله ، بل اضمعت عليها صنوف من الوان سوداء ومذهبة  
متوارية متقطعة . ويحيط بالقسوة عمامة يصعب تحديدها لونها لكن  
تد مع لون لعمرة اساق وتحاوي حساً . ثم قطعاه وحته فعلى صورة  
ما يلبسه شيوخه مع شيء كثير من الاحتشام في لونه . ولعله ضفر  
من ريب من عيال السودايين حسا ويا كان اكبرهم مقدماً . وكان  
لمقامه السامي في عبي ان يتحلى ذي وسم من لأوسمة خصوصاً  
بعد ما تمت الحكومة البريطانية في هذا يوم بش تقبه  
على كل من السيد عبد الرحمن مهدي والسيد الشيخ علي التوم .

ومع ما كان بدياً من الحبور والبهجة على المعمل عليهم بالأوسمة والرتب من أعيان السودان وموظفي حكومته فلا ريب أن أشد من كانت علائم العبطة بادية عليهم في هذه الحفلة هم الاسكيز سواء منهم من كانوا في حكومة السودان ومن كانوا صيوقاً أو سائحين . ولم يستطع الصحفيون الذين كانوا يدورون في أنحاء المكان أن يحصوا ابتهاجهم بما كان أمامهم من مظاهر عظمة الامبراطورية وتقويتها . ولهم الحق وهم يرون ما للدولتهم من سلطان ومجد . يبال كل منهم من ذلك السلطان والمجد متعة .

أما المصريون فكانت يخفق نفوسهم شعور مبهم يحتبط فيه الأسف بالألم بتأنيب الضمير . وكنت تراهم يسير كل منهم معزداً أكثر الوقت ويظهر إلى ما حوله من العريب الخثر . ولم يشذ اثنان من الباشوات المصريين تزلوا ضيوقاً لسراي الحكمة العام عن هذه القاعدة .

وكذلك كنت ترى اختلافاً واضحاً في احساس المجتمعين في هذه الحفلة كما كنت ترى اختلافاً واضحاً في ذريتهم .

\*\*\*

وحوالي منتصف الساعة لسادسة نزل لورد ولادي لويد من ساحة السراي إلى الحديقة ومعهم حاكم السودان لعام وبعض الموظفين ، وحمل اللورد وقرينته يطوفون بالحاضرين عموماً وأهل



السودان خصوصاً يتعارفون بهم ويصافونهم يداً بيد . قد صديق .  
- لعل من بين السوديين من يرى زيادة في الاحترام والكرام  
الوفدة أن بهز يد سود وللا دي أكثر من مرة ولو أكثر هؤلاء  
المبعوث في الاحتد - شق ذلك على للا دي سوع خاص .  
فجاء أحد الحصريين .

- ان كل شيء ، يا صاح مستحب مدم فيه خدمة الامبراطورية .  
ولادي لويد على رقبها واصفاً سعادته امساكة في انكثرا تسعد  
بمصاحبة ثمنه يد ، ادا في ذلك الامبراطورية سعادة وعظمة .  
و قد شق عليها ساعون في لاحتفاء فنتك مستقة يوم له يوم هباء  
ورحة بعده . وما متقه يوم في طر لانكثري الى جانب مصلحة  
الامبراطورية الا تمام السعدة .

كانت الشمس قد انحدرت الى اميب هذا الس يسرفون  
جاءت بعضهم إثر بعض . واصرفت ومن معي ميممين أحد الأندية  
ونحن نذكر عيد ملك يده في الخرطوم تذكراً لمرور حالة ملك  
انكثرا واهراضور الهديب . وفيما نحن في حديث حنت اتفاقية من  
أحد ، الى على سراي الحاكم فرد طرفه ايما وقن :

- على كل حال ثما يرال العلم المصري خفاقاً الى جانب العلم  
الريطاني فوق لسراي . وفي هذا ساع بعض العراء عن أن يكون  
ملك مصر في الخرطوم سيد كعيد ملك انكثرا .

## حكومة السودان في الخرطوم

في مقدمة كتاب لورد كرومر المعنون « عبس اثني » عبارة يحسن الوقوف عليها لحن تقدير وسائل سياسته لبريطانية في بلوغ غاياتها وحسن ادراك ما تنديه حكومة السودان في الوقت الحاضر من مظاهر نشاط . قل اللورد

دس ححر الزاوية في سياسة مصر والسودان أن تضع محل الاعتدال بين ثمة رابطة بين الحاكم والمحكوم عند انعدام روابط الحس والهمة والدين ولعادت الاحتمية إلا المصالح المادية . وأعظم هذه المصالح خطراً ما كان متعمداً ، لا عبثاً ، بل ذلك تدعو كل الظروف السياسية الى أن تخضع جميع الاستشارات الى ضرورة عامة هي الحرص على تخفيض الضرائب . وعلى المسئولين عن ادارة مصر والسودان أن يعتمدوا جد الاعتماد على أنفسهم في تنفيذ سياستهم على القاعدة المشار اليها . فصيل من بعضهم في هذه السياسة . ذلك بأن الاقتصاد ليس أمراً مرضياً عند الناس . وكثير من يوجه اليهم جراح النقد . وهم لا يستطيعون لاعتماد الى حد كبير على تأييد الرأي العام المصري أو لبريطاني . ولا كمبريميلون عادة الى الأخذ بما سبق الأخذه في اسكترا من عمال ونحارب . وقد تزايدت

فقدت الدولة عددها حير إلى حد كبير وثقت الاعباء اعمدة الملقاة  
على ساقهم إلى حد كانوا يحسبونه مستحيلاً منذ وقت قريب. وكان  
من أثر ذلك أن ساء تقدير الزني العام للاقتصاد وأن تبدل الشعور  
القومي إلى حد ما سوء إدارة الشؤون المالية في البلاد الخاضعة  
لإنكارتا.

« وسيفك كثير من كدر سياسة الإنكارتا وإن تفكك  
الصحة قوية سيطر عن مواضع جهوده في الحث على النهض  
العلم وشبهه في مصر ويزوده لأسس لأور ساء الحكم اندقي.  
أما فلا طر ان مثل ما يبق في مدارس وكتليات من تعميم كان  
ليعد لمصريين يوماً ما لحكم أنفسهم ما لم يحجروا ضيعهم القومي مما  
لا يبر لا تدريجاً. وهذه ليست نقطة بحث الآن. فلما أريد أن  
أبحث في ثقت التعام وأن تين سوء الزني في التوسع فيه إلى حد  
فرض صرنا نقطة.

« وثقت هجمات من نواحي أخرى يجب صده. فقد يبح  
الاداري لعمور، امدى بقدر ما يستطيع تقيمه من حير، في زيادة  
الطرق والسكراري والمستشفيات وسائر معدات المدينة حديثه ثم  
يحمل، مع الحاجة، لتأخذ البعيدة التي تترتب على، محتاج إليه سرعة  
تحقيق هذه لمشروعات من طائفت.

« لذلك يحسن، سياسة المسؤولين عن شؤون مصر وسودان،

بالغاً ما بلغ عطفهم على هذه المشروعات حين مجرد النظر الى مزاياها،  
أن يتعدوا عن الساسة الحليين ابتعادهم عن رجال الادارة في  
الدواوين، وان يرحلوا، يستدعي ضائل الصفات من تلك المشروعات  
التي تستهويهم حتى يتقوا بأن موارد الدولة تحتلها دون أن يشملوا  
كاهل الجمهور بأضرارها. يشجعوا انتشار تعليم وخصوصاً التعليم  
الصاعي وتعليم الآث. ويشجعوا كذلك المشروعات لعامة وغيرها  
من أسباب التقدم على أن يكون هذا التشجيع بنفسه لا يقتضي  
الانتحاء الى فرض ضرائب جديدة ثقيلة .

ليس بين الحاكم والمحكوم ، عند اعدام رباط الخس والافقة  
والدين ولعادات ، غير اربطة المادية . هذه كلمة لورد كرومر التي  
تلخص كل ما جاء في لعبرة التي بعدها بل التي تلخص الى حد  
كبير سياسة اسكترا في مستعمراتها وفي البلاد التابعة لها . وهي التي  
تجعل لهذه السياسة لاستعمارية ابريطاية امتداداً وتوقاً على غيرها  
من سياسة الدول الاستعمارية الاخرى ، فليس من غراض سياسة  
البريطانية الاساسية ان تشر ثقافة الانجلوسكسونية في البلاد التي  
تحتكمها . وليس من غرضها ان تشر فيها مبادئ ثورة لفرنسية ولا  
ان تحمي فيها الهيت المدنية لمسيحية . كل ذلك قد يحدث بطبيعة  
تفوق النفوذ الاسكتلندي . لكنه ليس غرضاً اساسياً مقصوداً لذاته .  
انما الغرض الاساسي هو تلك الروابط المادية بين اسكترا وبقية اجزاء

الامبرطورية . وسكون هذه نرواط متينة مأمومة عواقب يجب أن  
لا تكون فائدتها لاسكترا وحدها ، بل يجب أن تشعر البلاد المحكومة  
أن لها من ورائها فائدة محسوسة اول مظاهرها نقص النفقات العامة  
نقصا يترتب عليه تخفيض الضرائب وزيادة روية للحكوميين زيادة  
تشرع لهم الطمينة الى حاكميهم .

وقد اتبعت هذه سياسة في مصر بدقة تامة مدة وحوادث لورد  
كرومر . ويمكن أن يقال انها اتبعت الى ما قبل الحرب العامة .  
لكن هذه الحرب أدت الى انقلاب كان من وراءه أن غير  
المصريين من طابعهم القومي على ما ورد في عبارة لورد كرومر .  
وكان من وراء ذلك ان اعس استقلال مصر . أما السودان وحكومته  
في الخرطوم ، فماتت سياسة تجارية فيه هي هذه السياسة التي رسمها  
لورد كرومر في تلك الساقة .

مع ان كثيرين من المقيمين ، الخرطوم يشكون من فداحة  
الضرائب التي يؤدونها ، والتي تبلغ ربع قيمة ربع لمباني القنص بها ،  
تعمس حكومة السودان على ان تكون الضرائب في سائر أنحاء البلاد  
محصصة حتى لا يشعر أهل السودان شغف . وليس يصير السياسة لبريطانية  
أن تكون ضرائب الخرطوم فداحة واكثر المقيمين في الخرطوم ، كما  
رأيت من قبل ، ليسوا سوديين ، بل اكثرهم موظفون ونجار من المصريين  
و سوريين ولازيوم وسيرهم . وهؤلاء لا شيء من الخطر في أن تعي

الحكومة تخفيض الضرائب التي يدفعونها ويكفيهم أن تعي توفير  
كل أسباب الراحة والطائفة لهم .

وتخفيض الضرائب بنسبة لأهالي السودان أنفسهم موضع  
عناية دئمة . وقد عهد بها وسطام عدة السودان نسبة ومبراية  
إيراداته ومصرفاته إلى لورد سسترلاند أكبر الاقتصاديين والمالين  
الإنكليز . وبرغم ما أبداه من ميل إلى ترك هذا النصب أشق من  
رجاء حكومة السودان إليه أن يبقى لمصلحة السودان ولمصلحة  
الامبراطورية كان أكبر على نفسه ثراً من ميله الخاص ، فبقى  
باخرطوم ينفق أكثر بكثير من المرتب الصالح الذي يتقاضاه راضياً  
بالحياة في هذه البلاد غاصية يخدم الامبراطورية ويخدم السودان  
معها .

تخفيف عبء الضرائب يترتب عليه نقص في برد الخزانة  
العامة . فإذا لم يقابل هذا النقص موارد أخرى تدرك ضرائب مباشرة  
أو غير مباشرة تعذر على الحكومة القيام بواجبها . ومبراية السودان  
تزداد عاماً بعد عام بسبب الموارد الجديدة التي ما فتئت حكومة  
السودان تسعى لحققها لتكفل استقلال السودان عما كان من قبل  
في حاجة إليه وما كانت مصر تؤديه له . وقد يدهشك أن تكون  
زيادة السكان من بين هذه الموارد الجديدة ؛ كما أن زيادة شاطئ  
السكان من بين هذه الموارد أيضاً . وهاتان ريدتان غنيت حكومة

السودان منذ زمن بعيد توفيرهما من طريق توفير اسباب الصحة في البلاد . فقد كانت حمى الملاريا مما يفتك بالسودانيين فتكاً دريعاً وما يضعف فيهم نسب النشاط . وما تزال هذه الحمى منتشرة في بعض انحاء السودان . لكن الحكومة قومتها في مناطق كثيرة مقاومة شديدة انتجت بادتها في هذه المناطق بدة تامة . وما تزال الحرب امسه على الملاريا شبة وما تزال حكومة السودان تعمل على مطاردتها لمضاعفة عدد السكان ولتضعه - طهم .

كذلك عيت الحكومة ببحرمة ارهري انتشر في السودان انتشاراً مروعا والذي يجني على الأعقاب حينته على الخيل الحاصر . وانك لتعجب أشد الإعجاب بما تبدي الحكومة من نشاط وعديّة في هذا السيل . فهي تعالج مرضى بحر رهيد الى حد يجعله في حكم المحر . وهي تشر الدعوة لهذا العلاج في طول البلاد وسرضها بمختلف الوسائل . وطء الحكومة من - وريين وغير سورين المنتشرين في اوصي هذه البلاد اش سعة يعاونون الحكومة المركزية بالخرطوم في هذه مجهودات خير معوية .

ومن طريق زيادة اسكان وزيادة سطح ترحو لحكومة أن تجد ليد اعتمده تقدر كاف بشر زراعة غطى في البلاد . فلايين لأفدنة في الجزيرة اواقمة بين اسيلين الأزرق والأبيض صالحة لانتاج القطن كما ان أرض واسعة اخرى صالحة لانتاجه .

وإذا كانت التعرّبات التي تمت في الحزيرة الى اليوم قد سفرت عن نقص تدريجي في المحصول بسبب الآفات التي تصيبه حتى أصبح الفدان الذي كان ينتج اول ررعه خمسة قنطير ونصف القنطار من صنف السكلاريدس لا ينتج إلا قنطارين وررع القنطار بعد اربع أو خمس سنين من رراعه. من شركة الحرية وحكومة السودان تملأن التعلب على هذه الآفات بالوسائل العلمية. ومتى كان ذلك ممكناً فشكلة اليد العاملة هي المشكلة الكبرى. ونعيب عليها لا يكون إلا بزيادة السكان وزيادة سطحها.

ومسألة آفات القطن هي الآن من المسائل التي تستند من حكومة السودان ساية كبرى. وقد تخصص لبحث في هذه الآفات وعلاجها أربعة عشر عالماً نباتياً من خير عمال لا سكازي في هذا الامر يقيمون بالخرطوم كما كان في لندرة جمعية عميه بانية تتصمن وهؤلاء العلماء في عملهم ونجاحهم. فذا نجح هؤلاء في مقاومة آفة القطن نجح قلم الصحة في مقاومة الملاريا وارهري كمت حكومة محصولا وافرأ من قطن يحقق الى حد كبير ما ترمي لسياسة الامبرطورية ايه من رعد لسوديين وهندة اكثرا فئدة كبرى.

وفي انتظار تحقيق هذه المياد تعمل الحكومة لاكثر ماشية وجعلها من مواد التصدير ذات اليراد كما تعمل ترويج حاصلات السودان ترويجاً يتفق ومصلحة سكانه.



ولكي تكون هذه المحبوبات متاحة يجب أن يكون الأمن  
شاملاً. لابد وأن تكون في سلم بعضها مع بعض. وهذا هو موضع  
عناية الحكومة الإدارية. وهي في سبيله لا تتردد من المثقت ما  
تأخيه حكومة مقيدة. خطة خاصة ترمي إلى حماية حرية الأفراد في  
صورتها المختلفة. وضمان الأحكام مرفوعة. يراد هو لفظه سائد في  
السودان وكلمة حاكم نعم هي كلمة عابدة

\*\*\*

ويبدو في مقاصد حكومة السودان الخفيفة سط كبير. فقول  
م. ر. الحارطوم في الساعة راحة من بعد طهر يوم السبت ١٩ يدير  
سنة ١٩٢٦ م. مدير مخبرات - وهو كمدير الأمن العام في مصر -  
المصحفين في اجتماع عدة ساعة سادة. وذهبت في موعد بعد  
أن جتارت سيارة في شوارع ترده. وصعدت في س. قبل الارتفاع  
قبل اوجاهة والمدة على سلم صيق من حجر الجبل حتى انتهت إلى  
غرفة المدير. فغيب مصحفين جالسين على مقعد دركت لأول  
م. رئيسها حضرت حصيصاً هذه العناية وإن المكان ليس به عدة  
ير مقعد مدير. وكان هذا رئيس مصحفة شعراوب. فما انتظم  
عندما شرح مدير المخبرات برنامج أيامنا في الحارطوم وبرامج حفلة  
افتتاح الخزان. فيوم الأحد للراحة من عناء السفر واليصع كل به  
ما شاء. ويوم الاثنين عيد الملك ونصحفيون مدعوون فيه لحضور

حفلة الشاي . ويوم الثلاثاء لا عمل فيه . ثم الاربعاء في مساءه  
يسافر الجميع الى مكوار حيث يحضرون الحفلة يعودوا الى الخرطوم  
صباح الجمعة . ويوم الاحد يدفرون قافلين الى حيفا فمقاهرة .

على ان اعرض من الاحتياج عند مدير المحارب لم يكن مجرد  
معرفة البراءة ، بل كانت للتدعيم على طريقة ارسال التوقيعات من  
مكوار ومن بركات ، ومن غير ان يرتك خطب كثيرها ، ومن غير ان  
يرتبك الصحفيون اذا اضطروا الى الذهاب لمكتب التعرف ولى  
دفع الأجور . وانتهى الحال بالاتفاق على ان تعفى الخطب التي سبقت  
في الاحتفال طهر الأربعاء على ان لا تداع إلا بعد انقضاء طهر خمس .  
وكان ذلك يسيراً نعطى الأسيرة لى مصلحة التعرف في القاهرة  
وفي لندرة كي لا تورع الخطب الا بعد صدور ثمر أخرى . وانفق  
كذلك على ان يرسل كل مندوب من مندوبي صحف عدد  
معيّن من الكلمات لا يتعداه حتى لا يزدحم الخط وتتاحر الرسائل .  
وعلى ان يدفع كل صحفي تأميب بالخرطوم فلا يضطري لذهاب نفسه  
الى مكتب التعرف في مكوار وبركات بل ترسل هذه المكاتب  
بمندوب من قبيل يشقى التعرف من الصحفيين

وفي صباح اليوم التي ذهبت اقبال رئيس مصلحة التعرف  
لادفع التامين ولستم اتفهم على ما اتفقا بمحصرة مدير المخابرات عليه . وكان  
معي صحفي ذهب لثقل الغيبة التي ذهبت اليها ، فغيبا غرفة هذا الرئيس

الأكبري غاية في البساطة ولم نجد عنده ما نحس عليه مما اضطره  
لاستعرة مقعد من حرف المجاورة . ولم يطل بيتنا الحديث ولم يعد  
الغاية التي قصدنا إليه فقصنا ، في دقائق مادي إليه الموهبين المختصين  
في ذلك ، بتذكير الصحبة ، وتسموا مع التأمين الذي أردنا دفعه  
وتركنا لمكتب بعد دقائق معدودة . وعلى أثر خروجنا أخذ  
أصحاب المقعد متعدهم .

ونرى من عندهم ممر را رئيس مكتب يريد الخرطوم ، وهو مصري  
من الاقط له ناسودان أكثر من عشرين سنة ومع ما قابلنا به من  
النشر والخدمة لم نجد عنده هو الآخر مقعد نخلس إليه . ولما لم يكن  
له عنده عمل خاص استأجرنا وظل مصروفاً لعمله مكماً عليه . وسأله عن  
ساعات العمل فإذا متوسطية في يوم بين ست وثمان . لكنها مع  
هذا لا تكس على العمل تكفل الخار حط منه عظيم .

وهذا نشط تشهده في سير هذين من مصالح حكومة السودان .  
وعلى نظام العربي الذي تخصص له هذه البلاد والذي يحصل كلمة الحكم  
أعده أعيا في كل شيء ، له ثمره في هذا النشاط الدائم . وإن صح  
هذا سلك مصداقاً لأن المادي المطلقة لا وجود لها في الحياة .  
فليس شيء حيراً مطلقاً وليس شيء شراً مطلقاً . بل في كل شيء من  
الخير وشر واسع وأضر صيب . ومن استطاع أن يعط جائب  
أخبر في شيء من لأسيه أو في نظام من النظام هناك لعمل الحكيم

على ان هذا النشاط الذي ربيت لا يتعدى ما تقضي به الروابط  
المادية التي تشار اليها لورد كرومر في كل ما ياتي صدره بها هذا الفصل.  
وكل ما سوى ادارة شؤون البلاد والعمل بزيادة ارجاء اهله لا يظهر  
له في حكومة السودان بالخرطوم أثر كبير . وقد ربيت في العطرة  
كيف تقف لمدرس لتامة للحكومة عند تخرج صغار الموظفين ومن  
يقومون ببعض اعمال الدولة الحكومية كالكتابة والاعراف . وكيف  
تقف مدرسة الامريكان عند تعيم الابناء لا يزيد عن مقبل  
السنة الثالثة الابتدائية . وعبء الحكومة الرئيسية في الخرطوم شؤون  
التعليم لا تتجاوز مثل هذا الذي رأيت عند العطرة كثيراً . ففي  
الخرطوم حفا كلية غردون . وبها مدرسة للطب اشنت حديثاً  
وببيت على طراز كليات اكثرا . لكن لتعيم في كلية غردون  
لا يتعدى التعليم الثانوي على نظامه القديم وبرامجه القديمة في مصر ؛  
أي انه لا يتعدى ان يكون وسيلة لتخرج موظفين رقي من الموظفين  
الذين تخرجهم مدارس العطرة وغيرها من بلاد الأخرى في  
السودان . ومدرسة الطب لا تزال مدرسة حديثة افتتحت مد عام  
واحد وطلبها لا يريد عددهم على اثني عشر طابقاً وما يزال نظام  
تعليمهم غير محدد . وهو محب أن يتفق مع السياسة العامة التي ترمي  
إلى اقامة للعلاقة المادية الحسنة بين الحاكمين والمحكومين ليس غير  
وقد يكون للحكومة السودان العذر اذا تشبثت بهذه السياسة في

السودان . وسودان بلاد واسعة مترامية لأطراف وتهيأ يراون  
على جانب من اسدحة عظيم . ويمر منها لا تتحور الى اليوم خمسة  
ملايين . نعم من من اعدية تطعيم وريادة ايراداتها . وه تزل  
طرق مواصلات فيها قيد من سكة الحديد التي شها الجيش  
المصري بين حمد والخرطوم . ويعد مشاب التي تم بعد ذلك  
فوحست ما بين الخرطوم ولايض وه من اعطبرة وهور سودان  
وكسلا . وه ما توجد الحكومة زكل الأمن في اسلاد وتشر  
الحكامين منها تجمع في معصمتهم بين سطر عيهم واليرهم  
فليس يسر أعينهم . تحو مصحة لاهراضورية ومصحة السودان  
باتسعة له .

فأما شعور الحكاميين بسطر الحكومة عيهم فمظهره القوة  
المسلحة التي تمت على اعيشي وفتح السودان وحضعت عصانه .  
واثر كانت هذه القوة الأولى مصرية ولاكانز يعتقدون أن  
وجودهم على راسها يجعل أهل اسلاد يعتقدون أنهم وحدهم  
أصحاب الكلمة سواء أبيع هذه القوة في لبلاد . اخرجت منها .  
وأما من الحكومة من مظهره . قدما من عديتها ياسكان وصحتهم  
وشطهم وتخصيص صرائب انشرة عيهم . كما ان من مظهره هذه  
الانتاب وكى تشريفة التي وقتت على شي من مرها يوم عيد  
الملك وتي بحرص رعم السودان ورؤساء قبائله عيهم حرصاً شديداً

يدل على ما حدث من شدة الجوع على يدى بعض القبائل تحت رئاستهم و  
 رعاتهم من السودانيين ، وى لى كبر من الموظفين بحكومة السودان  
 ان الحكومة دأست على أخذ هؤلاء الزعماء استردت منه كونه .  
 ولا تسل عن ما عى اى يدى هذا الزعيم في سبيل ستعادة هذه  
 الكسوة ، ولا تسل عن الجهود التى يقطعها على نفسه متى عادت الكسوة  
 اليه . ثم ان من هذه الكسي . . . قديماً نجر اللوب عدلت عنه  
 الحكومة الى الزى الكحلى . والكسوة اذا بيت ردها صاحبها  
 الى الحكومة فبدلته منه غيرها . وقد لوحظ ان من اصحب  
 الكسي احمر ، من يفعل رتد ، عديم منه على اري حديد لأن  
 الحديد كحلى ولأن الاحمر كثر بهجة ولعله شد ثراً على الرؤوس  
 ويكون اسس كبر سمور من الحكومة به تنظيم الحكومة  
 الدعوة في الحى البلاد للاستادة بهذا اير وتذكير اسس بما  
 كانوا خاصعين له من قبل من وان لاصطهد وما كان يتناهب في  
 الماضي من مصالح ومعارم وسل . وكانت اصحفة قبيحة الحدوى في  
 بلاد قل فيه من يقر . ويكتب كانت ادعوى سموية على اسس موضي  
 الحكومة والمتصدلين بها من الدين يتكلمون لغة البلاد ، سوء منهم من  
 كان من أهلها ومن كان أجنبي عنها ، هي العمدة في هذه الدعوة التى  
 قساعد الى حد كبير على تبيد النظام والنظم بينة في روع السودان .

على أن بعض المدعى يعلون في دعوتهم الى غير حد . واذا صح ما سمعته من أن حدهم ينسب وجود مرض ازهري في السودان الى أيام دخول العرب فيه منذ قرون ماضية كان ذلك أدل ما يكون على المدعى والافتراق فيها . فإن هذا المرض الذي يسميه كثير من أهل الريف في مصر «الافرنخي» إشارة الى دخوله مع الافرنج أيام الحملة الفرنسية في «وحر نقرن الثمن عشر» لم يعرف في مصر ولا في السودان قبل ذلك لتاريخ . دع حياً اسراق المدعى في تشويه الحكم المصري في السودان فهذا ما سمعته من كثير من كتاب الاكابر وخطبهم في اسكترا وهد ما سنعود اليه في فصل مقبل .

على ان هذه حدود الصحافة في بلاد السودان لم يمنع حكومة السودان منذ افتتح من أن تشمل بعائتها حريدة كانت من قبل ذات اتصال بحريدة المقطم في مصر . تلك «حصارة السودان» . وقد ظلت هذه الحريدة متصلة بالمقطم الى أن انجبه نظر الحكومة الانكليزية لتزع السودان من نفوذ مصر . من حينئذ استقلت حصارة السودان وصارت متصلة بحكومة السودان وعهد تحريرها الى واحد من أهالي السودان . ادين تعملوا في الأزهر .

وهذه خطوة في تنفيذ سياسية البريطانية التي تقضي بأن تكون وطائف حكومة السودان للسودانيين قدر المستطاع وخطوة . ومثلها أن حرمت الحكومة على غير السودانيين الالتحاق بكلية غردون بعد أن

كان المصريون والسوريون يلتحقون بها . والغرض من ذلك أن  
يزداد عدد المتخرجين من هذه الكلية من أهالي البلاد لتسند اليهم  
الوظائف الصغيرة في حكومة بلادهم . لكن هذه ما تزال خطوات ضيقة .  
وما يزال أكثر موظفي حكومة السودان من المصريين ومن السوريين .  
ورغم ما كان من إحراج عدد كبير من الموظفين المصريين بعد  
أن نشرت حكومة العمال البريطانية الكتاب الأبيض الذي صدر  
في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٢ توقيع رئيسها مستر ماكدونالد على  
أثر المفاوضات التي حث به وبين رئيس الحكومة المصرية في  
ذلك الوقت سعد باشا زعزل وبعد الأنداز الانكليزي الذي وحث  
به حكومة المحافظين الانكليزية في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ على أثر  
مقتل حاكم السودان العام السير لي ستكاشا - برغم ذلك فما زال  
في خدمة حكومة السودان عدد عظيم من المصريين الذين لم يظهروا  
ولم يكن لهم دور في الحركات السياسية التي قامت في السودان  
سنة ١٩٢٤ . وبعض هؤلاء المصريين مسلمون وأكثرهم مسيحيون .  
أما السوريون فما زالوا في خدمة حكومة السودان كما كانوا من قبل  
وما زالت الثقة بهم أكيدة مطمئنة . وهم لا ريب أهل لهذه الثقة لأنهم  
يقومون بخدمة الحكومة القائمة خير قيام . ولم لا وليت لهم ولا  
لبلادهم في السودان مطالب سياسية تحرك منهم عصباً أو عاطفة  
يخشى أن يكون لها في السودان أثر ، وليست تتحرك أعصابهم ولا



عواظهم إلا ما يصيب بلادهم . فهم دائئو التحدث عنها والخبرين  
لها ، كما أن كثيرين منهم ، يفتنون بدونها ثم يوحشون على أنفسهم  
إمدادها به

وهؤلاء الموصفون في حكومة السودان من اسوريين والمصريين  
يعملون بما يعمل به رؤساء الاسكيز من شط وهمة . وهم ينفذون  
السياسة التي يرسمها هؤلاء الرؤساء بذمة ودقة . وهذه السياسة  
تتخص فيما تنسأ في صدر هذا الفصل من كتب البورد كرومر :  
تحسين علاقات لمادية بين الحاكمين والمحكومين . وهي من غير نزاع  
خير سياسة يمكن اتباعها في بلاد لا تجمع الحاكم والمحكوم فيها رابطة  
من حسن نوعية ودين

## يوم بأسم درمان

كان ذلك يوم الثلاثاء ١٩ يناير سنة ١٩٢٦. قمت مبكراً  
فبصرت بأشعة الشمس تطل من خلال السافذة المنقذة طول الليل  
وكأني أرى أم رؤوم تلمس على ألبها بخن وعطف كي توقفه من نومه.  
وسمعت ومازل ناعماً بدفء العطاء أصوات العصافير في حديقة  
الفندق وكلها البهجة بشرق الشمس وبعود النهار والوراء. وجاء  
الخدمة ناشي ولبسكوت وطلبت إليه أن يحضر طعام الإفطار  
بالغرفة حتى لا أصبح الوقف لكي أدرك وصدقي ترام الخرطوم الذي  
يقوم في منتصف الساعة التاسعة قصداً لمتنر لتقود الباخرة بعد ذلك  
عبر النيل إلى سواطي. أم درمان

وك بعد المتنر حوالي الساعة التاسعة. وانتقنا من الترام إلى  
الباخرة وانتقل معنا كثيرون من السائحين ومعهم بعض عربات  
اتوا بها ليطوفوا أم درمان فيها. كما انتقل مع جماعة من الأهالي الحمر  
والدواب. وظل هؤلاء في الطابق الأسفل بينما صعد الذين يدفعون  
أجر الدرجة الأولى إلى الطابق الأعلى. وتحركت الباخرة على هون  
وفي هدأة وسكون بعد ما تقضى ما كان صغيره قبيل تحركها من  
رفير في الهواء وشبهق

واستدارت البحرة ودائم درمن ما نزل في الحجب ويدا  
 اكثر مسافرين ووجهون اصارع صوب الخرطوم يطعم كل منهم  
 في ن يملأها جميعاً بظرة واحدة. وتندى شارع امتد على شاطئ  
 النيل الأزرق قامت عليه الاشجار الضخمة مكلمة لهم بحصرة راهية،  
 كما بدت من ورائه بعض ماني الخرطوم وطرقها كأنها صوامع  
 نكثت في الصحراء على مقربة من واحة ذات خصب وفاء.  
 وصلت البحرة تستدير إزاء حريرة توني رهه ساعة حتى إداء قارنا  
 الشاطئ، وحه مسافرون نصارع صوب عاصمة الدراويش .... لا إن  
 للدين يعجرون «خرطوم لعذرا!». فهذه المدينة القديمة لا يربس شاطئ  
 نيل الأبيض ما يزين شاطئ نيل الخرطوم لأزرق من الشجر. بل  
 يقع مظهر عند مرسى البحرة على رمل صحراوي انت مضطركي  
 تتحفظها إلى ن تعوض قدماك فيها. وإذا حزنت بعد جهد وبلغت  
 ترما هو انرام خرطوم صنو وتوأم صادفت عيك من المساكن  
 والمباني ما يزور عنه نصرك لبقدرته وقدرته. لكسك تشعر كلما سار  
 انتم وتصل في مدينة لك في مدينة سودانية حقاً، وترى بعد برهة  
 أن مباني واقعة عند المورد عنوان سي. لأم درمان، ون فيها مثل  
 ما في الخرطوم من المنازل والمتاجر والمناظر وإن لم يكن فيها ما في مقر  
 حكومة السودان من ضواء الكهرباء ومن مظاهر المدنية التي أقامها

الحاكمون في مفر حكمهم بترفيه عن أنفسهم ولتيسر لهم حياة في  
جو وفي بيئة وفي سطر لا ينفوها .

نزلنا من اترام عند متحر مصري من أهل سوان عرفه في  
الخرطوم . ولست نألو ان نأقتل هذا متحر وبعض المتحر  
الواقعة الى جانبه نجل ودعي الاحترام من أكثر متحر الخرطوم .  
على ان ذلك يس عجباً وصاحبه يتصل بالكثير مباشرة وعنده في  
مصر تحفة كبرى . وقد قابلنا بالترحاب وسألنا ان كنا نشرب  
« الجبنة » ، وحببة قهوة أهل السودان . وانظرت لأرى أي نوع  
من القهوة يصنع هؤلاء الدين ، ولو يعيشون شش الدواة .  
واستعرضت شش انتطاري صوف القهوة اساحة والمردة شش يصنع  
في مصر وفي اور . فحين في مصر يطحن البن وضعه في الماء الى ان  
يعلى ثم شره . ثم في اور . فيدقون البن حتى يتكسر ثم يصبون  
الماء الغالي في مصفاة وضع فيها لبن كي يبر الماء به ويال حيرة . وما دام  
أهل اور يا أكثر منا حضارة فهذا التدرج في صناعة القهوة يبعث  
الى الدهن ان أهل السودان يصفون لبن سقاً . وكنت فكر في  
شيء من هذا حين جاءت « الجبنة » . فنذري ما هي ، وء كروي  
من الفحار له فوهة ضيقة طويلة يوضع اللبن فيه بعد ان يدق حتى يتكسر  
ويعلى بعد ذلك في . ثم تعطى فوهة لجة بقطعة ناعيفة من ليم  
النخل كي تحجب اللبن لمدقوق كي تحجبه مصفاة الفضة والمعدن حين

يصي لنا وهذه هي شبهة أهل سودان ! رأيت . هي دن كفهوة  
الأوربيين سو ، سو . لا فرق بينهما لاني لا ، اني تصنع فيه .  
واذن فقد تنفق ارقى صور الحصار مع سط صور ايسدوة ثم لا  
يكون بينهما فرق لاني الصورة والمظهر . ويكون هذا المظهر وحده  
هو الذي يحول لأصححه حق حكا لأحريين واتحدث عنهم .  
وفت وصاحي : سودان صفة لدرؤيس لاني مدأ سوديانا فعل .  
ما كبر المرق سها وبين خرطوطه . . . . . لاني بها لأرقفة صيقه تمر  
الخرطوطه وسو ، عي ، فم سعة من ضيقها ، وان هـ من ضمت الوطية  
اختيرة ما لا يتفق ومظهر لخطاء الاكاذبي . وكل ما استحدث فيها  
من سوق كبيرة ومن بعض شوارع وطرق وسعة لم يعبر مسحتها  
كمدية سودية اخرى . يرقق الصيق استقوف : واضح من  
الحشب واندي يعيد الى دهنت مطر الحيمة ومحامين : تقهرة . هذا  
هو مقام صنع مراكيب السوداية . وصناع مراكيب السوداية  
لا يستوردون الخلد مدوع ولا ينجون في دماغه في تحدث الوسائل  
معية . بل هم يكتفون أكثر الأمر : ثمة في شمس حتى يخففه  
طهاها . ومن جلد ندي لم يخف مداء هو مقي ماء دكا كبر أهل  
هذه صناعة . ست تشعر الآن بربحها في عات و اثر ذلك في  
حرفت ومعات . . . . . وطر الى ذلك : سرعة اكبر عوار المدينة .  
ليس يحكي ذكرى سرعة الحسنيين في واحة لقرن الماضي .

فهؤلاء اعطارون قد ررت دكا كينهم في الشرب وحس كل واحد  
منهم في هبة ووقار كأنه هو قصي الشريعة . وهذا دكان جوهري  
ما تكاد ترى فيه جوهرة واحدة وان ريت عصا به دققة وحاحه  
فيه جاس وكأنه حديد صاعة . ثم قف الآن قبلا فمع طر ك  
صناعة وطنية تجذب السائح من الأفرح وغير الأفرح به . هذه  
صاعة لعاج . فهذا سن فيل قد خوف ورسمت فيه ذبلة تصغر واحدا  
بعد الآخر كلما قرت من ناحية لسن الدققة . وهذه رخارف طريفة  
من لعاج مموهة بالذهب أو بالفضة . لكن هذه الصناعة اوطنية  
الطريفة الثمينة ما تزال متحيرة عن مشها في مصر تحرأ كثيرا . وما  
تزال توضع في دكا كين لا سبيل لتدريسها مثل متاجر الخرطوم . ذلك  
الى جانب هذا من كثير من مظاهر البؤس ولما قد شاح على وصف  
بعض منه عند أسواق الخرطوم وعند مخزن حبوب سكة الحديد ....  
مع هذا كله فأم درمان مدينة لها حياة المدنية . وفي هذه الأرقعة  
والطرق والشوارع معبد تحدث عن أحبال وأحبال . ولهذا الماني  
التقدمية العير المنظمة تاريخ . عدم النظام أول شاهد عليه . كلا !  
يست ثم درمن عزبة أو مربعة ذات حطط كما شاء له هواه ،  
والكنها قدس لقبور كدست فوق قبور . وهل في غير القصور حياة  
وحصرة ؟ بل إليك لرى نفسك وأنت مدم فضا عظيم فيها لا يفصل  
به وبين الطريق الا حاجر منخفض من س . قد شعرت بشيء من

الجلال يتلأ نبت ومن هبة تفيض بها حو نحت . ذاك حين تقف  
 أمام جامع مهدي حيث يوجد أثر قبره . فهذا الجامع ليس كغيره  
 من المساجد . ليس كمسجد الخرطوم ومسجد تم درما ومثلها مما  
 ترى في بلاد المسلمين طراً . بل هو قصـ مبسط ما تكاد تحيط العين  
 به في نظرة لعظيم سعته ، وليس بينه وبين الطريق إلا اسوار يبلغ من  
 قوة ارتفاعها أنها لا تحجب أرض المصاة الذي تحيط به عن عين  
 الواقف على مقربة منها . لكنه جامع مهدي . وبحسبك أن يدكر  
 هذا الاسم حتى يتلأ هذا المصاة . أمامك بانصـ ولعمري وحتى ترى  
 بعين بصيرتك حياً كاملاً من هذا الاصـ وقد حشد في  
 هذا مكان وحر ساعة الصلاة ساحداً مؤمناً بأن إمامه ومسكه  
 رسول الله وحيمة رسوله أو هو الذي تحب هدى أسس وحلاصهم .  
 أهل . ففي هذا المصاة جمع مهدي من أسودن جميعاً جيلاً بل  
 أجيالاً . وفيه درمن كانت مئات الآلاف مما زاد على المليون وعلى  
 المليونين أحياناً ، وكلهم يؤمن بالمهدي ويرى فيه روح القدس وما يزال  
 هذا المصاة قصـ كما كان . ولئن دسـه قدما لا تؤمن بقرب ربانها  
 بقداسة المهدي مثل ذلك الأيال القديم فاشمس التي طمعت على  
 المهدي وعاده ما تزل تطلع فتعث من أسعها ما يحيي أمام الخيال  
 كل هذا لمطر اقوي الحي منظر المؤمنين شد الايمان المتعصبين  
 أشد التعصب يحيطون تعبودهم يحلوه ويتدسونه . وما يزال

السودانيون وغير السود بين اذ يرون بهذا المكان ويذكرون هذا التاريخ تتلى نفوسهم اكبراً واحلالاً. فادا ذكروا كيف اجلى المهدي جنود مصر عن السودان وكيف امتلأ رأسه بخلاص اعرو واغتنح باسم الجهاد وكيف عجلته الموت بعد ذلك، ثم كيف دس قبره بعد اعادة فتح السودان وكيف ذرى حشيه ومثل بمحمته، دن لراوا هذا الفضاء من الأرض ممعواً بالأرواح وتمثلوا فيه كل معاني ذلك العصر القريب منا والبعيد عنا والذي يجمع على ثم درهم معنى اضاعت الخرطوم ما فيها من مثله بعد عمرتها على الصمورة الحديثة التي نراها ٣

على ان رحلاً من الدين عمروا هذا الفصح يوم كان يدوي باسم المهدي وكان له فيه يومئذ سن يذكره، يزال حياً يرقى . ذلك هو عثمان دقنه . فقد كان هذا الرجل قنطراً يدعى دعوة المهدي في شرق السودان بينا كان المهدي ما يزال في الابيض وما يزال دراويشه بعيدة عن الخرطوم وعن ثم درهمان . فلما استتب له الأمر بعد ما اضطر المصريون مشورة الانكليز الى التحلي عن السودان كان عثمان دقنه في طلائع قواته وقواده . وفي عيد فتح السودان بقيادة السردار كشتى بعد ثلاثة عشر عاماً من وفاته المهدي قبض على عثمان دقنه أن كان أمره قد استفحل وشوكته قد قويت . وظل هذا الرجل في السجن وما يزال فيه . وكانت حكومة السودان



قد نذمت في د. فريضة لحج مدعين فساقر مع شاب من  
أقربائه يريد بيت الله الحرام راحياً أن يتقى بكفة ما بقي من أيامه .  
فلما نشبت الحرب بين سلطان نجد وملكت الحجاز عد ادراجه الى  
السودان وودته الحكومة فيه الى معتقله . وهو قد بيع اليوم من  
الكمر عتياً . وملك لتسحق على رجل مثله تحدثت به الشيخوخة  
الى أحلام الطفولة من حديد حين تسمع . كان من قصته مع  
السردار ستاك دشا حين رآه عام ١٩٢٤ . فلما سأله عن شأنه  
وما تمكن أن يشكو منه وما يمكن أن يشتهي كان جواب المحوز  
المتهدم الذي اهتز السودان من أعماله وأعمال رجله سنين تباعاً :  
لست أشكو إلا من سي واحد . ذلك أنهم كانوا يجيئونني من بلح  
التمر كل يوم أربعين ومائة بلحة . أما الآن فلم يعودوا يجيئونني إلا  
بتسعين . هذا كان كل يوم كان يقضي وقته . وسأل سردار في هذا الأمر  
الخطير فعلم أنهم كانوا يجيئون له بتمر صغير ثم رأوا هذا التمر الكبير  
حبراً له . قال لسردار أعيدوا اليه بلحاته الصغار كما كانت أربعين  
ومائة ولا تكلفوا عنقه وأعصاه كل هذا . الاحمد الذي شكاً ليوم  
سببه

هذه البقية من عثمان دقنه ، هذا الطلل الذي يبدد الثمرات  
التسعين بعد ما كان صاحبه في الشباب لا يعرف غير البطش والثورة

هو الآن حقت كدبت نقضاء الصامت اليوم بعد أن كان اسم الله  
واسم المهدي يدويين فيه كل يوم دوي الرعد وبعد أن كان له ما  
للرعد من بدر سمع .

فذا أنت جاورت هذا نقضاء ممثلي - تصور انساني وسرت في  
طريقك متحججاً في وسطاً ثم درما ريت عن نبيك مسجد ام درمن  
الذي شيد كما شيد مسجد الخرطوم على طراز حديث وما يشهد من  
عبر التاريخ ما يحدث به وهم اس عصرك ومن سمرة قرايك



مسجد ام درما

\*\*\*

وام درما بلدة سودانية . صحيح أنك ترى فيها بعض ما ترى

في الخرطوم من متحر السوريين وامصريين ولحمة من الاوريين.  
لكن هذه المتاحريست قوام حياة أم درمان ، بينما هي قوام حياة  
الخرطوم . ثم نت ترى بدءاً الى حبها مظهر نشاط السودانين  
انفسهم . بل أنت ترى على هذه المتاحر محبة من معنى السودان  
لا تراها على متاحر عاصمة السودان . فداؤنت قليلاً في قلب  
البلد ريت الحياة السوداية كل معانيها . ورثت شيئاً عجيباً .  
فالسودايون في هذه الحياة السوداية ليسوا كأمثالهم في حو الخرطوم .  
فقراء الخرطوم من اسودايين تبدو عليهم وحشة الفاقة ونلها  
وؤسها . أما فقراء ام درمان فلا يابون اتسامة للحياة تسفر عن  
استنهم البيضاء الصعة . ولعل السر في ذلك ان هؤلاء يستمعون مع  
حو بلادهم فيس بينهم وبين ما حولهم من اسس ولكائت مثل  
ما بين اوسنت وم . ينعم به الحكاء من أسباب ارغد والرفاهية .  
اولعله السور بالحرية ن ليس بينهم وبين الحكاء من الروابط  
القرية ما يجعلهم دائمي الاحساس بمراقبتهم ايهم مراقبة صيقة . على  
كل حال فان السودايين والسودانيات ها اكثر مرحاً وأشد  
بالحياة اعتباطاً . مررن اسودايات تبغ ( ارهط ) فوقف صاحبي  
يساوهم . والرهط لباس الفتيات يأتزن به ما دمن أبكاراً .  
وهو حراء من جلد يبلغ عرصه قيراطين أو ثلاثة قيراطين . تتدلى  
منه حيوط ربيعة من الجلد ايضاً . وهي كثيرة كثيفة ، فإذا شدت

الفتة حزام رهط على خصرها سترتها هذه الحيوط حتى ركبها .  
 وليس يحصرني الرهط شبه فيما تقع عليه عين اهل الحصاره إلا ساس  
 بعض اراقص في لاوبرا وغيرها من المسارح الكبرى . غير  
 أن بينه وبين نس اراقصة ما بين ( الحنة ) وإناء القهوة  
 الفرنسية من فرق . فإذا تروحت ابكر السوديه خلعت الرهط  
 وأترت ناقماش مكانه .

وقف صاحبي بساوم بأعات الرهط ويساين ما بل هذا الرهط  
 أحمر مصبوع وذلك الآخر على لونه الطبيعي . فبنست افقيرة  
 السودانية انسامه قائمة وجاهدت لثبهما واحتهدا لفهم ان هذا  
 المصبوغ أخط في صف جلده من الآخر وهو لذلك أقل منه ثمناً .  
 ولتريدا اقتاعاً تدوات من تحت مقعدها خلدن أحدهم أرق من  
 الآخر حالاً وهو اندي يصنع اتواري الصبغة سواته . ثم أمكت  
 بيمها نصلاً أسكين قديم ولفت بعض الجلد على بهاء قدمها وشده  
 اليها يسرى يديها وأردت أن ترى كيف تصنع حيوط الرهط  
 المتداية من حرامه . كل ذلك من غير أن تفارق فاما ابتسامته  
 الماطقة بالظلمانية لشظف العيش بل لبؤس الحياة .

قال صاحب من السوريين المقيمين في أم درمان كان معنا :  
 ليت الحظ يتيح لكم أن تشهدوا حفل زواج هنا . كنتم فيه ترون  
 صورة ظريفة من صور الحياة السودانية . وكنتم تدهشون مد فيه من

شه باخترلات لاوسنة مع اسراف في لتقدم والتبرير على الاوربين.  
ففي هذا الحفل يجتمع ست الطبقة التي منها العروس ويرقص ويمسح.  
ثم يتقدم الخطيب الى عروسه يراقصها وهي كذلك عرية لا يترها  
الا هذا رهط الذي ترون . فاذا تم دور ارقص تمسك بيده سبعا  
من حيوط ارهط تجذبها حذبة واحدة . فان اقتلعها فهذا الرجل الذي  
تفخر به عروسه . ثم ان يخرج عن اقتلاعها فله ولد اعر والحفل .  
وكثير ما يترتب على اعر من جاسه مسيح ارواح .  
قل صاحبي ادي جاء وايي من الخرطوم .

وما نزع حيوط ارهط الى حب تزواج نسان حمر الطود ؟  
قلت ذكرين قرأت عنهم ان اشان الذين يريدون ارواح  
يحصرون الى حنة تنف حولها ست القبيلة ثم يتقدم كل شاب الى  
من ينزع ما حول أحد ضلوعه من اللحم وتقر حول المصلع حلقة من  
حديد يشد بها حل منين يربط بعد ذلك الى شجرة او نحوها .  
وبعد ذلك ينزاع الفتى للوراء بكل قوته حتى يكسر ضلعه ويخرج  
من صدره حقة الحديد . وفي الشان كان اكثر احتمالاً للآلم حتى  
تنام هذه العمية القسية فله ان يخدر من نوات القبيلة من شاء . اما  
هنا فما حسب حذب خيوط ارهط نسج وانزعها الا ايذاناً بان  
ايام ارهط شئت وان الفتاة ان تكون امرأة .  
ثم تابع السوري المقيم بأم درمان حديثه :

— لعلك • تعد الحق في شيء • فقد سمعت • انقيت كثيراً  
ما يحجرون الحيوط السبع قبل رقصة العرس حتى لا تستعصي على  
الخطيب فلا يكون انتزاعه إياها إلا وسيلة اعلان انحراط عرسه في  
ملك الله • وخروجها من ملك البنت •

\*\*\*

وترك السوق وصاغت اريط واثعانة وعدد • در حد تناول  
طعام العشاء عند تاجر سوري طريف دعانا الى بيته • وبنت هدى  
التاجر مثل لعيده من بيوت السودان • صنع من اللبس أو من  
« الجالوس » وجعلت نوافذه على الجهتين البحرية والقبسية معبر  
الهواء الصحي في السودان إذ يكون شرباً حياً وحيوياً حياً  
أخرى • وله قضاة عرس صرحه فيه بعض الاسرار وهو يتكون  
لعين بهجة وحين القبط ضلاً يبقى لاسان به لافح هجير • وكان  
الى جانب هذه « حبة » الضريقة قضاة حرم من حصص لثرية  
الديكة الرومية وجدنا به حوالى الحسين أو السنين • حين در  
نرى البيت ومشملائه •

ويعيش هذا التاجر في سعة من اسمه وينهل من صوف الشع  
المختلفة بما يرفه عنه الوحدة ويهون عليه العيش في بلاد نائية يتبع  
الثروة كي يعود بها الى أهله ومستقر رأسه فيكون فيه موضع الاعتراف

والأكرام . فعده « مونيوفر » لطيف جمع له من مختلف  
 « الاسطوت » شكالا ولوانا . وفي ركانه نبحار سوري يقيم بأمر  
 درمان هو الآخر وينقل اللعب على الكحة اتقاناً حساً . وكان معا  
 بين ادين دعوا الى لعناء سوري آخر جميل الصوت . وانتظمت  
 الحلقة وبلغت من ابهجة أن سى الاسان أين هو وان خيل اليه  
 أنا في إحدى بلاد سويسرا تتمتع من بديع جمال الطبيعة بغير ما يستمتع  
 به الحس الظمى . الى معاني الجمال . فعما بدأت موليات النهار تولي  
 ذكره انا مدعوون الى طعام اعشاء عند أحد معارفنا بالخرطوم  
 فشكلنا صاحب الدعوة وسرنا حتى محطة الترام الذي أقما الى الباحة  
 وعلى المقرن قالى دار صاحبنا

وترك هذا اليوم الذي قصيته بأم درمان في هسى أحسن الأثر .  
 فقد رأيت مدينة سودانية حقاً . ورأيت حياة سودانية بشعر أصحابها  
 أنهم في بلدهم وان عريب عنهم دل عندهم وأنه في حمايتهم وهم  
 ليسوا في حمايته شأن سوديين اقيمين بالخرطوم . وهذه الحياة  
 السودانية في أم درمان هي التي قصت على ما كان من محاولات  
 لتفضاء عليها كمدينة ولجعل الخرطوم كل شيء . بل ان من الس  
 من يعتقد ان اجسر امي ينشأ الآن بين الخرطوم وأم درمان  
 سيزيد عمارة هذه المدينة وسيعيد اليها كثير من سلطانها أيام كانت  
 عاصمة لدراویش . وما أطرب واحداً من السوديين الا يفتبط

لهذا ويسريه . بل حسب ان الذين شعروا حين مقامهم في السودان  
باعتلاف قلوبهم نحوه لشعرون هذا الشعور وليحفظون من أم  
دِمال لا من الخرطوم ذكر السودان الصحيح .

---



### حفلة افتتاح خزان سنار

الاربعاء ٢٠٠٠ يدير سنة ١٩٢٦ الساعة الثامنة واندقيقة اربعين  
مساء : اقيام بالفطور المخصوص من الخرطوم الى مكوار لافتتاح  
خزان سنار رسمياً

الخميس ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ منتصف اساعة تسعة صباحاً .  
الوصول الى مكوار والى خزان سنار

الساعة الحادية عشرة صباحاً . حفلة لافتتاح

الساعة الرابعة بعد الظهر : مشاهدة وابورات الخليج ببركات

الجمعة ٢٢ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة تسعة صباحاً . الوصول  
الى الخرطوم عاشرين بعد الحفلة

هذه هي مواعيد السفر للحفلة رسمية بني سافر جميع من  
مصر وسافر مع من سدره الى الخرطوم لحضورها . ولقد وزعت  
عيب مذ وصور الى الخرطوم كرامة فيها هذه للمواعيد وغيرها مما  
تقضيها تفاصيل الحفلة كما احتوت على سائر مواعيد حركاتها بالخرطوم  
واد كما ضيوف معالي حاكم السودان العام فقد عنيت حكومة  
السودان اثناء الرحلة كلها براحتهم . لكنها كانت شدة عناية اثناء  
اسفر من الخرطوم الى سدر واهود من سدر الى الخرطوم .

فرسلت الينا في منتصف الساعة الثامنة من مساء الاربعاء ٢٠ يناير  
عربات كبيرة تنقل أمتعتنا كما أرسلت اوتومبيلات في اساعة الثامنة  
واربع كي تنقلها الى المحطة . وما كدنا نصلها في هذه الساعة التي  
أرحى فيها الليل سدوله على الوحود حتى العينا جمعاً كبيراً من الرجال  
وانساء لا يتيسر تمييزه في هذا الوقت . فما آذر للقطار أن يتحرك  
في الساعة الثامنة والدقيقة الاربعين لترتفعت أصوات هذا الجمع  
الحافل بزعر يد النساء وبشيء يشبه الهتاف من الرجال . واستمرت  
هذه الزعزعة رماً طويلاً كان القطار يسير في انحاءها الهويبا  
مستديراً الى اشرق كي يحادي النيل الأزرق ويتبع شاطئه حتى  
يصل الى سار

هذه المجموع الحافلة وهاتيك انساء المرغدة لا نعرف جهرتها  
الكبرى شيئاً من أمر خزان سنار . وربما اعتقد كثيرون ممن عرفوا  
عنه شيئاً انه شر لهم لأنه يحجز الماء فيه وراء ذلك ليلد الثاني حجاراً  
يحول دون فيض النيل الأزرق على حياض أراضيهم كما كان  
يفيض من قل فيدع لهم الفرصة التي يزرعون فيها الدرة . لكن هؤلاء  
الرجال حشدوا لأن حكومة السودان أرادت أن يحشدوا وهاتيك  
النساء وزغردن لأن حكومة السودان أرادت أن يزرغردن . وهم جميعاً  
واجبة عليهم طاعة أولي الأمر . ولهم في أهل مصر اسوة حسنة إذ

يحتشدون لمبة واعيرة في مواطن كثيرة حسب ما قلنا به أهواء  
الحكام وشهوات الياسة .

واطلق القطار يسري في دحى الليل ويحترق الظلمات وينهب  
الأرض ، وتتناجى جماعة الصعديين في شغل تلاوة الخطب التي وزعت  
علينا والتي أعدت يقيها لورد جورج لويد مندوب اسكتلندا اسامي  
وسر خوفري أرشر حاكم السودان العم واسماعيل سري باشا وزير  
الاشغال بمصر في حملة العد . واضطرت أنا لنقل خطاب حاكم  
السودان الى العريصة أثناء سفر القطار لأنه لم يكن قد نرحم . فلما  
انتمتة جعل مكاتب اتيمس يسألني رأيي فيما حوته هذه الخطب  
وهو معجب بها ولها عجب

وقمت الى مرقدي قبيل منتصف الليل فلما يقظا الخدم لتناول  
شاي الصباح كان النور قد انتشر في الأرجاء وتبدت من الجانبين  
سهول عامرة طلت نحاذا حتى وصلنا محطة مسر قبل الساعة السابعة .  
ثم تحرك القطار منها بطيئا الى مكوار على مقربة من الخزان والى  
جانب المكان الذي تقدم فيه الحملة الرسمية .

ماذا أرى؟! .. ما هذه الألوف المؤلفة من خلق الله هل اسود ن ؟  
وما هذه لطبول ورمور وما هذه الرغريد تشق عمار الجو وما هذا  
العيد الذي ليس فيه أولئك السود الأبيض الجديد ؟ وما هذه  
الأعلام المصرية والبريطانية يلعب بها نسيم الصباح العليل ؟ ما أظن

أكبر مدن دولة من دول الخلفاء كانت ماثجة بالناس يوم  
وضعت الحرب الكبرى نوارها موج هذه البقعة المحيطة بترعة  
الجزيرة وخرابها... تحقق ان اولئك كلهم جاؤا ساعث من شوة  
الجدل واضرب بسعدون برؤية الماء ينزل في ترعة الجزيرة ؟ ثم  
انهم حشروا اليه كما حشر الممرعات والمغنون في الخرطوم ؟ وكما  
يحشر الناس في مصر دمرأ للقباء كبير أو اتحية نمر .

قلت لأحد كبار الحكام في حكومة السودان : انكم لأشد  
من حكومة مصر مهارة في حشد الناس وحشرهم وبرع تسيلا لما  
تريدون أن يكون حاسمهم وسعورهم

قال وعلى ثمره انسمية جمعت الى التهمك الانتصار . لكما  
لأنحشرهم الاناسة عطيمة كهذه المدسية . ثم في مصر ثما أكثر  
ما يحشرون .

وقف انقطاع إردن عند مكان الحفصه فكان هذا المكال الى يساره .  
وكان خزان ترعة الجزيرة نومه ، وقد امتدت عليه وعلى الخزان كله  
قضب السكة الحديد التي ينتظر أن تمتد بعد ذلك الى كسلا . وكان  
مقرر أن يقوم القطار بنه فيتخطى الخزان كله وعرضه ثلاثة كيلو مترات .  
لكه كان يقوم بعد انتهاء الحفلة . لذلك فصت أن تسير ولو الى  
متصف الخزان راجلا كي أحيط بشيء من أمره حبرا . وأول  
ما توسطت خزان ترعة الجزيرة رأيت هذه الجموع التي ترى في

الصورة على ساطع ترعة الأيمن والأيسر وقد اعتلى عدد كبير منها  
لك الأكمة الطاهرة . فما كنت ترى لا ملابس بيضاء ووجوهاً



( صورة شخصين داخل حوزة ترعة لمدينة )

سوداية واقفة تحت الشمس في صمت وسكون كأنما انشقت أرض  
الأكمة عنها بعد أن كانت حبل بها فبعثت خلقاً جديداً

وتخطيط ترعة الخريرة فوق حسر الخرن ومعت في سيري  
على الجسر في امتداده عد الشاطي، الثاني لليل الازرق . وبلغ  
عرض خزان ترعة الجريرة مائة متر وثمانية أمتار، يسير الحسر بعدها  
فوق أرض صلبة مدى أربعمائة وتسعة وثلاثين متراً ثم يتد بعد ذلك  
فوق خزان احتياطي عرضه مائة وخمسون متراً، يحوي بعده خزان  
النيل الازرق نفسه وعرضه ستمائة متر وستة أمتار، يلتصق به خزان  
احتياطي ثانٍ كالخزان الاول في عرضه، ويسير الجسر بعد ذلك فوق  
الأرض الصلبة مائة وسبعة وثلاثين متراً أخرى . وبذلك تصبح  
هذه الاعداد جميعاً ثلاثة كيلو مترات وخمسة وعشرون متراً

الى يمينك حين تخطيط الحسر من فوق ترعة الخريرة الى تجاه  
شاطي، النيل الازرق الشرقي ترى خزان سار حجر الماء فيه ذلك  
الجسر الذي تسير عليه تحمل معه بحيرة واسعة ما يكاد يحيط بكل  
جوانبها نظر الزئي . وكان الماء يومئذ زرق ررقة العقيق وورقة السماء  
وكان الجو صحواً صافياً . فما انعدت عن ضجة ألوف من حشروا  
الى شاطي، الترعة وطلعت من الجسر فوق محرى النيل الازرق وهبت  
على نسيمات الصباح ارقيق أرسلت بنطري استطاع شيئاً من خبر هذه  
البحيرة المتسعة الى يميني . فما عجزت عن الاستطلاع رددت الطرف  
يسرة فاذا ترعة الجريرة تنتظر افتتاح الخزان ليرتفع الماء فيها، واذا النيل  
الازرق فيما وراء الخزان محصور في ستمائة متر بينما تنهادى مياه الخزان

في ثلاثة آلاف وخمسة وعشرين متراً واداً الفرق بين ارتفاع مياه  
الخران وانخفاض مياه النيل الازرق يأخذ بالمطر فعلاً ويدعو الى  
شيء غير قليل من التفكير في هذا العمل الهندسي العظيم وآثاره في  
السودان وما قد يكون من رد فعل على المياه الازمنة لمصر  
في منتصف الخزان عرفة عبيد، وحدث من نحاس نقش على واحدتهما



تاريخ بناء الخزان وعلى الأحرى بناء حكام السودان أثناء بناءه  
والمهندسين الذين تعاقبوا هذا البناء. وفوق هذه العرفة رفع العلم المصري

مقابل الغرفة صفت مقعد كثيرة يستريح عنده المدوب السامي  
الذي جاء مع صبح له يشهد الحران ويسأل « مهندس المقيم » عما  
يريد أن يسأل عنه من المعنومات الخاصة بهذا البناء المهيمن . وقد بقي



(مكان المصباح)

المدوب والحاكم العام وأصحابهما حين عودتي راجعاً إلى مكان  
الاحتفال . وكان حتماً أن أسرع بالعودة وإن راحل وهم مستقلون  
السيارات . وعدت فقايت كثيرين من المصورين والصحفيين مسرعين  
بالعودة كذلك . فلما بلغت إلى حيث كان القطار واقفاً انحدرت يمة



حيث قُيِّمت مقلة المدعوين ترفرف من حولها الأعلام المصرية،  
وفي ظلالها قامت صفوف مدرجة من المنضد الخشبية الطويلة ليحلس  
المدعوون عليها

أمام هذه المنطة وضعت منصة للخطابة ووضع فوق المنصة  
وق لتضخيم الصوت حتى تسمعه هذه الألوف المؤلفة جميعا . كما  
قامت فوق المنصة يد في شكل « آمنحوت » متصله كهربائيا  
فتحت الحزان حتى اذا دارها المدوب السامي انفرج باب الحزان  
وحرى الماء منه في ترعة الخزيرة .

وفي الساعة العشرة عد المدوب السامي والحكام العام وقرينتهما  
وحسوا الى المنصة وحلس معهم معالي اسماعيل سري باشا وزير  
الاتعمال بالوزارة المصرية في ذلك الحين . وحلس من ورائهم الشيخ  
محمد الطيب هاشم قاضي النيل الاررق الذي كلف « غناء ترجمة الخطب  
من الانكليزية الى العربية .

ثم قام السيد جوفري آرشر حاكم السودان العام ولقى خطبة  
هذه ترجمتها

« يا فخامة الورد : اني بالاصالة عن نفسي وبانابة عن ضباط  
وموظفي حكومة السودان وهذا الجمع المختشد وفي الواقع بالنيابة عن  
سكان هذه البلاد ، نرحب بفخامتكم ترجيا قليلا . كلنا نعلم حق العلم  
م بدلتكم فخامتكم اثناء تقلدكم منصب حاكم بوماي من العناية الفائقة

والهبة العظيمة في مور الري وغيرها من مشروعات الآيلة لاسعاد  
الشعب وترقيته المادية . ولم يمض بعد سنين على وضعكم الحجر  
الأساسي لذلك العمل العظيم على نهر اسد الذي أطلق عليه اسم  
خامنكم فدمي قد طر لوبد اما تقدر عظم ملامة هذه الفرصة بنجاسة  
زيارتكم الأولى للسودان كمديوب سام للاحتفال باقامة حران سار ،  
ذلك العمل العظيم الشئ خير هذه اسلاد . هذا واما يا حمة اللورد  
للتفاهل حيراً بحس المستقل لوجودكم يساً في هذا اليوم . ولا ريب  
عندي ان السودان في أيامكم ومصل عديتكم يباع شأواً بعيداً  
في سبيل انجده واملاح . وكذلك تود يا حمة تورد ان تعرب  
لكم ليوم عن مل عظيم هو نكم كمثل حالة امالك في مصر  
تتمكنون بالاتفاق سم مع مصر من ترويح وتوسيع نطاق الاعمال التي  
من شأنها حفظ وصية مبه الليل مدرحة يستطاع معها بدور  
تعارض مصالح تطرين يدة انثرات ، يس في مصر فقط ، بل في  
السودان أيضاً .

وان العمل العظيم الذي انجده كاملاً مما في هذه اللحظة  
ما بلغ هذه النهاية الافضل جهديس كثيرين . فقد حل مشروع  
ري سهول الجزيرة موضوع بحث مستشارين البريطانيين الذين  
تعاقدوا في وررة الأسعد مصرية من عهد اسير ويم جارستين .  
فالأبحاث الأونية التي بدأها نتر ديبوي كعب اسير مردوح

مكدونالد بعاونة المرحوم بورد كنشور والسير ريجارد ونحت والمرحوم  
السير لي ستاك. واني لا شك في ان جميع الحاضرين يشفقون أشد  
الأسف لهذه تمكن لسير مردوخ مكدونالد والسير ريجالد ونحت  
ونحت من الحضور معاني هذا الاحتفال. وقد وصلتني اليوم الرسالة  
الآتية من السير من السير ريجارد ونحت (عسى أن يكون افتتاح  
الحران ومشروع خريزة ونحة عصر فلاح حديد للسودان وشعبه)  
ولابد لي في هذا المقام من القول بأننا نحن الذين تربطنا بالسودان  
روابط خاصة تقدر اعظم تقدير اهتمام السير ريجالد ونحت الخير  
شعوب هذه اسلاد الذين حكمهم مدة سبع عشرة سنة بالحكمة  
واللطف. وقد تكرمت وزارة الأشغال المصرية فوضعت بعناية السحاه  
نحت تصرف حكومة السودان كل ما كان لديها من الموارد للقيام  
تخطيط واعداد هذا المشروع العظيم

واني لأشكر فرصة وجود صاحبي المعالي السير اسماعيل باشا  
سري وعبد الحميد باننا سلبان ها اليوم لأعبر لهما باليابة عن  
السودان عما نحن مديون به لجميع الوزراء الذين تعاقبوا في وزارة  
الأشغال العمومية والمهندسين التقديرين الذين جاءوا من مصر وكان  
للمجهوداتهم فصل في معاونة على اتمام هذا المشروع. وسوف لا أنجد  
نحتكم في مثل هذا الطرف السعيد لسرد الصعوبات بقي صادقت  
العمل في بذنه وما رادت الحرب ونتائجها في تلك الصعوبات وكذلك

لا أطمع في أن أضمن هذا الخطاب القصير ما يجب من الاعتراف  
بمصل كل أولئك الذين عملوا لإنهاء هذا المشروع اندي نحتفل ليوم  
به . هذا واني أتقدم بالشكر للسرا دجار د نرد والسرا دجار بونهام  
كارتر والسرا د جيمس كيري لما قاموا به وهم في حكومة السودان من  
ابتكار هذا المشروع وتنفيذه .

وبعد ان ثنى الحاكم العام على خدمات كل الذين اشتركوا في  
هذا العمل العظيم ختم خطابه بالكلمات الآتية .

«ولي الشرف أن أدعوا وحدتكم الى تكريس هذا العمل الهندسي  
العظيم لخير السودان وشعبه»

وقام من بعده لورد لويد في خطبة هذه ترجمتها

يا صاحب المعالي ويه حضرات ضباط وموطني حكومة السودان  
وعلماء ومثيخ واعمال وأهالي السودان . حقاً اني لكبير الخط أن تكون  
أول زيارة لي لهذه البلاد كمفوض سام كنت لأجل الاحتفال بانحار  
هذا العمل العظيم اندي تم لي الشرف بامتحه هذا اليوم . وقد قابلت  
اكثرك لأول مرة في الاستقبال اندي أقيم في الخرطوم احتفالاً بيوم  
الملك وأثر بي ما رأيته من روح المودة الخاصة التي تسود ذلك  
الاجتماع الممثل لمصالح متعددة وهمة . واني أرحب بهذا الاحتفال  
الذي تقيمه الآن حيث قد ختمت تلك المودة بعمل عظيم . الغرض  
منه جلب المنافع الدائمة لكم يا أهالي السودان وللبلدان الاخرى التي

تستورد المواد لصنعها من محصولات زراعية. و اسود الاعظم  
منه اليوم استطاع اكثر من تقدير تلك حكمة والصبر والجراحة  
التي حصلت حرن سار في حير لاستطاعة. ان السودان اليوم  
يخفي ثمار عتريه المورود كرومر مقروية بطول الالة فقد كانت سياسته  
كما تدكرون ترمي الى ترقية اسلاد ترقية ثمة دون ان تتجاوز  
حدود طاقتهم. وقد فتى اسير ربحا لدونحت والمرحوم اسير في سنه  
هذه الخطه وواصل العمل بحلاص ونجح باهرين لأول مدة سبع  
عشر سنة والثاني لمدة السبع عشرة سنة الأخيرة من حياته. ويجب ان  
لا نسي اليوم ما نحن مديون به لهؤلاء الثلاثة. وعني ايضا ان يزيد  
اسير جيوفري زشر فيما فاه به من ثباته على البراعة والمثابرة والهمة  
التي نراها وننته نهدسون اشهبورون الذين مدان وضع اسير  
ولهم حارسون الشروع لأصلي سمو الواحد تلو الآخر لأجل تحقيقه.  
وسودن في شخص اسير جيوفري زشر حكمة عمه ثنق كل ائمة  
انه سيحافظ عي تدايد الماضي. وقد جاء للسودان في وقت مناسب  
وفي دور جيوفي في ترويج اسلاد. و حرن سار كما نعلمون  
ليس سوى حرة من مشروعاته لأجل ترقية وتحسين مورد اسير.  
وقد نشتت مدحت لمقيقة تي حراها الخراء في الماضي ان معه  
اسير ذ حسن صباهم وتوزيعه بالعدل والانصاف بحسن كمي  
وتزبد عن احتياجات مصر واسودان الحية والمستقرة في المستقبل

ومن دواعي سرورنا الحسنة أن يكون حصرة صاحب المعالي  
السيد اسماعيل باشا سري، أحد أباء مصر والمعروف بالبر والشمرة،  
حاضراً معنا اليوم، وذلك نظراً لاشتراكه شخصياً في أعداد هذا  
المشروع. وكذلك تفدل حبراً بوحود صاحب المعالي عبد الحميد باشا  
سليمان، فإني واثق أن مقدرته وسعة نظره يبعث على ربة ما بقي  
عالمًا من سوء الادراك للمسائل العملية الخاصة بالمشروع

أما ولوقوع الموهبة هي كما تعلمون فاد سد انقوصت  
روح الحكمة السياسية فلا يجب أن تقوم صعوبة في سبيل الوصول  
إلى تسوية تضمن صماً وإجبا حاجة مصر، وفي نفس الوقت تمكن  
السودان من السير في طريق العمران تقدم ثمة حسبما تسمح له  
موارده. وللسودان في أحوال كهذه أن يطر إلى المستقبل بعين الثقة  
والطمأنينة. وعلى أن يبقى العمل الذي افتحه اليوم ساهداً دائماً على  
لغوائد الحاجة عن قيام الحكومة بعمل كبد بعينه الحكمة والتصرف.  
و يجب أن يكون من تمنح هذا المشروع ليس فقط رد باد رفاهية  
مزارعين الوطين بل يجب في نفس الوقت أن يعود بمائدة عجلة  
مقابلة لزنس اسل الكبير لدى حق على شانه. وخدمًا فون نه راعم  
من أن رراعة القطر هي العرض لأول من مشروع احريرة فهاك  
شرط على جاسب عظيم من الحكمة يصنعن وفرة المواد اعدتة محيا

وعده تعرضها للنقص . وود في الختام أن يشير الى موضوع آخر عام  
وعلى جانب من الاهمية . وهو أن الروابط التي تربط الحكومة وأهالي  
السودان هي روابط صداقة شخصية ومن المبادئ الاولى في مشروع  
الجزيرة كما في غيره من المشاريع التي يمكن أن تقام في هذه البلاد  
أن تلك الرابطة المرغوبة يجب أن يحتفظ بها رعاية الاعتناء والحكومة  
تعتقد أن من الامور الجوهرية ترقية الشعب على موحب طبيعته . وأن  
الحسين المتعاطف في لأمر المدنية لا يجب أن يتح صباعاً أو انحطاطا  
في الافكار والتقاليد التي هي اساس احلاق الشعوب . ولي من الثقة  
أن يقوم قادة الافكار في السودان سواء كانوا رؤساء دينيين أو مدنيين  
قبائل أو ذوي معارف ممتازة بلوحت عليهم للمحافظة على الحالة  
السعيدة الحاضرة . ويسرنى أن اخاطبكم بلبحة المتأمل بحسن المستقبل .  
أن ارحم اللعب مخفوف دائماً بالمخاطر . مما يمكنكم أن تتأكدوا من  
شيء واحد هو أنني سأبدل أقصى الجهد وروح التساهل الودي لارادة  
كل العوائق التي قد تقف في طريق المشروعات العظيمة لارتقاء  
وعمران السودان في المستقبل . وأن ما اختبرته في هذه المدة الوحيدة  
اثنا ريارتي الأولى للسودان بعث في نفسي الاعتقاد بأن في استطاعتي  
الاعتماد على ولاء ومساعدة كل شخص في السودان سعياً وراء تلك  
الرعاية العظمى التي لا بد أن تثير اهتمام وعطف العالم المتمدن بأسره .

ثم وقف حصرة صاحب المعالي سماعيل سري باشا والي  
خطة هذا نصها :

يا فخامة المندوب السامي ويا صاحب المعالي الحاكم العام  
وباسم ذاتي وباسم ذاتي .

كان من نواحي سرودي العظيم أن ادعى لخصور هذا الاحتفال  
الزاهر بافتتاح خزان سنار المعد لأحياء موات حرة عظيم من الأراضي  
السودانية بالري الصناعي الذي ما دخل أرضاً إلا وراد في إنتاجها كما  
هو معلوم ومن نواحي الفخر لمصر أن تكون هي واسعة مشروع  
ري الخربة بواسطة كبار مهندسيها وفي مقدمتهم المرحومين السير  
ويليام جارستين والسير آرثر وب ومن نعمهم كالمستر ديبوي والمستر  
توتنهام والسير مردوخ مكديويد الذي تم على يديه تخصيص المشروع  
نهائياً واعداده للتفيذ . ولا حاجة لأن أذكر أن كل هؤلاء من اعظم  
المهندسين النجدين لوزارة الاشغال العمومية . هذا وفي أيديهم ما يريد  
الشكر للسير جوفري ارشمر على ما فاء به في هذا الخصوص . وقد شرف  
مهندسون تهمون لوزاره الاشغال العمومية المصرية على العمل في  
مدة تنفيذ

ويمكنني أن أزيد مع العجرا استراك شحطي الضعيف في  
تخصيص المشروع . هذا وفي أيديهم ما يريد السرور لاهالي السودان  
الحاضرين معا عطف الامة لمصرية عليهم بهذه المناسبة السعيدة



وخبيرهم بأنها يسرها أن ترى السودان في بحوحة من رعد واسعة  
وأن يرداد أهله رفاهية وتقدم في العروش . ولا ريب عدي أن ما  
بحري من الماء في النيل السعيد يكتفي بل يزيد عن احتياحات مصر  
والسودان لريهما معاً . إذاً حكم تديره بالأعمال الصناعية التي أولها  
هذا الخزان وفي أسأل المولى التقدير متعال أن يوفقنا جميعاً للوصول  
لأداء واجباتنا

° °

ولقد كانت خطبة سري باشا عبر المستطرة ناعثة لسرور المصريين  
الذين استاءوا قبل ذلك لعدم تشيل مصر في هذه الحصة التاريخية . وتندو  
في الخطب ككبار روح تعانم ممكن تحقيقه . إذاً حصلت جميع الصائر لهذه  
الغاية وصدق العمل بقول . ونعل شارد سري باشا إلى مجهود مصر  
العظيم في أشء . إن سينار يجعل هذا الاخلاص مصر مجاً .

وبعد ذلك أدر المدوب اليد التي صيغت على مثال  
« ميسمحت الثالث » فخرى الله للعدة من الخزان . وإنما صيغت  
اليده على مثال « ميسمحت الثالث » نبي حكم مصر منذ الفين  
وثلاثمائة سنة تقريباً . عرف عن هذا الملك القديم في التاريخ من  
أنه من حاور بصفة حدية ضغط مياه النيل لحسن ري الارضي  
كما نذهب لاساطير إلى به هو ندي نش بحيرة موريس

وفيما الماء يندفع من إحدى بوابات القنطرة في ترعة الخربة  
وقف مطران السودان المحترم حوين ووقف الى جانبه مفتي السودان  
الشيخ اسماعيل الارهري فوق العين التي يتدفق منها الماء وتليا عبارات  
التبريك لهذا الحصص المساب الى اراض لم تكن تعرف  
الحصص ولا الزراعة من قبل ووقف الحضور جميعاً ثناء تلاوة صلاة  
التدشين التي فاء بها المحترم حوين وحطة الماركة التي القاها المفتي  
الارهري وصلاة المطران حوين الدينية ومنهم من يتنهل الى الله  
مخلصاً أن يبارك هذا العمل الفخيم المحيد ومنهم من يطر بعين الحذر  
الى ما سيكون من نتيجته .

ولست أنكر ما كان لهذه الحملة الدينية التي لم تحصر من قبل  
مثلاً من ترفي نفسي . على اني كنت أحسها تكون أعشق في المموس  
أثرأ لو أن الرحلين للذين قماها لم يكونا بعيدين عن الحضور حتى  
لم يسمع أحد صوتهما الذي عرف في ضوضاء الماء المتعذرة ، والذي رما  
أدى نرقه في هذه الضوضاء الى ريدة هذا الماء بركة

وهذه صلاة التدشين الاولى التي تلاها امطران حوين حسب  
ترجمتها الرسمية

لله القادر على كل شيء . . الأولى لأندي . مدع العالم كله  
وحاً قما جميعاً . من جعلت نظاماً يسير عيه العالم جمع . وبلاد السودان  
أيضاً .

نشكرك اللهم من أحل عبيدك ، تشارس جورج عوردون وي  
اوهر قتر موريس ستاك ومن أحل جميع الذين عملوا في خدمة هذه  
البلاد وضحوا بحياتهم في سبيل تنفيذ خططك

انا نشكرك للحكمة واللباقة اللذين وهبتهما الى اولئك الذين  
اشكروا فكرة تسخير مياه هذا النهر لخدمة الاسنان وانا نذكر امامك  
سوع حاص ، عبيدك ولیم جارستن وهربرت هوراشو كنتشر ، اللهم  
انا نشكرك ايضا من أحل جميع ، الذين اشتغلوا لافاد هذه الاعمال ،  
من أحل الديي وضع رسومه ، ومن أحل مهندسه ، ومن أحل  
المقاولين ، والصناع ، اصحاب الحرف من جميع الملل والحل ، ومن  
أجل العمال الذين حفروا الأرض

ومن أحل النائين الذين نوا الاحطار والاجمال من أجل جميع  
الذين وهبوا قواهم البدنية وحدقهم وعقولهم في سبيل هذا العمل  
وساعدوا بانحاره ان كان ذلك بمعرفة منهم أو بغير معرفة أو كان  
ذلك بامتثال دكاهم المفرط أو كان ذلك بقليل من الدكا.

انا نشكرك اللهم ونحمد العناية الصمدانية التي وهبتها لنوع خاص  
في اشد اوقات الخطر اثناء ادوار البناء ، ونحمدك فوق كل شئ من  
أحل الامطار التي ترسلها على الجبال فتسبب فيضان النيل وتهدد  
المياه التي يروى الارض بها

لك اللهم العظمة والقوة والمجد والطهر والجلالة

كلما في السماء ، وما في الارض هو لك . الملك ملكك يا إلهنا  
 بيدك القوة والخبروت ، وبيدك تعظيم وتشديد الجميع . ونهب  
 انقوة لهم جميعا ، تضرع اليك بمحسوس وحشوع أن تقل شكرنا هذا  
 باسم ويواسطة ربنا يسوع الذي علمنا أن نصلي هكذا  
 أنا الذي في السموات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكون  
 مشيئت كما في السماء كذلك على الارض . اعطنا خبزا كمة يومنا  
 واعفر لنا ذنوبنا كما نمح أيضا تغفر للمدبرين البيا ولا تدحد في تحرة  
 وانقذنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين  
 وهذه هي الصلاة الثابتة التي القاها لمطران حوين كذلك  
 أيها الآلهة اتقادر على كل شيء . . الأربى الذي لا يتعب . الحكيم  
 وحده . وثب البشر أجمع أنا بصرع اليك أن تترك هذا الخراب ،  
 ومشروع الري . ليس فقط لأن نروة الناس ونجاحهم مبريدان  
 بواسطتهما ، بل لأنه اذا استعمل الناس هذه الهبات التي هي منك  
 كما يحب يرون حكمة وعلم ، ودينًا ، وصلاحًا حقيقيا  
 انظر اللهم الى هذه البلاد ، «رحمة واللفظ ، وامنع أن تسود  
 الحرية والعدل والصلاح حيث كانت الشدة والاستبداد واعظم تطأ  
 بأقدامها على شعبك ، قد كنت في كذالك المقدس أن سبأتي اليوم  
 الذي به يطعمون سيوفهم سككا ورماحهم ماحل  
 نسألك اللهم أن تعلم طرق السلام الى ولئت الذين كانوا

مضطرب من يعيش من الحرب في الزمان العار وامسحهم الانحد  
والوقوف ، مسح بأن تمموا اعمال خلاصك المعجيب بواسطة تأثير  
عنايتك الدائمة التي تعمل بليتنا بدون أن نشعر

دع العالم أجمع يشعر ويرى أن الامور التي بدوها جانياً قد  
عادت قاربهات ، وأن تلك الامور التي قدم عهدك تتحدد الآن ،  
ولاحال ان جميع الامور تعود الآن الى السكينة بواسطة يا مسبح  
جميع الاله ، لك البركة واشكر آمين  
البركة

يسارككم الله ويحفظكم . يضيء بوجهه عليكم ، ويمنحكم نعمته  
تسيركم نوار مجياه ، وايهكم اسلام من الآن ولي الاله آمين  
أما خطه فضيلة معني لذيوار السودانية في حفلة فتح خزان  
سار همد نصر

بها السادة

أقف هذا الموقف ليرفع اكبر الصرخة الحمد والشكر لله  
الذي تحت قدرته وتعدت عظمته وارتفع شأنه وعز سلطانه على ما  
أولاه من النعم الجبيلة التي منها نعمة هذا البناء الشامخ ومشروع رى  
الحريرة العظيم والشكر على النعم واجب وبه تزدد ، قال الله في  
كتابه العزيز : ( لنن شكرتم لازيدنكم )

أحمد لله محمد به واستعين به وشكره فانه مشى الكائنات  
على النسمات مقدر الاقوات وصلي وسلم على رسوله الذي أتى  
بهدى والبيئات لاصلاح حال الناس في الحياة انديا وفي الآخرة .  
فقد ورد ( اعمل لديقك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك  
تموت غداً ) وعلى احواله من السنين والمرسلين ومن بهج بهج  
القويم واهتدى بهديهم الى الصراط المستقيم

أما بعد فان الله تعالى خلق هذا لاسان محتاحاً الى الطعم  
والشراب والناس ضيأ له من الامور الكونية ما يكفل له في هذه  
هذه الحياة على اصلح الوجوه متى استعمل فيها فكره ومواهه التي  
فطره عليها . خلق السحاب والامطار مدة للعيون والامهار التي به  
حفظ حياته فقد في كتبه العربر ( وحملنا من الماء كل شيء حي )  
وخلق له الارض مستعدة لانت جميع السنان التي تحتساح اليها  
لنفسه ولانعامه ( ألم تر ان الله يزجي سحابة ثم يؤولف بيه ثم يجعده  
ركاباً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من حبال فيها  
من بهد فيصيب به من يشاء ) وتري الارض هامدة فاذا أنزلنا  
عليها ماء اهترت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ) ( الذي جعل  
لكم الارض مهاداً وملك لكم فيها سلاً ونزل من السماء ماء  
فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك  
لآيات لأولي الهى ) ( الله الذي خلق السموات والارض وأنزل

من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسبح لكم الأنهار  
وتناكم من كل ماء حليماً وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) ( علم  
الإنسان ما لم يعلم ) وثناه الحكمة والعلم النافع ( ومن يؤت الحكمة فقد  
ؤتي خيراً كثيراً ) فهذه إلى أنجم الطرق للاستفادة من هذه  
الأنهار

وستصير هذه البلاد بواسطة هذا العمل العظيم من اكبر البلاد  
استاحاً ونزوة وميصير الشعب السود في رعد من العيش ونعمة  
ورفاة

وبه دي الطول والاكرام الذي بيده الخير وهو على كل شئ  
قدير الشاء والشكر الخالص على هذه النعم التي لا تحصى  
وسأله حل شأنه أن يبارك في هذا العمل وبديم النفع به الخير  
البلاد والعباد آمين

اللهم اجعل هذا القطر آمناً مطمئناً في سحاء ورخاء وعدل  
وشمله بمنايتك ورعايتك وامطر عليه شائب خيرك ، بفضلك  
وكرمك واحسانك انك سميع قريب مجيب الدعاء والسلام

\*\*\*

بعد هذا التبريك انتهت حفلة افتتاح حرر منار وآن لكل  
هذه الحفوة أن تفرق .

## العودة الى المهرلوم

عند محج قطن السودان في بركات

انتهت حملة افتتاح حران سار التي دعيا لشهودها وان ل  
ن نعود بالقطار نناول فيه طعام الغداء ثم نزل منه عند بركات  
تشهد أحد وابورات الخليج بها وستمع الى الخطاب الثاني الذي بقيه  
خامة لورد لويد سدوب اكلترا السامي

واذ كانت هذه الحفلات كغيرها من الحفلات الرسمية قرب  
الى أن تكون مظاهرات منها إلى أي شيء آخر وكان خطاب لورد  
لويد يجب أن يتناول الحديث عن زراعة أراضي الجزيرة واقطن  
السامي بها والنج منها ولم يكن لورد لويد قد حضر الى السودان من  
قبل أبدًا ، فقد وح أن يستقل خامة وقرينته سيارات بصحبهم  
فيها رجال حكومة السودان ويطوفون وإياهم بعض مزارع القطن  
لكي يكون حديث المذب السامي عن علم أو عما يشبه العلم في نظر  
المستمعين . لذلك استقل هو ومن كان في صحته سياراتهم على أن  
يعروا بالمرار واستقلنا نحن القطار . والى الملتقى ببركات

ها نحن الآن تشهد أعيننا ضيوف الحاكم العام بحفلة افتتاح



الحرس محتشمين في عرصات القطار . لقد جؤوا من مصر واكثر  
مرّة به بر مضهه ؛ صاعاً في احتفاء واحد . ولقد دعي كثير من أعيان  
السودا لشهود الحفلة من رأيت في يوم عيد الملك ومن لم ترو  
ذلك اليوم وقد قمنا من الخرطوم في المساء بعد ما تناولنا طعام العشاء  
بصادقهم . وشعنا عند سمر الفطار بالهتفين والمزجرات وذهب اكثر  
بعد ذلك الى محذعه . ثم تناول الاكثرون طعام الافطار في محذعهم  
كذلك . لهذا لم ينس لأحد أن يرى جميع زملائه في الصياغة الا  
حين حصة مكوار . اكن الذين احتفوا لشهود الحفلة من موظفين  
وعبر موظفين من التفرقة بين الصيوف وغيرهم عبيراً . فلما تحرك  
القطار وباعدت و بين الالوف التي حشدت لتتف للمحتفلين لم  
يبق لنا من الصيوف وشعر كل واحد من عابديه و بين صاحبه من  
صحة الصياغة . وكنت ترى كثيراً من الانتماءات تتبادل ومن  
لتحيت شدي

ثم كانت فرصة أخرى لزيادة التعارف . تلك فرصة تناول طعام  
العداء في عربة لاكل فقد هرع الناس الى هناك عند سمر القطار  
القطر بدقائق . و استبقوا يتعبر كل منهم مكاناً صالحاً . ولم تنس حكومة  
السودا تحديد الامكة في تلك العربة كما عنت . تحديد محذع  
العداء . فكل المساق صاحب الاختيار . وكان جماعة الاوربيين  
كثيراً وغير اكابر سبق من نحن الشرقيين لذين يرون في الاسراع

الى الطعام شيئاً من اتسافي مع الكرامة لما قد يكون فيه من دلالة على  
الشرف . لذلك الفينا نصف العربة الاول امتلاً ونقي نصفها اثني خائباً  
أو يكاد . فتجبره في هذا القسم الثاني أما كسا وجعلنا يتضر من  
يجلس وإيما فيه بنا كان الخدم يقدمون الطعام لأهل القسم الأول .  
أين خبرنا ورملاؤنا في الطعام . ؟ وأنتك نعال السودان . وهم تسد  
تسوطوا الى الطعام وتظهر أهدم لاكثرات به لنفس السب الذي  
جعلنا تخر عن رملاؤنا الاوريس . لكن . هاهم يدوا يغدون  
واحد بعد واحد . وهذا حسب العرفة يكاد يتتلاً . . . لكن . . .  
أين السير سيد علي لميرعى ؟ انشوا في طله .. احفظوا له مكانه .  
ودهب كبير من موصفي حكومة السودان يبحث عنه ثم ح . وإياه  
على مهل فأجلسه على المائدة المثلثة لماندنا

وأشار حليسي الى أحد نعال السودان وسأني ان كنت تعرفه .  
ثم أخبرني انه الشبح على التواء الذي نعم عليه بقب « سير » يوم  
عيد الملك وهو رجل طويل اقامة بحيف جسم تدو عليه مظهر  
لقوة واشدة . قال حليسي

— « قد يدهشك أن نعم حكومة صاحب امالة البريانية  
على مثل هذا السادح . القاب العظيم الذي نعمت عليه به ولدي لم  
نعم به في مصر لا على رؤساء وزارت . لكنت تقول دهشتك  
ذا عمت ان في إمرة هذ السادج الى رجل يتحركون سائرته

ويدينون بضاعته. ولاعام عليه يفيد ولاه للحكومة وللناح البريطاني  
ويقيد هذا اولا. فعلاً. واذن هذا لقب الذي لا يكاف حكومة  
الامبراطورية سيناً قد كمل لها ولاه الى رجل كلهم عتاة شداد  
لا يعصون هذا الرجل ما امرهم ويعملون ما يؤمرون

وكأننا نسمع جماعة من اعيان السودان الذين جلسوا الى جانبنا  
نحدث عنهم فطروا الى ما حينا بطرات حذر وتاهب. ثم خاطبنا  
أحدهم بالهجة عسر على أن أهمها. فرد عليه خليسي بصدرة لطيفة.  
وآلت أن لا نحدث عن هؤلاء الناس ثناء الطعام شيء حتى لا نثير  
ما يدفعهم الى التهرب من حديد بل لقد حاولت أن لا أنظر اليهم  
كيف يتناولون الطعام مخفية أن يحسبوا أنها نظرة نقد. والظاهر  
أنهم في شدة ولائهم للحكومة الادهم وللحكومة الاسكائرية التي تنعم  
عليهم وترهم بحيل لهم في أريد كمصري أن أثير عندهم ثائرة أو  
ثير شبهات الحكومة حولهم. أولعلمهم وقد رأوا الى جانبهم وكيل  
درة المخبرات. وهي الادارة المختصة بالامن والمهيسة عن أسرارهم -  
حسوا أن يؤخذ ما قد يكون من مروية في القول أولين في حديث  
متبادل على أنه ميل منهم للحكومة مصر. والميل للحكومة مصر كان  
يومئذ لا يزال معتبراً ميلاً للثورة والاثريين رغم ان كانت الحكومة  
لهاثة يومئذ في مصر حكومة روبر بنا المستعدة للاعتراف بالسودان  
بل للاعتراف بمصر مستعمرة اسكائرية

برغم هذا الحذر والتأهب الذي دفعت به الى نفوس اعيان  
السودان أحداث السياسة كمت تمنح في وجوههم من علائم الشهامة  
والكرم والمروءة ما يذكرنا بأجدادنا المصريين الذين لم يكونوا قد  
تأثروا بعد بالمدينة العربية ولم تكن النظم الحضرة قد دفعت الى  
نفوسهم ما ترى اليوم عند كثيرين من حرص على المدة والعماس  
في أسباب تحصيلها . بل كنت ترى اكثر من هذا . كنت نحس  
هؤلاء الاعيان يشعرون شي من الصيب لهذه التكاليف الرسمية . ثم  
يقتبطون مما تنطق به من صلة بينهم وبين الحاكم . اكسها في نفس  
الوقت لا تنفق وطدعه المصريحة التي لا تعرف القيود . وامل  
الكثيرين منهم في ذلك مثاهم مثل شيخ عرب من اكارم المصريين  
توفي من اكثر من عشرين سنة كان يذهب الى التشريرة لمعه  
الحديد مع سائر الاعيان في كل عيد من الاعياد . وكان ينصيق  
غاية الصبق من حبة والققط . فكان يذهب في ملاسه العديدة  
والتي تم عن نساطه وكرمه وحبه الانسانية ، والتي تكون من زعوط  
وحرام . الى حانوت على مقربة من عابدين حيث يخلعها ويرتدي  
الملابس الرسمية مدى الساعة التي يدخل فيها قصر عابدين ويثقل فيها  
في حصرة الامير . فاذا تمت هذه المهمة التي كان يعتبط بها أسرع الى  
حانوته وألقى ملاسه الرسمية ولبس زعوطه وحرامه وعدد كما كان

نسيج العرب اسكريم اسجي اليد لدي يريد ان لا يشعر به الى  
جانبه . فقمر ما دام يرى هذا المحسن اليه في لباس بسيط كلباسه .

وساق انضار الى تركت معها حوالي أربعة مائة الف دينار ثم  
سار بعد ذلك على مبل الى وور الخليج . ما هذه الجموع الخاشدة  
ان يريد على جموع مكور !! حسب ان حكومة السودان قد  
خدت من في السودان جميعاً لهذا اليوم . وهؤلاء لاشك يزيدون  
على خمسة عشر الف رجل . وهؤلاء ليسوا الباص . فلهذا لم تولد  
حكومة تركه مئة مائة كانت هي التي خلقتهم عليهم

ثامن انظر في ساحة فسحة ينسج حابها البعيد عما لهذه  
الأنوف الحسنة وفصل بين وبينها فضاء منع وضعت في دكن  
من أركانها كباس القطر التي أنى لها لمخلج . وقام واور الخليج وبه  
ثمون دولاً في وسط الساحة . وهذا واور واحد من أربعة يشتمل  
في كل منها مائتين وخمسون عملاً . وسرنا تمرنا شمس يابرة الدائرة  
لديعة لمعشة حتى دخل ماء واور انهم من اصبح . اليس عجاً  
ان تجد يد الحصرة تقيم في هذه الواحي سادية هذه الآلات  
الصغيرة التي تقيم في من كلنا على متون البحار قطعاً وهذه هي  
ندور لأن مكبت خمة قوية تمخلج مئات القناطير وتقدم لمئات  
لسودانيين عملاً كانوا في عى عى قاعهم بعيش البداوة الهى .  
كل كلنا يجب ان تعدى . تنظر ليل عمالها واشرافها اكبر

حظ ير يدون نواله من المتع بالحياة فيحب لذلك أن يخرج أهل السودان وغير أهل السودان على ما ألفوا منذ مئات السنين وأن ينتحوا القطن وغير القطن كارهين لهذا المحمود أول قيامهم به . وذا الفوه ، وألفوا ما يدره عليهم من ربح وما يوفره لهم في الحياة من نعيم يستزادوا منه ما تاقوا الاستراحة . ثم تراهم بعد ذلك ولهم في الحياة مثل ما لعمال الانكابر وأنشراحهم من مطمع . يومئذ لا يكون مهر من احتكاك تقدم . وذلك شأن النظام الفردي في الاقتصاد ، ذلك النظام البديع القائم على أن تعني كل ذاتية ، سواء كانت فرداً أو هيئة أو أمة ، بمصلحتها ، وأن تدفع غيرها في السعي لتحصيل هذه المصلحة في خير ظروف ممكنة . فهو ينتهي دائماً إلى السير الانسانية في مسيل التقدم . وهو من غير شك الحركة الدافعة التي تصل عن غير شعور من القامنين بها إلى هذه العاية الانسانية السامية غيبة تعام الجميع الخير الجميع والخير كل فرد أو هيئة أو أمة يتكون منها هذا الجميع

درنا في أرجاء واور الخليج ثم حرحا من باب غير الذي دحنا منه فإذا أمام هذا الباب الذي مصطبة كبيرة قيمت عليها مقاعد تحتها مائدة عليها معصر للصوت ومن حولها مقاعد عدت يجلس عليها المندوب السامي البريطاني وصحبه ، وليقوم انقاء خطبه ، ينوه فيه بأعمال الحضارة التي قامت بها بريطانيا في السودان ، على هذه الالوف من

السودانيين الذين حشدوا له، ولذين لا يعرف أحد منهم من الاسكائيرية  
حرفاً ولا يستطيع واحد في كل مائتين منهم أن يدرك - ان هو  
استطاع ان يسمع - ما في ترجمة هذا الخطاب الى العربية

وأعدت للصحافة مناضد وضعت عليها أقلام ارضاص  
و ( بلوكنوت ) من ورق صفيق، كما مهدت للصحفيين من قبل كل  
وسائل العمل للاسراع في إرسال رسائلهم الرقية الى أنحاء العالم المختلفة  
يذيعون فيها أخبار هذا الاحتمال البريطاني، في مناطق خط الاستواء،  
بعمل من أعمال الحصار العظيمة قامت به بريطانيا خدمة للحصارة  
في العالم، وان كانت خدمة تفيد أهل البلاد وتفيد بريطانيا نفسها  
وبعد الساعة الرابعة بقليل أقبل لورد لويد ومن معه عائدون من  
ريبرة مزارع القطن بالجزيرة فأحاطوا بالمنضدة تحت المظلة . وألقى  
لورد لويد خطاباً هذه ترجمته :

كان لي هذا الصباح كما تعلمون عظيم الاغتناط بافتتاح خزان  
سنار وتسجيل خطوة جديدة خطيرة لترقي السودان الاقتصادي .  
ومنذ الاحتفال مررنا بقسم من الاراضي التي أخصبها الخراب  
ولاحظناها . ومن دواعي سروري أن نتاح لي الآن فرصة مقابلة من  
تقع عليهم التبعة الخطيرة ، تبعة استغلال ما أنشأه الخراب له  
لا يسمع الزائر الذي يرى ما تم اليوم إلا أن يقدر ما أنفق في هذا  
المشروع من جهد وروية واقدام . فمنذ سنة ١٨٩٩ عرف السر ولیم

جارست الذي عمل كثيراً لأهالي مصر والسودان مكنونات سهل الجزيرة . ومن ذلك الحين ظلت المسألة موضع البحث الدقيق . واستطيع شخصياً أن أقدر هذا العمل قدره بعد ما كان من حظي في أثناء عملي في الهند أن أفتتح وأشهد أكثر من واحد من مشروعات الري الكبرى التي قصد بها هناك كما قصد بها هنا إلى تحسين حظ الزارعين وزيادة ثروة البلاد

تعرفون تاريخ المشروع ووقوفه في أثناء الحرب والصعوبات الهندسية العظيمة التي وجب التغلب عليها قبل انقائه كما نراه اليوم . والمسألة الآن هي كيفية الاستفادة الصحيحة من الموارد التي أضعها على أهالي السودان عظيم ما أنفق من جهد ومال . والجواب لا ريب عدي أن النجاح رهن باستمرار ونحو التعاون الذي قام المشروع على أساسه . فقد اكتب الجمهور البريطاني بما لا يقل عن أحد عشر مليوناً وربع مليون من الخيما ، وبرت الشركة من جانبها هذه الثقة بها مباشرة الأعمال الزراعية وحفر الترع الصغرى بعمد نظر ومقدرة يقصرونهما كل ثناء ، وألقت درساً مدهشاً بتدريب عدد عظيم من الزراع عند الطلبات . وأهم الأشياء أن علاقاتها بالزراع عموماً كانت علاقات عطف ومودة ولا سبيل لتناحر الصحيح ما لم يتم على قاعدة هذا العطف

وبعد أن أثبت على المستر اكستين قال :



لقد تغيرت حالة السودان كلها في السبع والعشرين سنة  
الاحيرة . فكانت البلاد قبل اعادة فتحها تزداد كل سنة المحطاطاً  
بدلاً من أن تتقدم، وكانت حروب القبائل وما نجر من الوباء والقحط  
وسائر الشرور التي تلاحم عدم المطاينة على النفس والمال تهدت  
الحرث والبسل، لذلك انقلبت مساحات واسعة كانت قبل عامرة  
الى اراض عامرة واشتد الظلم والقسوة . ومن بينكم لا ريب من  
يذكر تلك الايام ومن عيش ليرى الشوك والسعدان يتقلبان مروحاً  
خصبة، والضعف والقسوة يحل محلهما العدل والسلام . وتشهد  
الاحصاء الرسمية بزيادة عدد السكان منذ الى ثلاثة أضعافه،  
وأصبحت الثروة لا تقض مضجع صاحبها مخوفة أن ينتزعها منه مستبد.  
والعبي والفقير يستطيعان السير آمنين حيث يشاءان، ولتقاو والنظام  
الحكم في كل مكان . وفي السنة الاولى لاقام الخزان زرع ثمانون  
الف فدان قطعاً، ومساحة عطيمة ذرة ينتظر أن تعمل ثمانين الف  
أردب هذا العام، وذلك كفيل بعدم حياة غرض مشروع الجزيرة  
الاول، بزرع القطن لبيعه، على حاجات الشعب لمؤنثته كغلة تطلعن  
من يدكرون قحط البلاد سنة ١٨٨٨ وما حاق بها من متاعب  
خطيرة سنة ١٩١٣ . ونقطة هامة تستحق التنويه هي كفالة حقوق  
الاهلي قانون سنة ١٩٢١ . فهذه شركة بين زرايع والحكومة،

والشركة استراك وثيق في المصالح يجعل كل طرف يسعى لانتاج  
أحسن محصول وأصح.

وختم جنابه الخطاب بنهضة موظفي المديرية وشكر الحاكم  
العام والتتويه غنثة المشروع لاهالي السودان وتجارة جميع الام  
وكان يلوح على لورد لويد أثناء القائه هذا الخطاب أنه متعب  
بمجدود. فلم يكن في مثل ما كان ساعة القاء خطاب الصالح من شاط  
وهمة. وله العذر بعد هذا المحمود المضي الذي قام به هو وقرينته  
والذي لا يعتبر شيئاً الى جابه ما قام به من مصالحة أكثر من  
ثمانائة مدعو في حملة « يوم الملك » عملاً لمصلحة الامبراطورية  
العظيمة.

وانصرفنا عائدين الى القطار، وحفف عن هذه الالوف التي  
حشدت بطاق النظام الحديدي الذي أوقفها في أماكنها صفوفا كما  
توقف الجند. فاستفاد من ذلك بعض أفرادها. كانوا يحددوننا أيام  
الطفولة ان سليمان عليه السلام حبس الجن والرحم بناء تدمر بالصفا  
والعمد، وأنه ظل يرقبهم بنفسه فكان مجرد حوسه عندهم كافياً  
لدأبهم على العمل والجند فيه. ومات سليمان في جلسته وأسبل الموت  
عينيه ومع ذلك ظل الجن في دأبهم خيفة أن يكون اطاق النبي  
أجفانه لسة أخذته فإذا شذوا عن أمره انزل بهم آلام العقاب. فلما  
مال حثمان سليمان وهوى الى الارض وأيقن الجن موته انطلقوا فرحين

أشد فرح بعود الحرية اليهم وحملوا يعيشون حيث شاؤا وبما شاؤا .  
كان ذلك شأن هؤلاء الدين حفف نطاق النظام عنهم . اطلقوا  
يعدون مل . سيقانهم ليملاوا هذا الفضاء الذي كان يفصل بيننا وبينهم  
حتى صاروا عتقة في سبيل وصولنا الى القطار . فما وصلنا اليه بعد  
جهد الفياهم احاطوا به من كل جانب حتى تعذر الصعود اليه ،  
واضطررنا للالتجاء إلى القائمين بأمر النظام في هذا المكان الذي تولاه  
هرج أي هرج . وعجز حماة النظام عن معاوتنا فشققنا لأنفسنا الطريق  
بين هذه الجموع المائجة التي ظل لديها من الاحترام لنا ما توجه عليها  
الشرقية التسامحة من اكرام الصيف وحماية الغريب

فيم هذا المرح والمرج ؟! ما هذا المعجيج الذي تثيره هذه  
الحلائق المدفوعة صوب القطار في حماسة وجيشان ؟! . . . صه ! ان  
لها من وراء اندفاعها اغراضا ساميا عظيما . انها تلمس بركات صاحب  
البركات السيد على الميرغنى

نعم ! فقد أقبل السيد الى عربته فلفظ فطار في اثره مئات من  
السودانيين لا يقترب اليه منهم أحد ولكنهم يتبركون بمواطئ قدمه  
ويطلبون اليه في خشوع وابتهاال كلمة الرضا والعفوان . فلما صعدنا  
العربة رأيتهم احاطوا بها وجعلوا يمسون بأيديهم عليها يتمنون  
من بركاتها ما يتمنى به اولئك الذين يزورون الاولياء الصالحين في  
مقابرهم . واعلمك ان تحدثت الى احدهم فيما يفعل قال لك ان عربة

القطار التي يحبها ولي صالح كالسيد المرغى أكثر حية وبركة من  
ضريح به رفات ولي كان من الصالحين . ولعله يقول لك ذلك في  
إيمان ناسيا أن اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأنهم بعد  
موتهم احياء عند ربهم يرزقون .

أشرت في فصل « عيد الملك » الى إيمان اعيان السودان  
بالسيد على . هذا الايمان المرتسم على وجوههم البادي في نظرانهم  
المتحلي في كل حركاتهم حين اقبالهم مسرعين في خشوع واجلال  
يقبلون يده ويطرون من طرف كسير نظرة كها الايمان والاجلال  
ورجاء الرضى وحسن الدعاء . فأما إيمان عامة أهل السودان بالسيد  
فيفوق ذلك اضمافاً مضاعفة ويتحلى في صورة من التعبد لا تبعد كثيراً  
عن العبادة . رأيت بعيني جماعة منهم تقبل سلم عربة السكة الحديد  
لأن قدم السيد وطئتها . وكنت نسمع هذا الجمع الحاشد حول العربة  
مبتها لاليه أن يكون واسطة له عند الله في المعفرة . ولو أن السيد أمرهم  
في سبيل ذلك ما أمرهم لا عصوا له أمراً ولا حالفوا له كلمة . ولو أنهم  
ظفروا من فضل رداء السيد بخيط واحد لاقتلوا عليه يريد كل أن  
يكون له أو ان يلمسه إن لم يستطيع امتلاكه .

انظر ! هذا حن سليمان فك عقاله . فهذه الالوف الحاشدة تزحف  
نحو القطار زحفاً . وهذه كلها تصطف على مقربة منه صففاً صففاً .  
وهؤلاء افراد اشدهم غيرهم حماسة في إيمانهم بجاهدون يشقوا لأنفسهم .

الى عربة السيد طريقا. ولا متخذ لنا من هجومهم علينا لا إيمانهم بالسيد  
وفرط حرصهم على رضائه . ولا مفر لآذاننا من سماع عجيج دعواتهم  
الى أن ينطلق القطار فيحنهم ورائه .

انطلق القطار ، فارتفعت الاصوات بالتهليل والتكبير . انحسبت  
انهم جميعا وقفوا عند تهليلهم وتكبيرهم . كلاب انطلق جماعة منهم  
يساقون القطار محذرين عربة السيد وسبقاتهم الدقيقة واعصابهم المتينة  
تجعل منهم من هو اعدى من السليك

انقطعت الصحة وأخذ بالعادين الجهد وتبدت الى صاحبي  
الموظف الكبير بمحكومة السودان عجبي لهذا الايمان . قال لا تمنع .  
فقد ذهبنا من نحو خمس عشرة سنة لافتتاح خط كسلا ومعنا السيد .  
وعلم هل ذلك الاقليم بالامر فأحاطوا بالقطار أول دخوله إقليمتهم  
لا يخشون أن يوردهم عرمانه الخنف أثناء سيره ، بل تعلقوا به مساجين  
مهللين يلمسون من السيد دعاءه وبركانه مما اضطر سائق القطار  
للسير الهولينا مخافة أن يذهب بهذه الارواح الصارخة ، ودخلنا لذلك  
متأخرين عدة ساعات عن الموعد المضروب لدخول القطار  
واقامة الاحتفال

قال آخر : ولو علمت يا سيدي انهم ما يزالون اذا دخلوا  
الى داره بالخرطوم دخلوا الى السهو الذي هو فيه زحفا على  
أيديهم وسبقاتهم وعبونهم ناشئة في الارض لا ترتفع له منهم نظرة

لقد رت مكاة السبء المعظم وسلطته الاءبى . ثم لو علمت مع ذلك أنه لا يسخر هذا السلطان الاءبى لاءوة سباسبى ولا يطمع فى شى إلا أن يسوء السلام بلاده لأكبوت من قءره فوق ما أكبوت ولعلمت أنه أوئى من الله حكمة وفصلاً عظمياً .

• • •

وأمن القطار فى انطلاقه وعءا بعد ءول طعام العشاء الى محاءعا . وانا لنعد عءنا للوم إء بلما واء مءنى . فصعد الى القطار جماعة من الشبان المصرىبن الاءبن ما برالون مقىمون بالسوءان وقصءوا الى محءعى ، وبعد ئبائل الءعبه سألونى أن أنزل معهم الى رصيف المءطة لكون بعىءبن عن الانظار والأسماع . وهذا بعض مظاهر الءذر الاءى أشرت الىه من قبل . فنء قءل السبر لى سءاك فى القاهرة ورتبت انكلترا على قءله إءراح الءبش المصرى من السوءان قامت حكومة السوءان باءاطة المصرىبن المقىمىبن فى ربوعه برقابة شءبءة مءافاة أن ىشبروا فى السوءان روح المءرد والعصبان . على أن هؤلاء الشبان الاءبن آءاطوا بى فى واء مءنى كقبرهم من المصرىبن الكشبرىبن الاءبن قابلهم كانوا أشء مبلأ لاءءار حركة سنة ١٩٣٤ حركة طائشة لاسباب عءة . ولعل أهم هذه الاسباب فى بطرهم ما آناه كشبرون من الضباط المصرىبن من ءصرفاء أءت الى عءم رضى

السودانيين ويسرت نشر الدعوة ضد الحكم المصري في السودان .  
ولست أدري مبلغ ما رووا من الصحة . الا أنهم كانوا يهتمون هؤلاء  
الضباط بأنهم لم يـكـونوا يعرفون الاشهراتهم واسمهم كانوا يقصون  
النهار وطرفاً من الليل في استيعابها ، سواء منها الطبيعي والشاذ وسواء  
منها المعلوم والمشروب . وقد يكون لبعض هذه التهم قوام والحكومة  
المصرية لم تكن بأن يكون ناشئاً عنها في السودان رجل له مقام الورد  
وسلطته على المصريين الذين في السودان على الأقل

كذلك كان من شكوى هؤلاء الشبان المصريين الذين تحدثوا  
إلي في واد مدني أن بعض السودانيين الموحدين بمصر لا يلتقون  
من عطف المصريين عليهم ما يلهج السنتهم بشيء يتردد في محتاف  
جواس السودان ويدل دلالة حقيقية على عواطف الأخوة الصادقة  
بين أحرار هذا الشعب المتصل بأوثق الروابط وأمتها والمقيم على  
ضفاف النيل الذي يسع عليه الحياة ونعمتها

وتركت هؤلاء انشان الدين ودعوني بحفاوة شكرتهم واشكرهم  
اليوم عليها وعدت الى مخدعي في القطار . ثم عاد القطار الى انطلاقه  
فأومنا الى مضاحنا وبقينا فيها نياماً حتى استيقظنا في الصباح على  
مقربة من الخرطوم . فأخذنا افطارنا وتجهيزنا للعودة الى فنادقنا بأوي  
اليلتين البقيتين على مغادرتنا ربوع السودان

## نهرانه سنار

### ومشروع ري الجزيرة

« خزان مسار » أصبح الآن الاسم الرسمي لهذا الخزان القائم على النيل الاررق تحجز مياهه لري اراضي الجزيرة الواقعة بين النيلين الابيض والأزرق . لكن هذا الاسم لم يجمع عليه بصفة رسمية حاسمة إلا في حفلة افتتاحه . أما الى يومئذ فكان كثيرون يسمونه خزان مكوار باسم البلد الذي بني عنده ، كما سمي خزان اصوان باسم اصوان . ويحكون عن تغيير الاسم من مكوار الى مسار حكاية ظريفة اقصها هنا من غير أن اكفل صحتها . ذلك ان مكوار عائلة كبيرة في هذه المنطقة من مناطق السودان استوطنت الجهة واطلقت اسمها على البلد الذي استقرت به . ثم كان ان عد . الدهر على العائلة فتدهور حالها وذهب احد أبنائها يلتمس معونة الحكومة على غدر القدر . ولما مثل عما قدم هو أو اهله للحكومة من خدمة تبرر هذه المعونة قال : « يكفي اطلاق اسم عائلتنا على هذا العمل الهندسي العظيم الذي يجلد ذكر هذه الحكومة وذكر بريطانيا » فكان الجواب رفض المعونة وتغيير نسبة الخزان من القرية الواقع عندها الى مديرية سنار القائم خلالها



وحران سنار واحد من أعمال لري الكبرى التي يراد بانقامتها  
ضبط مياه النيل . فما يزال القسم الأكبر منها يصبغ في البحر  
الأبيض المتوسط مع إمكان الانتدع به لري ملايين الافدنة القرية  
من النيل والصالحة للزراعة لولا عدم وصول المياه لها . وستناول  
حديث هذه المشروعات في الفصل الآتي من فصول هذا الكتاب .  
ولم يشيد خزان سنار إلا بعد أن قامت الحكومتان المصرية  
والسودانية بعمل مباحث مستفيضة عنه وعن سائر مشروعات الري  
الأخرى وبعد ما أحرقت تجارب كثيرة لمعرفة مبلغ صلاح ارض  
الجزيرة لزراعة القطن ذي التينة الطويلة من نوع قطن السكلاريديس  
المصري . فلما نجحت هذه التجارب اقدمت حكومة السودان على  
انشاء الخزان الذي حضرنا حفلة افتتاحه .

وكان السر وليم هارست مستشار وزارة الاشغال المصرية اول  
من لفت النظر لامكان ري سهل الجزيرة رياً صناعياً في سنة ١٨٩٩ ،  
وايده في تقرير قدمه سنة ١٩٠٤ للورد كرومر قنصل بريطانيا الجنرال  
في مصر . والى ذلك الوقت كانت فكرة زراعة القطن في مساحات  
واسعة بأراضي الجزيرة لا تزيد على خيال لذيذ ينظر اليه الانكليز بعين  
ارحاء . ذلك أن زراعة القطن لم تكن غريبة عن تاريخ السودان . فقد  
روى المسيو بونسيه الذي زار سنار مع المبشر زافريوس دي برقان  
سنة ١٦٩٩ أنه وجد بها مائة الف من السكان رائحة تجارنهم في

تصدير القطن الى حد ان اتفق السلطان الازرق - وذلك هو  
اللقب الذي كان يطلق على أمير هذه المنطقة الواقعة على النيل  
الاررق - مع ملك الحبشة على إبقاء ضابطه لنيابة عنه في شلحا عند  
حدود الحبشة لتحصيل العوائد على القطن الصادر وقسمها شطرين  
يأخذ كل أمير منهما شطراً . كذلك روى بركار الذي رار شدي  
في سنة ١٨١٤ أن أهم صادرات ساركان الدُمور المصنوع من القطن،  
كما روى ان مصانع القطن في سنار ويجرمي هي التي كانت تقوم  
القسم الأكبر من إفريقيا الشمالية بالملاس . على ان هذه الصناعة  
انحطت في السودان وتدهورت لقيام الصناعة الكبرى في أوروبا  
ومراحتها الصناعة البدوية في الاسواق مريحة لم تقو هذه الصناعة  
البدوية على البقاء امامها طويلاً . لذلك نقل السودان الى زراعة  
الحبوب واطاق على سهل الجزيرة انه مخزن حبوب السودان كافة .  
فما استعادت الحنود المصرية السودان بعد ثورة المهدي كانت زراعة  
القطن وصاعته قد تدهورت فيه واصبحت ضئيلة أشد الضالة

ولما قدم السرجارستن تقريره عن إمكان ضغط مياه النيل  
الاررق لري الجزيرة بدأت حكومة السودان في ديسمبر سنة ١٩٠٤  
بمساحة اراضي هذا السهل المتراخي الاطراف وتقرير حقوق ملاك  
هذه الاراضي . وقد استمرت المصلحة التي اشئت لهذه المساحة  
قائمة بعملها حتى أُنعت القسم الاعظم منه في سنة ١٩١٢ . كذلك

مدت الحكومة خطاً حديدياً ما بين الخرطوم وسنار بدأت العمل فيه في سنة ١٩٠٩ ووصلت به الى سنار في سنة ١٩١٣ ثم اخترقت به أرض الجزيرة من جنوبها حتى وصل الى كوستي على شاطئ النيل والايض اتجه الى بلدة الايض . وفي الاثناء بدأت الحكومة تجربة زراعة القطن فأقامت في سنة ١٩١١ محطة طلبات عدد بلدة الطيبة على الشاطئ الغربي للنيل الاررق وحفرت الترعة التي تأخذ مياهها من محطة الطلبات هذه لتعدي ثلاثة آلاف فدان ريديت بمد ذلك الى خمسة آلاف . وعهدت حكومة السودان في القيام بهذه التحارب الى نقابة زراعة السودان لما كان لهذه النقابة من سابقه القيام بتحارب زراعة القطن بريداب في شمال الخرطوم . وبدأ نجاح تجربة الطيبة نجاحاً باهراً في سنة ١٩١٣ . فذا هذا النجاح الى ضرورة التفكير في أصلح طرق الاستغلال . وكان لورد كتشير يومئذ قسصل بريطانيا الخنزال في مصر . فتوسط في الامر وأنتم الاتفاق على أن تكون حكومة السودان مسؤولة عن الترعة الكبرى في كل ناحية يزرع القطن فيها وان تكون نقابة زراعة السودان مسؤولة عن الترعة الصغرى وعن ادارة المشروع كله وامداد المزارعين بالأموال اللازمة لهم وان يقوم المزارعون بالعمل في الاراضي وان يورع محصول القطن الناتج من الزراعة بنسبة خمس وثلاثين في المائة منه للحكومة وخمس وعشرين في المائة للشركة والاربعون في المائة

الباقية تكون للمزارع كما تكون له سائر الحاصلات التي تنتجها الارض في هذه السنة عينها ، سنة ١٩١٣ ، وعلى أثر زيارة لورد كنشير للسودان مع الفنيين في الري من رجال الحكومة المصرية ، وبعد ان رفضت الحكومة المصرية ضمان القرض الذي اريد صدازه بمبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات لاقامة خزان سنار ونجاح مشروع ري الجزيرة ، في هذه السنة أقر البرلمان البريطاني الحكومة الانكليزية على ضمان هذا القرض . وعلى ذلك بدئت الاعمال التمهيدية لسنار الخزان في سنة ١٩١٤ . لكنها اوقفت عند ما شبت نيران الحرب الكبرى .

وقد رفضت الحكومة المصرية إذ ذك ضمان هذا القرض لأنها رأت الأمل ضعيفاً في استرداد ما دفعته للسودان سداداً لمعجز ميزانيته بما بلغ احد عشر مليوناً من الجنيهات ، ولأن السياسة الانكليزية كان ظاهراً ميلها الى استئثار اسكتلندا بالسودان بعد ان تكون مصر قدمت له من الاموال ما مكنه من الاستقلال مالياً عنها . وربما كان للحكومة وللجمعية التشريعية عن ذلك من المذر أن الاموال التي دفعتها مصر للسودان في السنوات المتعاقبة كانت ملايين عدة . وضمان مصر لقرض الجزيرة قد ينتهي بأن تدفعه مصر فتضاف هذه الملايين الى تلك لتعود قائمتها آخر الأمر على اسكتلندا وحدها . غير أن طائفة من المصريين كان لهم رأي غير هذا

الرئي . وكانوا يمتقدون ان كل عمل هدمي او مالي يربط مصر  
بالسودان يقوي حصة مصر في السودان ويكون نقطة ارتكار  
لاولوية مصر في ان تمت بيدها نصريف مياه النيل . ويذهبون الى  
اكثر من هذا . إذ يقولون ان حكومة السودان كانت على استعداد  
لان يشترك المصريون ملاكاً ومرارعين في استغلال سهل الجزيرة  
ولكنهم اظهروا اعراضاً تاماً عن هذا الاشتراك كما ظهرت الحكومة  
المصرية ارغبة كل الرعة عن ان يكون لها في استعمال السودان  
يد أو رأي .

ورما كان هذا الذي يقال صحيحاً . وربما كان مركز مصر في  
السودان غير ما هو اليوم لو ان الحكومة المصرية صمنت قرض  
الجزيرة الاول الذي ريد بعد انتهاء الحرب من ثلاثة ملايين الى  
سنة لارتفع أسعار الحماة والاحوار الملازمة لانعام بناء الحران .  
وربما كان من الخير حقاً لو ان المصريين ذهبوا لاستغلال هذا  
السهل المتراحي الاطراف وحققوا بذلك تحقيقاً فعالياً حقهم بأن  
السودان هو المهر الطبيعي لهم فلا سبيل لفصله عنهم . لكن هذا  
الذي تبدو صحته اليوم لم يكن واضحاً مثل هذا الوضوح قبل الحرب  
حين كانت اسكترا صاحبة السلطان الفعلي المطبق في مصر . وحين  
كان المصريون في شدة حذرهم من سلطانها في السودان يخافون  
ان يتقدموا نحوه خطوة . لذلك كان لحكومته يومئذ ، أو بالاحرى

كان للجمعية التشريعية التي رفقت ضمان الحكومة المصرية قرض الجزيرة ، العذر كل العذر عن هذا القرار

تحت مصر إذن عن الاشتراك في استعمال سهل الجزيرة فأقدمت أكثرنا بتشجيع لورد كنشتر على الافراد هذا الاستغلال . وأقر البرلمان البريطاني ضمان الحكومة الانكليزية قرض الجزيرة فبدى بالاعمال التمهيدية لانشاء حران سار ، ثم استمرت نار الحرب فأوقفت هذه الاعمال . لكن إيقافها لم يمنع من الاستمرار في قيام نقابة زراعة السودان باحراء نحارب حديدة حصوصاً بعدما تقرر أن تكون مساحة الاراضي التي يرويها حران سار ثلاثمائة الف فدان يزرع ثلثها قطناً في كل عام . فأنشأت النقابة المذكورة في أوائل سنة ١٩١٤ محطة طلمسات حديدة في بركات بري ستة آلاف فدان . ثم أنشأت بعد ذلك محطة أخرى لري ١٩٥٠٠ فدان في ناحية الحوش بدأت استغلالها منذ سنة ١٩٢١ ، ومحطة رابعة في وادي النولري ثلاثين الف فدان بدأت استغلالها منذ سنة ١٩٢٢ . وكان هذا الاستغلال على قاعدة زراعة الثلث قطناً والثلث ذرة ولويسة وترك الثلث الباقي بغير زرع . أي على قاعدة الدورة الثلاثية

ولم تكن غاية حكومة السودان ولا نقابة زراعة السودان من انشاء محطات الطلمسات هذه مجرد القيام بتجارب لزراعة القطن فقد

كانت تجربة الطيبة كافية منذ سنة ١٩١٣ . لكن زراعة القطن كانت قد اندثرت من السودان قبل ثورة المهدي بزمان غير قليل . والمصريون المدربون على زراعة القطن رفضوا الاشتراك في الاستغلال . وقد عطلت الحرب استمرار القيام بأعمال إنشاء الخزان . فرأت الحكومة ورائت النجاة الاستفادة من هذا الطرف لتدريب اكبر عدد ممكن من المفتشين الاسكيز ومن أهالي السودان ومن الوافدين عليه من البحريا وغير البحريا على انقيام بهذه الزراعة ومراقبتها حتى إذا تم بناء الخزان وكانت النزع والقنوات في الثلاثمائة الف فدان التي أعدت في المشروع قد تم اشغالها امكن زرع ثلثها أو ما يقرب من الثلث قطعاً دفعة واحدة بمعرفة هؤلاء الاسكيز المفتشين والاهالي المزارعين الذين تدرّبوا على زراعته . وقد أثبت ارمس بعد نظر الحكومة والنجاة في هذا الشأن اذا أمكنت زراعة ثمانين الف فدان قطعاً على أثر تمام بناء الخزان مباشرة في شتاء سنة

١٩٢٥ - ١٩٢٦

• • •

أما هذه الثلاثمائة الف فدان التي تقرر منذ البداية ان يتكون منها مشروع ري الجزيرة فتمتد على الشاطئ الغربي لليل الازرق مبتدأة عند قرية الحاج عبد الله على بعد سبعة وحسين كيلو متر الى شمال

مكوار حيث يقوم الحران . (وقد سمي الناس في السودان اسم قرية الحاج عبد الله وأصبحت هذه النقطة معروفة عند المهندسين باسم الكيلو سبعة وخمسين) . ثم تستمر في امتدادها شمالاً على محاذاة النهر وسكة الحديد مدى خمسة وعشرين كيلومتراً . ويختلف عرضها من الشرق الى الغرب بين أربعة عشر وحمة وعشرين كيلومتراً . ويسير وأمامك هذه الأبعاد أن تتصور هذه القطعة من السهل المطمئن لا تقوم عليه روة من الرابي ولا عقبة من العقبات محذية السيل الأزرق الخصب ، وأن تتصور الى جانب ذلك أنها ليست الا جزءاً من عشرة أجزاء من تلك الأراضي التي يمكن ربيها بالمشروعات والتي تبلغ ثلاثة ملايين فدان من خمسة ملايين هي مجموع مساحة سهل الخريرة . وان تتصور أخيراً ان هذه الثلاثمائة ألف فدان تقرر سنة ١٩١٣ وهما هي حكومة السودان وثقافة زراعة السودان تراها الآن غير كافية بالحاجة الزراعية مع أنها لم يبدأ بزراعتها الا عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ أي منذ عام واحد فقط

وهذه الثلاثمائة ألف فدان ، كغيرها من أراضي سهل الخريرة ، لم تكن ملكاً لحكومة السودان وهي ليست الآن ملكاً لها . بل هي في ملك أهالي السودان الذين كانوا يزرعونها على المطر حبوباً جعلت الجزيرة - كما اسلفنا - مخزن حبوب السودان . وقد رأت الحكومة ان نظام مشروع الخريرة لا ينتج ثمراته إذا بقيت هذه



الأراضي تحت يد ملاكها . وراثت من ناحية أخرى أنه لا بد من نجاح المشروع من أن تكون للاهالي مصلحة مادية فيه . فاستأجرت أراضي المشروع لمدة أربعين سنة بالبحار سوي عشرة قروش للفدان كما اشترت الأراضي اللازمة للترع الرئيسية وغير الترع الرئيسية من المدفع العامة ثمن حنيه واحد للفدان . وقد كانت مساحة هذه الأراضي قد حددت تحديداً دقيقاً بمعرفة الهيئة التي نوهنا من قبل بذكرها والتي اتمت عملها في سنة ١٩١٢ وسحلت أملاك لاهالي بأسمائهم فقد كانت المعاملة بينهم وبين الحكومة لا تثير نزاعاً من هذه الجهة على أن هؤلاء الاهالي الذين استأجرت الحكومة أراضيهم يجب أن يكون لهم إلى جانب هذا الإبحار الذي يدو تافهما ضئيلاً متى استعملت الأرض بزراعة القطن مصلحة أخرى تجعلهم لا يشذرون ولا يشعرون أن حياً وقع عليهم . وقد حلت الحكومة والنقابة هذه المسألة بصورة تراها وتحكم على عدالتها بعد أن نصف لك كيف نظم ري الجزيرة .

صبحت الثلاثمائة ألف فدان اذن في حيازة الحكومة التي استأجرتها . وهذه الثلاثمائة ألف فدان تحاذي ترعة الجزيرة حياً وتحيط بها حياً . وقد قسمت الحكومة والنقابة هذه المساحة إلى تسعة عشر قطعة كل منها تبلغ نحو خمسة عشر ألف فدان ثم قسمت كل قطعة مساحات أربعة . وفي الترع الرئيسية الآخذة من ترعة

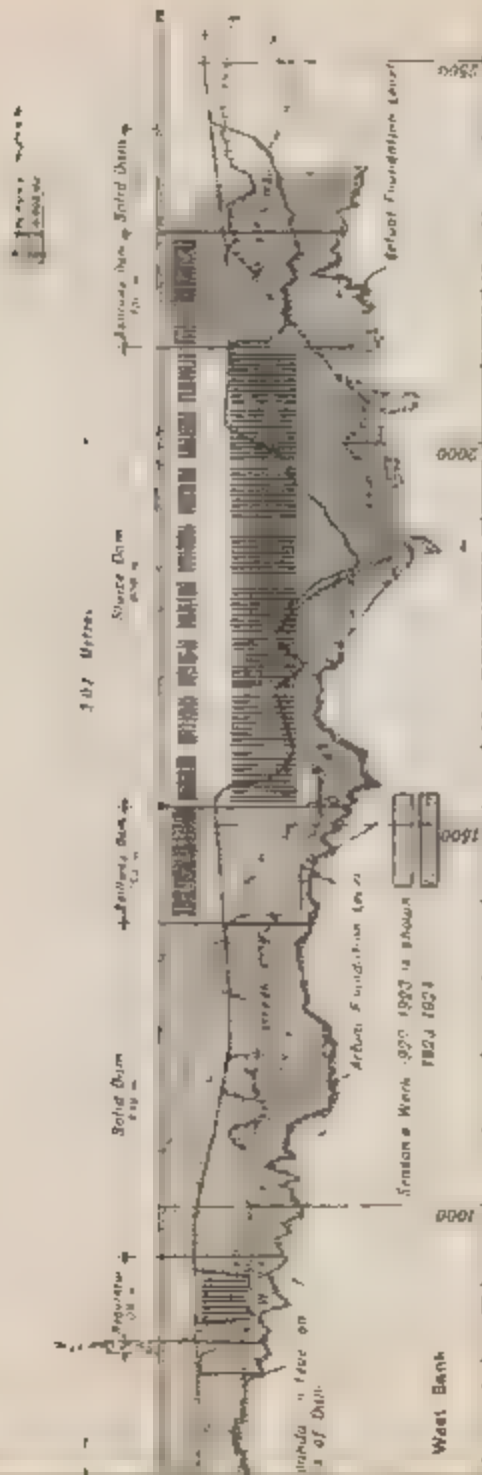
الجزيرة وبين كل واحدة وما بعدها نحو ١٥٠ متر. ومن هذه الترع تروى الأرض عن طريق فتحات منتظمة أدق نظام.

وقد رأت الحكومة ان قدرة المزارع في الاستغلال الصالح لا يمكن ان تعدو العمل في ثلاثين فدانا يزرع منها عشرة أفدنة فقط وعشرة ذرة ولوية ويترك العشرة الباقية بعير زراعة. لذلك حملت هذه الثلاثين فدانا وحدة ما يصع الرجل عليه يده في أراضي الجزيرة. وملاك الارض الأصليون يفصلون على من سوام في الاستغلال. فكل مالك يضع يده على ثلاثين فدانا من أرضه. ولكي لا يشعر كبار الملاك بأنهم غلبوا في تأخيرهم أراضيهم للحكومة حملت القاعدة أن يكون للمالك حق اقتراح الأشخاص الذين يستعملون مائرا ما استأجرته الحكومة من ملكه وهو عاب الأحيار يقترح من يتصلون به بصلة القربى. وما دامت تقارير المفتشين عن هؤلاء المزارعين صالحة فلا محل لاحتلالهم عن الأرض التي يستعملونها

أشرنا الى أن محطات الطلبات هي التي قامت بالتحارب الأولى كما قامت بتدريب المزارعين على طرق الاستغلال وأدواته، والتي استمرت كذلك الى أن تم بناء الخزان في سنة ١٩٢٥ بعد ان بدأت الأعمال الاولى التمهيدية فيه في سنة ١٩١٣. وشرنا كذلك الى ان هذه الأعمال أوقفت على اثر إعلان الحرب العامة في سنة ١٩١٤.

فما انتهت الحرب عد المسيو السندريني لذي وكلت الحكومة اليه  
المشروع مباشر لعمل الاشاء . لكن ارتفاع الاسعار على اثر  
الحرب حمل المباع التي قدرت لانعام البناء غير كافية . على انه استمر  
في العمل لحساب الحكومة وياشر منه قسماً غير قليل . وفي هذه  
الاشاء رأت حكومة السودان ان خطة الاشاء على هذه الصورة ،  
صورة الحساب الجاري ، تبينها بالتفقات . فما قررت الحكومة  
البريطانية رفع قرض السودان الى ستة ملايين طرح اكمال بناء خزان  
سنار في المناقصة ورسا على محلات بيرسون وأولاده بلنדרه فبدأوا  
العمل فيه منذ ابريل سنة ١٩٢١ ، وهم الذين قاموا بانتمائه

وسبقنا الى وصف الخزان حين تمر فوقه . وذكرنا ان طوله ومعه  
الحوض المصماء يباع ٣٢٥٠ متراً مد عليها شريط سكة الحديد  
استعداداً لانشاء حط مكوار . كلا . وثبت الآن مذكرة فية  
عن خزان سنار وضعه الفني بك الذي كان مدير أعمال تفتيش ري  
مصر بالخرطوم وتكرم باطلاعاً عليها كما تكرم بايقافاً على ما طلبا  
من المعلومات الخاصة بهذا المشروع وبشروع جبل الأولياء . وان كان  
قد اعتذر عن الافضاء لنا بما رأى أن وظيفته لا تسمح له . الافضاء به



(صورة الخزان أثناء تشييده)

فتحات السد - معمولة باتساع يسمح بمرور اكبر تصرف  
للبل الاررق وريادة وهو ١٥٠٠ متر مكعب في الثانية والفتحات  
كالآتي :-

أولاً - الفتحات السفلى وعددها ٨٠ وعرض كل واحدة ٣ متر  
وارتفاع ٤ و ٨ ومنسوب العنق ٣ و ٤٤٠٠ ويعمل عليها الموازنة  
سوات حديد تفتح بواسطة وش بحاري .

ثانياً - الفتحات العليا وتسمى فتحات التخفيف وهي ٧٢ فوق  
الفتحات السفلى عرض كل واحدة ٣ متر وارتفاعها ٣ متر وهذه  
الفتحات يعمل عليها الموازنة بواسطة أحشاب سماقي وترفع بهلب باليد  
ثالثاً - يوجد بآخهة الشرقية من الفتحات المبينة عليه ٢ فتحة  
عليا ومثلها في الجهة الغربية وعرض كل فتحة ٥ متر وارتفاعها ٣ متر -  
وعتب عموم الفتحات العليا على منسوب ٢ و ٤١٧ وتفتح وتغلق  
بواسطة أحشاب سماقي

سعة الخزان وملؤه وتفريغه :

أولاً - أعلا منسوب تصل اليه المياه أمام الخزان هو ٧ و ٤٢٠  
ويتفرق على هذا المنسوب ٦٣٦ مليون متر مكعب

ثانياً - في أول يوليو من كل سنة يكون منسوب أمام الخزان  
على ٤١٤ و ٥ ويرتفع تدريجياً في مدة خمسة عشر يوماً الى ٤١٧ و ٢

لاعطاء مياه لري القطن، الجزيرة ونحفظ المياه على هذا المنسوب الى أول نوفمبر.

ثانياً - من أول نوفمبر الى ديسمبر يرتفع منسوب المياه تدريجياً الى ٧ و ٤٢٠ ويبقى على هذا المنسوب الى ١٨ يناير.

رابعاً - من ١٨ يناير تأخذ الجزيرة كافة احتياجاتها من الماء المخزون أمام والتصرف الذي يكون في البيل الارورق في الروصيرص أي تصرف النهر الطبيعي يمر خلف الخزان كما هو لاحتياجات القطر المصري لغاية أول يوليو حيث يتكرر الترتيب المين عليه.

ملحوظة - قد اتبع نظام خاص في الحفر على الخزان هذا العام لعدم أحد مياه كثيرة في يوليو يمكن أن يحصل منها ضرر للقطر المصري وفي أول ديسمبر من هذا العام تم حفظ أمم الخزن على الدرجة المطلوبة وهي ٧ و ٤٢٠.

#### ترعة الجزيرة :

أولاً - فم الترعة عبارة عن ١٤ فتحة عرض الواحدة ٣ متر وارتفاع ٥ متر والعتب على منسوب ١٠ و ٤١١ - من هذه الفتحات سبعة مقفولة بالحرسانة المسلحة، وتعمل المواننة بواسطة بوابات حديد ترفع بونش يدار بواسطة رحلين.

ثانياً - الترعة عرض قاعها ٢٦ متر وارتفاع المياه بها ٤٥ و ٣ متر

وانحدار ٧ ستي في الكيلو وذلك كاف لري المساحة الحالية وهي  
٣٠٠٠٠٠ فدان ومسطاح الترعة يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام  
ثالثاً - أول قاطر حجر على الترعة عند كيلو ٥٧ ويتفرع أمامها  
خمس ترع ومصرف على النيل لتخفيف المياه بالترعة وعندها يبدأ  
الري بالجزيرة وكل الري بالراحة

رابعاً - ثاني قاطر حجر عند كيلو ٧٧ وأمامها ثلاث ترع  
ومصرف على النيل لتخفيف ثم قاطر حجر أخرى عند كيلو ٩٩ ثم  
عند كيلو ١٤٤ .

### الأرض المقرر زراعتها بالجزيرة

هذا العام تم ري ثمانين ألف فدان قطن و ٤٩٠٠٠ فدان ذرة  
وعشرة آلاف لوبيا والرياعة حالتها حسنة  
والمقرر هو ان يزرع مئة ألف قطن ومثلها ذرة وقول ويترك  
مئة ألف فدان بور

السعة فتحات المقفولة من الترعة والمسطاح المترولث الترعة  
يسمحان بزيادة الزمام الى مليون فدان

• • •

وقد طرأ على بعض ما في هذه المذكرة تعديلات فيما يتعلق  
بالتواريخ التي تبدأ فيها حاجة مصرف النهر الطبيعي نعرض اليها



( صورة الخزان من أمام حال الانتهاء من تشييده )



حين الكلام عن مشروعات ضبط النيل كافة . كما ان سعة الخزان  
بمد مئة للمرة الاولى تبين انها ٨ مليون متر مكعب . والماسيب  
المذكورة فيها مذكورة المقارنة الى ارتفاع مياه البحر الالبيض المتوسط .  
فاماورد عن مسطح الفرعة وكوه يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام  
فذلك لأن الخزان يتسع لخرن مياه تكفي دراعة نصف مليون فدان  
اي ضعف المساحة الحالية الا قليلا . والسعة الفتحات المقصده بالخرصاة  
من فتحات فرعة الجزيرة يكفي لامداد هذا المقدار بالمياه اللازمة له  
وبحسب تقديره التقريبي . كي يسهل عليه إدراك حكمة تواريخ  
الملء والتفريغ الواردة في هذه المذكرة الى أن زراعة القطن بالسودان  
تبدأ في أواخر شهر يوليو وأوائل شهر أغسطس . فرفع مستوى الماء في  
الخرن من ٤١٤ر٥ وهو الرقم الموارى لمسوب الفيضان الطبيعي للنهر  
الى ٤١٧ر٣٠ في النصف الثاني من شهر يوليو إنما يقصده الى تغذية  
أرض الجزيرة بمياه الراحة اللازمة لرى الأرض وزرعها قطعاً . ويبقى  
هذا المنسوب ثابتاً الى شهر نوفمبر حين تخلو مياه النهر من الطمي  
ويمكن التخزين . وفي شهر نوفمبر يرفع منسوب التخزين في مسار الى  
مستوى ٤٢٠ر٧ ويبقى الى أن تبدأ حاجات مصر للماء لزراعة القطن  
وتغذية النهر . وإذا كانت أولوية مصر أمراً مقررًا معترفًا به من  
الجميع فقد وجب البدء في تفريغ الخزان بحيث تأخذ أراضي الجزيرة

كل حاجاتها منه ويبقى تصرف النهر الطبيعي وقمماً على مصر .  
والواقع ان حاجة أراضي الجزيرة للماء تقل بعد شهر يناير الذي تبدأ  
فيه الجنية الاولى من حنيات القطن وتنتهي في شهر مارس فلا تبقى  
ثمة حاجة لعبير مياه الشرب . وهذه يكفيتها ما مقداره تصرف عشرة  
أمطار في الثانية .

فاذا كان شهر يوليو وانشدأت الحاجة الى المياه في الجزيرة  
لإراعة القطن وابتدأ الفيضان يجعل رفع الماء في الخزان غير صار  
بحاجات مصر بدي . في عمية رفع المياه في الخزان من حديد

° ° °

لكن مسطح أرض الجزيرة يبلغ ، كما سبق القول ، خمسة ملايين  
من الأفدنة أو يزيد . والنية متجهة الى استغلال ثلاثة ملايين منها .  
فكيف السبيل الى هذا الاستغلال وحران مسار لا يكفي ما يحجره  
من المياه الا لري نصف مليون واحد؟ أم ان مشروع الجزيرة ما يزال  
واقعا في ذهن أصحابه عند ري هذا النصف المليون الواحد من الأفدنة ؟  
لا هذا ولا ذاك . والفكرة الإنكليزية متجهة كل الانحاء الى  
الى ري ثلاثة ملايين من أفدنة الجزيرة واستغلالها لزراعة القطن  
الطويل النيلة . والوسيلة الى ذلك في نظرهم ليست تعبئة حران مسار  
ولكن إقامة حبر على بحيرة تسان في جبال الحبشة لحجز ما ينزل في

هذه البحيرة من الأمطار مما ينحدر أثناء الفيضان مع مياهها في النيل الأزرق ويذهب ضياعاً في البحر الأبيض المتوسط ، وإذا كان خزان سنار الذي يتسع لحجز ٨٠٠ مليوناً من الأمطار المكعبة يكفي لري نصف مليون من الأفدنة فمن الممكن حجز ثلاثة مليارات ونصف مليار على بحيرة تسانا . وهذه العاية تجري مفاوضات مستمرة بين حكومة بريطانيا وحكومة الحبشة

والظاهر ان هذه الفكرة ، فكرة الحجز عند تسانا ، لم تكن متمكة من نفوس الدين الدين بدأوا مشروع ري الجزيرة في سنة ١٩٤٤ وفي سنة ١٩١٢ . فقد روى لي أحد كبار الفنيين من رجال الري ان حكومة الحبشة عرضت قبل الحرب أن يدفع لها ربع مليون من الجنيهات اذا أرادت مصر أو السودان إقامة حجز على تسانا ، فرفضت الحكومتان المصرية والبريطانية هذا العرض . أما اليوم فحكومة الحبشة تطلب هذا المبلغ جزية سنوية مقابل انتفاع من يريد الانتفاع بأراضي هذه البحيرة

وقد ينسأل بعضهم : كيف نحجز المياه التي تسقط في فصل الأمطار في بحيرة تسانا مع أن هذه البحيرة هي التي تغذي النيل الأزرق أثناء الفيضان . وماء النيل الأزرق في هذه الفترة مشبع بالطمي فيجب أن تكون مياه تسانا مشبعة بالطمي كذلك . فدا حجزت رسب الطمي في قاعها فارتفع هذا القاع وبيع من ارتفاعه

على تطاول السنين أن تظمى كلها . وهذا نسؤل من لا يعرف مصدر الطمي وطبيعة أراضي البحيرة المذكورة فهي صخرية واقعة في مرتفع حلي . ومياه الامطار التي تنزل اليها تنزل اكثر صفاء من مياه النيل في أي وقت من أوقات السنة . فأما الطمي فيكون من اختلاط مياه الامطار بسفوح حبال الحبشة ومن انحدار الماء المشبع بتراب هذه السفوح الى مجرى النيل الازرق بعد خروجه من بحيرة تسانا . لذلك كان حجز هذه المياه في هذه البحيرة منذ نزول الامطار فيها صالحاً من الجهة الفنية غاية الصلاح وكانت خزائناً طبعياً بديعاً لري سهل الجزيرة ولترك ما يفيض من الماء ينحدر الى مصر

على أن الحكومة البريطانية تتباطأ في مفاوضاتها مع الحبشة بهذا الشأن بعد ما بدأ لمشروع الجزيرة وجه من الصعوبة لا يتعلق بالري ولكن يتعلق بالآفات التي أصابت زراعة القطن فيها . فقد كانت نتيجة زراعة القطن في أول أمره تفوق كل تصور ، إذ أنتج الفدان من السكالا ريدس اكثر من خمسة قناطير ونصف قنطار . لكن أمراضاً غير معروفة في مصر وما تزال أسبابها الحقيقية غامضة سرعان ما أصابت النبات فأضعفت من متوسط محصول الفدان إضعافاً جعل حكومة السودان والحكومة البريطانية تفكران في الامر تفكيراً جدياً . ونظرة في هذا الاحصاء الرسمي عن حاصل الفدان في الاماكن المختلفة والسنين المختلفة تقنع القارىء بأن الأمر يستحق التفكير بالفعل :-

السنة	الطبية	بركت	الحوش	وادي النو
١٩١١ - ١٢	٥,٣٢	—	—	—
١٩١٢ - ١٣	٥,٦٢	—	—	—
١٩١٣ - ١٤	٣,٨٠	—	—	—
١٩١٤ - ١٥	٣,١٠	٥,٣٩	—	—
١٩١٥ - ١٦	٣,١٠	٣,٤٨	—	—
١٩١٦ - ١٧	٣,٤٧	٣,٢٠	—	—
١٩١٧ - ١٨	٤,١٠	٢,٦٦	—	—
١٩١٨ - ١٩	٤,١٣	٣,٥٠	—	—
١٩١٩ - ٢٠	٥,٦٠	٤,٩٨	—	—
١٩٢٠ - ٢١	٣,٢٠	٣,٥٠	—	—
١٩٢١ - ٢٢	٣,٤٦	٣,٨٤	٤,٣٢	—
١٩٢٣ - ٢٤	٤,٩٠	٤,٠٠	٣,٤٠	—
١٩٢٣ - ٢٤	٢,٥٤	٢,٨٧	٢,٨٨	٢,٨٨
١٩٢٤ - ٢٥	٢,٣٣٨	٢,٢٨٨	٢,٣٩٠	٢,٠٤٦

هذا الاحصاء صريح في الدلالة على خطر الحالة وتطلبها العناية والبحث . لذلك قامت الجمعية الامراتورية لزراعة القطن بالاستراك مع نقابة زراعة السودان ومع حكومة السودان بوضع برنامج شامل

لمباحث التي يجب أن تعمل لفحص أسباب هذه الأمراض ووسائل علاجها . وتكونت بلندرة هيئة استشارية مثلت فيها هذه الجهات الثلاث ، وطبقها فحص التقارير الزراعية الخاصة بمشروع الجزيرة واسداء النصيحة فيما يجب القيام به من المباحث في العام الذي يلي هذه التقارير

أما مزرعة مباحث الجزيرة الكائنة على مقربة من واد مدني والممتدة على مساحة قدرها ثلاثمائة وخمسون فداناً فقد أمدت بما يجب لبحث المسائل التي تمحور رراعة الجزيرة . فأقيمت المعامل ليعمل فيها علماء للظفر فيما يقتضيه البحث الكيميائي والنباتي ولاحراء التحارب الخاصة بانتقاء بذرة القطن التي يمكن أن تصلح في أراضي الجزيرة من غير أن تصاب بما أصيبت البررة القديمة به من الآفات . واكبر ظن الفنيين في الوقت الحاضر أن هذه الآفات التي تفشت في رراعة القطن سببها رطوبة الأرض مد ربيها ريكاً صاعباً ، وأن هذه الرطوبة لم يقف أثرها عند تزايد حرائيم لا نصيب الا طاهر شجرة القطن بل تولدت عنها حرائيم امتدت الى مدور القطن معه . على أن هذا ما يرال في حيز الظن الى أن تحلو المباحث العلمية الحقيقة غير أن تباطؤ الحكومة البريطانية في المفاوضات الخاصة بمشروع قسانا لم يشتها عن مطالبة الحكومة المصرية بزيادة الثلاثمائة الف فدان

التي تزرع الآن في الجزيرة الى اربعمائة وحسين الفاء. وقد بحث  
هذا الطلب بعد صدور الانذار البريطاني لمصر على اثر مقتل  
سير لي ستاك باشا في القاهرة ثما منفصله في الفصل القادم. ونحسب  
الحكومة المصرية لا ترى من اجابة هذا الطلب مانعاً

حران سنار ومشروع الجزيرة هما إذن حلقتان من سلسلة  
حافظات مشروعات الري الكبرى . فما هي هذه المشروعات ؟ وإلى أي  
حد وصلت ؟ وما وجه الحق ثم ما وجه الخطأ فيها ؟ ذلك ما نعرض  
له بالبحث الآن

## بروم في جبل الأولياء مشروعات الري الكبرى

كانت زيارة جبل الأولياء ومشاهدة مآثره هناك من الأعمال  
لإنشاء قطرة الحجز التي أريد تشييدها لفائدة الري في مصر خاصة،  
من أول ما عنت به منذ نزلت الخرطوم. ذلك بأن الحكومة المصرية  
كانت قررت هذا المشروع، وبأن الأعمال كانت سائرة فيه على مهل  
حقاً، ولكنها كانت مستمرة في انتظار طرحه لمناقشة العامة وتولي  
أحد البيوتات الهندسية الكبرى إقامته. ولم يقد أحد باعترض  
جدي على هذه الأعمال واستمرارها منذ انتهت اللجنة الدولية التي  
بمخت الخلاف الذي كان حاصلًا بشأن مقاييس مشروعات ضبط  
البل بين السير ولیم وللكس والمستر كدي من ناحية والسير مردخ  
ماكدونالد من الناحية الأخرى. فمن يوم حكمت هذه اللجنة بصحة  
نظرية السير ماكدونالد ونطقت ماتمك به خصماء في شأن المقاييس  
التي أقام هو عليها حسابه وفي شأن توزيع المياه من طريق قاطر  
الحجز بين مصر والسودان توزيعاً لا يضر أولوية مصر التاريخية - من  
ذلك اليوم استمرت الأعمال في مكوار إلى أن تمت إقامة خزان سنار،  
وأرادت الحكومة المصرية الاستمرار في تشييد خزان جبل



الاولياء لولا أن الاموال التي قدرت من قبل الحرب لاقامة هذا  
الحران وقدرها مليون من الخبثات لم تصبح كافية بسبب العلاء  
الذي عقب الحرب، وان الحكومات المصرية التي كانت تتوالى في  
ذلك الحين كانت في وضع سياسي غير منتظم لم يتمكنها من تقرير  
الاعتمادات اللازمة لانشاء حزان جبل الاولياء . فلما توالى الحكومات  
بعد إعلان مصر استقلالها لم تستطع إحداها الفصل في الموضوع الى ان  
تولى معالي اسماعيل باشا سري وزارة الأشغال منذ أواخر سنة ١٩٢٤  
الى شهر مايو سنة ١٩٢٦ . وإذ كان معاليه ممن عملوا في تقرير  
مشروعات الري ومن بينها جبل الاولياء فقد قررت الحكومة التي  
كان فيها الاعتمادات اللازمة للسير في العمل

والى ذلك الحين لم تكن فكرة إهمل حزان جبل الاولياء وتعلية  
حزان اسوان الخاضعة لتعلية ثابتة قد وجدت أنصاراً في الحكم ولا  
كانت قد وجدت أنصاراً أقوياء خارج الحكم . لذلك كان طبيعياً أن  
أعني بزيارة جبل الاولياء وأرى سير الاعمال فيه . وكان ظني أن  
أتمكن من الذهاب اليه صبيحة يوم الثلاثاء ١٩ يناير إذ كان برنامج  
رحلة افتتاح حزان سنار خالياً يومئذ . لكن اشتغال مواطنينا القائمين  
بأمر جبل الاولياء باستقبال سري باشا وزير الأشغال لم يجعل اجابة  
اطلاعي هذا ميسورة . فقصيت الثلاثاء بأم درمان وانتظرت الى يوم  
السبت الذي يلي وصولنا الى الخرطوم بعد حفلة سنار ، وفي هذا اليوم

أعددت عدتي للذهاب مع مقش ري جبل أولياء محمد بك صهري  
شهيب الذي تفضل بدعوتي كي أصحبه في سيارته .

تقع قرية جبل الاولياء على بعد خمسة وأربعين كيلو متراً الى  
جنوب الخرطوم على النيل الابيض . وقد اخبرت بعد ان أثبت  
جس قاع النهر ان القاع صحري عندها فلا يحتاج الى نفقات جسيمة  
يجب افاقها للوصول الى طقة صخرية بعيدة عن القاع بعداً كبيراً .  
وكانت قد دارت بخاطر السير ولیم ولكنكس حوالي سنة ١٩٠٩ فكرة  
انشاء قنطرة الحجز على النهر بين الخرطوم وأم درمان لتعفي في الوقت  
نفسه عن إقامة جسرين عاصمتي السودان <sup>(١)</sup> . لكن هذه الفكرة  
أهملت لما كان يترتب على الحجز من اتساع مسطح المياه اتساعاً  
يضر البلدين جميعاً ضرراً جسيماً

كنت أود لو استطعت بدل الذهاب في السيارة ان أركب  
السفينة التي يسافر فيها المهندسون من الخرطوم الى جبل الاولياء .  
لكن قيامها في منتصف الساعة السادسة صباحاً وخشيتي عدم التذكير  
في البقطة عدلاي عن هذا الميل . فما استيقظت في الصباح الفيت  
الوقت مبكراً مما حملي أود لو وجدت الوسيلة لاحتظار مواطبيها  
المسافرين على طهر النهر . وزاد هذا الميل عندي ما كان من صحو  
السماء ودفع الجو وتفريد العصافير فوق أشجار الفندق . لكنني بعد

(١) كذلك سمعت من معالي سري باشا

قليل من التفكير وثاماً ما أزال في سريري ممتعاً بما حولي من دواعي  
الكسل عدت ففصلت أن أتناول إفطاري على مهل في انتظار مجيء  
السيارة الساعة الساعة والنصف . وقبل هذا الموعد كنت قد أتممت  
عديتي وغادرت العرفة الى شرفة الفندق حيث انتظرت الى حين  
حلوله . ولم يحضر صبري بك فزرت الى الشارع الفخم المحاذي للنيل  
الازرق أسير فيه ذهاباً وحيث . ووصلت من مسيرتي الى حديقة  
الحيوانات فدخلت اليها وطلعت أرجاءها وتمتعت في هذا الوقت الظريف  
الربيع هواؤه الهادئة شمسه بمناظر المeral والنعام وما ترال هي الأخرى  
قاعة بقطعة النهار وانطواء بساط الليل . واذ كانت الحديقة لا تباع  
ركباً من أركان حديقة القاهرة فقد خرجت منها بعد ربع ساعة .  
ويمت المندق من جديد . وإذ وصلت الى بابه كان صبري بك قد  
دخل يألعي فتبادلنا التحية وركبنا السيارة التي اخترقت شوارع  
الخرطوم وتحطت الى فضاء كأنه الصحراء

نم كأنه الصحراء! فهو ليس صحراء كالتى قطعها القطار بين حلفا  
وابي حمد والتي لا تعرف من صور الحياة غير « التكلات » المنقطعة  
عند المحطات من مرة الى مرة ١٠ . لكنه مع ذلك رمال فسيحة  
ممتدة يقدم عليها الحين بعد الحين « ديم » به بعض تكلات تشهد  
أن الحياة به غير منقطعة كل الانقطاع وتغطيها شجيرات يدعونها  
« العشار » أشبه شئ في أقمائها على الأرض وفي قمام لون ورقها وفي

صمتها الموحش لا يحببه طير ولا حشرة بتلك الشحيرات التي تقوم الى جانب كثير من مقابر الارياف . وفوق هذه الرمال وبين تلك الشحيرات ظلت السيارات في انطلاقتها مسرعة وظلنا لا نرى ساء مدى ساعة ونصف الساعة . وحتى هذه «التكلات» القاعة في «عض الدب» والمبنية من الطين لا يقيم حولها رجل ولا امرأة . ثم بلغنا قرية جبل الاولياء . وهي اقرب للكفور والعرب منها لقرى الريف . بل اقرب للكفور والعرب الصغيرة منها الى العرب الكبيرة . ومن قبل أن غر يهده القرية تبدى أمامنا جبل قليل الارتفاع هو الذي سميت باسمه القرية . وهو جبل قاحل من حجر حبرى كنه الشمس المحرقة لوناً كالحج.

وتقدما نحو مستعمرة الخران التي أقامتها الحكومة المصرية للمهندسين والعمال الذين سيقومون بالتشيد ومراقبته . وفي هذه المستعمرة منازل عدة وبها مستشفى وقد زرعت فيها بعض الاشجار . وسرنا بين هذه المباني التي أقيمت من حجر الجبل الى ان وصلنا مقر تفتيش جبل الاولياء . ولعلك إن أردت أن تستوضح منه صورة موفق الى ذلك اذا كنت قد رأيت بعض دواوين الهندسة في مراكز مصر أو بعضاً من مباني المحاكم الجبلية في هذه المراكز دخلنا التفتيش وجاء الموظفون فاذا بي في وسط مصري حاص واذا أحد هؤلاء الموظفين كاتب كثيراً ما ظهر اسمه على صفحات

الجرائد المصرية على مقالات في التفكير والاحتجاج ، ثم رأى جبل  
الاولياء ووزارة الأشغال أكثر فائدة وحدوى من صناعة القلم . وجعل  
صبري يتنظر في أوراق التفتيش رسماً . ولما أردت أن أقف على  
بعض معلومات خاصة بالخران ذهب الى غرفة مجاورة ثم عاد يخبرني  
أن المهندس المقيم مستر تير ( The Resident Engineer Mr. T. )  
يفضل أن يزور الماني التي تحاور الخران وأن شهدهم كان الخران وأن  
تري الاستعداد للانشيد وما حوى هذا الاستعداد من تجارب هندسية  
كي تتمكنك بعد ذلك من أن تطرح عليه ما تريد سؤاله عنه

وسرنا صوب النهر الى حيث تقرر بناء قنطرة الحجز مارين في  
طريقنا بسكك حديد ضيقة ( ترولى ) لنقل الاحجار والعمال . ثم انعطفنا  
فتساقا الى حيث كان يقام بناء حديد للتفتيش يشرف على النهر  
ويمكن للمقيم به أن يرى العمل أثناء سيره وأن يراقبه مراقبة دقيقة ،  
ولذلك سمى هذا البناء منزل الخران . ومن عند هذا البناء تسلفنا من  
حديد ثمة وضع فوقها حجر هو حجر المحور كما يسمونه ومنه يرى  
الانسان على شاطئ النهر حجرين على خط مستقيم معه هما موضع  
بداية البناء عند كل شاطئ . وعلى حجر المحور هذا اعتاد الزائرون  
أن يكتبوا اسماءهم . وعليه كتبت اسمي أنا أيضاً مثلما يكتبون .

وانحدرتنا من عند حجر المحور الى بناء التفتيش الجديد فالى  
شاطئ النهر ونحن نتحدث عن هذا الخران وبنائه . فلما كنا عند



(مسجرة جبل الاولياء)

الشاطئ، لعت نظري حوض كبير في الارض بني من احجار الجبل  
فسألت عما هو. فاذا السيد موريس فتر موريس المهندس الانكليزي  
العظيم في شؤون العمارة كان قد استدعى الى هذه المنطقة ليبيدي رأيه  
من الوحة الفنية فيما اذا كانت احجار جبل الاولياء صالحة لاقامة

قناطر الحجز منها أو ان ضروريا جلب احجار الجرانيت من ناحية  
مكوار أو ناحية أخرى أقرب منها . وقد بني هذا الخوض من حجر  
جبل الاوايا . وعلى . بالماء لمعرفة تأثير الماء فيه وتقدير قوة مقاومة  
القناطر التي تبني به . ومع أن هذا الحجز ثبتت قوته فقد ابدى الخبير  
الفني رأيه بأنه يفصل أن يبني القناطر من حرايت وجد على مسافة  
أربعين كيلومترا من جبل الاوايا . ويقتضى نقله نفقات غير قليلة لكن  
النفقات يجب أن لا يقام لها حساب كبير عند اقامة أعمال هندسية  
لها صفة الدوام كقناطر الحجز المعدة لحزن مليارات الامتار المكعبة  
من المياه ذات الضغط الشديد .

واستدركنا عند هذا الخوض الى ناحية صهرنج ماء مرتفع واقع  
عند شاطئ . النهر اعد لتغذية بعض اعمال البناء والهندسة القائمة هناك .  
والى جانب هذا الصهرنج امتد في وسط النهر جسر ضيق لا يتسع  
لاكثر من شخص واحد يسير عليه ويصل بين الشاطئ . وورثة  
عوامة سمما منها اصوات المطارق التي كانت تعمل لانتقام معدات  
الناحية كسلا الواقعة الى جانبها . فوقفت بعد خطوات من الحسر  
هنيهة واحلت الصر فيها حولي أين أنا الآن ؟ . . . هذا هو النيل امامي  
اراه كما اراه في دمياط وفي المصورة وفي القاهرة وفي اسبوط وفي  
اسوان . وهذه شمس الشتاء الدافئة فوق تبعث من خلال السماء  
الصافية البديعة الصفاء اشعتها المحسنة التي تتعاون مع الماء لبعث الحياة

في انحاء الوجود . وهذه هي الباحة كسلا يقوم بالعمل لاعدادها  
جماعة من اخواني المصريين . وهذه الاراضي المنتسعة حولي اشبه في  
طبيعتها السهلة رغم قيام جبل الاولياء فيها بطبيعة الوادي من مصر  
الى حلما والى الخرطوم تقوم فوق اراضيها المبسطة جبال لا تزيد  
على جبل الاولياء ارتفاعا ، وهام السودايون الذين خلعت بالخرطوم  
يتكلمون باللغة التي اتكلم بها ويدينون مثلي بالاسلام ويتصون كما  
اتصل بماض مجيد يعرف الفراعنة ويعرف الرومان ويعرف العرب .  
الست اذن في بيتي الطبيعية ؟ اليس هذا الصمت المحيط بي يوحي لي  
من العواطف والمعاني بما يوحي به صمت ارياف مصر : وليس ذلك  
حملة على أن النيل المحسن أب لكل من اقام على ضفافه الفياضة  
بالحصب والخير والبركة ، فكل من اقاموا على هذه الضفاف إخوان  
يجب أن ينعموا احرارا بخيرات أبيهم العظيم

وسرنا فوق الجسر الى الورشة العوامة وارتقيا فوق سطح  
الباحة كسلا . وكسلا احدي بواخر وزارة الاشغال التي تقل المهندسين  
ومفتشي الري المصريين ما بين الخرطوم والملاكال وأعلى النيل  
الايض وكانت في هذا الخوض تجدد غرفها وسطوحها وتعد لراحة  
المسافرين عليها راحة كاملة . والشئ الذي تمتاز به هذه البواخر الصغيرة  
التي تسير في اعالي النيل غرفة كبيرة من السبك يقيم بها المسافرون  
لتقيهم فعل ناموس الملا ريا بهم . والمسافرون يلحأون في الشتاء الى



هذه العرفة نهارهم ويأوون الى الغرف العادية ساعات الليل . أما في الصيف فالعرف العادية لا نحتمل ايلا ولا نهاراً . عند ذلك تصبح غرفة السلك هذه هي المأوى وهي المأوى اليوم كله وعدنا من حيث أتينا وعادنا وراءنا كسلا والورشة العوامة وصهرج الماء والخوض الذي بنى من الحجر وارتقينا الشاطئ حتى وصلنا الى ورشة كبيرة سورت بمحواط من الصباح وقام بالعمل على وابوراتها جماعة من المصريين . وهذه الورشة مستعدة لكل ما يحتاج الأمر اليه في أعمال التشييد والبناء .

ورجما الى تفتيش الري وقتلت مستر تير المهندس المقيم الذي أبدى لي ، بعد تبادل النحية ، تمام استعداداه لاجابتي عن كل ما أريد أن أسأل عنه من شؤون الخزان الفنية . قال « أما الاعتبارات السياسية فليست من شأني ولذلك لا جواب لها عندي » وقبل أن يبدأ الحديث أطلعتني على خريطة الخزان الذي يمتد - بعد تمام بنائه - من حل الأولياء الى الدويم . ولما كانت هذه المنطقة تدور للنظر رملية وكان تسرب المياه أثناء الرمال مما يسهل تصوره كان أول ما سألت المهندس المقيم عنه اذا لم يكن الخزان في هذه المنطقة من وادي النيل مصيغاً لكميات كبيرة من المياه خصوصاً وأن ارتفاعها في الشهر مدة التخزين يحمل ضغطها على الرمال أكبر . ومن شأن ذلك أن يزيد كمية التسرب خلال الرمال .

## فكان جوابه :

ولقد ورد مثل هذا الخاطر نفس الذين فحصوا هذه الارض قبل البت ببناء الخزان عليها ، فقاموا باحراء تجارب افقتهم بأن الارض صماء لا تسرب المياه خلالها اكثر مما تسرب خلال أية منطقة جبلية . وما نزال نحن موالين احراء مثل هذه التجارب . وكل ما نقوم به منها يزيدنا اقتناعاً بصلاح المنطقة للبحر . من هذه التجارب اما حفرنا آباراً كثيرة على شاطئ النهر ما بين حل الأولياء والدويم وتركنا هذه الآبار أزماناً طويلة . وقد لوحظ أن هذه الآبار لا تتأثر بالفيضان ولا بالنحاريق . فارتفع الماء فيها وعيصرته منها لا علاقة له البتة بارتفاع النيل وانحماضه . وهذا دليل على أن تسرب الماء في هذه الارض ليس يسيراً كما قد يبدو للنظرة الأولى . ورادنا اقتناعاً بصلاية الارض وعدم قابليتها للتسرب أن المياه في هذه الآبار لم تكن ترتفع وتنخفض وتفيض بنسبة واحدة ولا في أوقات واحدة . فن هذه الآبار ما كان يرتفع ماؤه اكثر من غيره ومنها ما كان يفيض فيه الماء بينما ما يرال غيره يرتفع الماء فيه . ومضلاع ذلك كله فان ارتفاع المياه في هذه الآبار لم يصل يوماً من الأيام الى محاذاة ماء النهر ولم يرد يوماً على ان كان ماء شع كما يرى في أية منطقة غير منطقة جبل الأولياء ، وكما يرى في بعض المناطق الجبلية الصخرية . وهذه واحدة من التجارب . ونجربة أخرى اتنا وضعنا اسطوانة

نحاسية ارتفاعها خمسة أمتار عمودية على هذه الرمال وملاؤها بالماء .  
وتركناها أياما طويلة فلم ينقص الماء فيها أي نقص مما يدل على أن  
الرمال لم تشرب منه شيئا .

« واكثر من خمسين تجربة من هذا النوع أجريناها وكلها دلت  
على أن أرض هذه المنطقة صماء وان التخزين بها لا يخشى معه من  
تسرب الماء خلال الأرض ولا من تشرب الأرض لماء . فاذا لوحظ  
الى جانب ذلك كله أن مقدرة الأرض على التشرب تنتهي كما تنتهي  
مقدرة الماء على اذابة أي مادة قابلة للدوان - كالسكر وكالمالح -

تلقى فيه ، وان فيضان النيل في هذه المناطق يرجع الى آلاف السنين  
لم يبق أمامنا موضع للرية في أن نظرية التسرب نظرية لا أساس لها  
لم أجد ما اعترض به على هذه الأقوال . ولاحظ ذلك مستر تير .  
فانتقل من مسألة التسرب الى الحديث عن جبل الاولياء ووطيفته  
الحقيقية فقال :

« تعلم ان مصر بحاجة الى أربعة عشر ملياراً من الامتار المسكنة  
من الماء لا مكان ري كلما ما يمكن ريه من أراضيها القابلة للزراعة .  
وخزان اسوان الحالي لا يحجز اكثر من مليارين ونصف مليار .  
وخزان جبل الاولياء لن يقوم بحجز كمية اكثر مما يحجز خزان  
اصوان . ولا سبيل الى الحصول على التسعة المليارات الباقية لسداد  
حاجات مصر المائية في مستقبل غير بعيد الا التخزين على البحيرات

الاستوائية التي ينفع منها النيل الابيض . وهذه هي مشروعات الري الكبرى التي يفكر فيها منذ زمان طويل - من أيام كان السير ويليام جارست مستشاراً لوزارة الاشغال المصرية . والمياه المخزونة في المناطق الاستوائية لا تصل الى مصر قبل ثلاثة أشهر أو ثلاثة أشهر ونصف . فلا مفر والحالة هذه من وجود حوض منظم تحجز عنده كميات من المياه كافية للحاجات العاجلة ويمكن ان تعمل الى مصر في اسبوعين أو ثلاثة أسابيع ذلك لأنه اذا طلبت اصوان الماء للارام لمصر من بحيرة البرت التي سيكون عليها الحجز العام فمن الواجب أن يطلب هذا الماء للحاجات التي تنتظر في مصر بعد ثلاثة أشهر أو اربعة . وقد يكون من الصعب التنبؤ بما سيكون من هذه الحاجات . ففي اثناء ثلاثة أشهر أو اربعة قد ينزل من الامطار في مناطق الحشة أو في مناطق اخرى ما يعي مصر عن هذه المياه . وفي هذه الحالة - حالة ما اذا لم يكن هناك حوض منظم وكالت المياه تسيل من البرت لاصوان مباشرة - يضطر رجال اري الى ترك هذه المياه تمر للبحر الأبيض المتوسط وتضيع فيه . والغاية من اقامة قناطر الحجز انما هي التعادي من ترك الماء يضيع واستبقائه للارتفاع به عند الحاجة . فأما مع وجود خزان جبل الاولياء ، ومثله كلما سحبت مصر المياه التي به ، والحجز بعد أن ينجلي ، علي بحيرة البرت فثم ما يكفل عدم طلب مصر الا ما تتوقعه من حاجاتها الى الماء بعد الاسبوعين أو الثلاثة

الاسابيع الكافية لمسيرة الماء من جبل الاولياء الى اصوان . وتعرف حاجات البلاد المائية بعد خمسة عشر يوماً يسر كثيراً من تعرفها بعد ثلاثة أشهر أو أربعة . ففرص ضياع الماء في البحر الابيض المتوسط تكون في هذه الحالة أقل بكثير . وهذه هي الوضيفة الحقيقية الدائمة لحران جبل الاولياء . هو حوض منظم أكثر منه حزاناً . لكنه سيكون حزاناً الى أن يتم تعديل مجرى النيل في منطقة السدود وإقامة الحجز على بحيرة البرت .

وطال الحديث بنا في هذه الشؤون ثم شكرت المنزلة تير وخرحت وأصحابنا المهندسين المصريين الى حيث تناولوا طعام الغداء في دار أحدهم بجبل الاولياء . وتركنا هذه المستعمرة المصرية التي لا تظهر أمام العين أكثر من مستعمرة صغيرة تكفي لحسون الماء أو مائة ألف من الجبهات لاثائها والتي يقل مع ذلك انها استغرقت ثمانية آلاف من الجنيمات ، تركناها عائدين الى الخرطوم حيث وصلناها ساعة أدنت الشمس بالمغرب .

\*\*\*

آويت الى الفندق ورأسي مشغول بمشروعات الري الكبرى ، هذه المشروعات التي لم تشغل بال المصريين مثلما شغلته منذ سنة ١٩٢٠ حين كانت حركة مصر الاستقلالية على أشدها وحين داخل الناس الروع على مصيرهم اذا ظلت مفتيح النيل في يد غير يد

مصر. فلقد علت الصيحة يومئذ بأن مصر كانت منذ الأزل متمتعة وحدها بيه النيل وبظميه المخصب ، فمن الغش ومن الاعتداء على الحقوق ححر هذا الماء أو بعضه عنهم بزرعة القطر أو غير القطر في السودان ، ومن الغش وضع تصرف النيل الذي كان دائما بيد المصريين في أيدي أخرى تستطيع أن تتحد من ذلك وسيلة لتهديد مصر في حياتها وعبثها السلب وإعير سبب . لكن هذه الصيحة كانت متأخرة من ناحية . وكانت متهمه بالعرض الذي من ناحية أخرى . وكانت سياسة سيئة كذلك .

ومع أن المصريين جميعا اتفقوا فيها اندفعوا وراء المهديين الذين قاموا بها وفي مقدمتهم السبر ويلم ولكس والمسز كدي الاسكليزيين فاني اشعر اليوم شعورا عميقا بأنها لم تكن صيحة موقفة بحال من الأحوال . كانت متأخرة لأن مشروعات نري التي قامت الصيحة ضدها لم تكن مت الحرب بل الحرب كانت عطلتها . ولم يبدأ بمحنتها وتصميمها قبل الحرب مباشرة بل بحثت ووضع تصميمها وقررت المبالغ اللارمة لانشائها قبل الحرب بسنوات . مع ذلك لم يعترض عليها أحد ولم ينكر أحد ما فادت مصر من انشاء خزان القناطر الخيرية ومن انشاء خزن أصوان وتعنيته كما لم ينكر أحد حاجة مصر للماء اذا أريد التوسع في رى المساحات القابلة للزراعة فيها .

قائداً من حيث هو تقرر قبل الحرب بحو خمس عشرة سنة .  
وطريقة التنفيذ وصفت في سنة ١٩٠٩ وبدأت أعمالها التمهيدية في  
سنة ١٩١٣ وكان هؤلاء المهندسون الذين أقاموا الصحة في مصر  
يشملون وظائف هندسية كبيرة . ومع ذلك ظلوا جميعاً لا يرفع أحد  
منهم صوتاً . وكانت هذه الصيحة منبهة بالعرض الذي لانت  
سير واسكس ومستر كسدي لم يعترضوا كما تقدمه الا حين نشاط  
الحركة لاستقلالية المصرية . وعندما استقال السير مردوخ مكديوالد  
بالاشراف في اسكتلندا على مشروع الحرية من غير أن يشركوا اياه  
فيه مع ما كان لهما من المقام في الاعمال الهندسية بمصر والسودان .  
وكانت الصيحة مياسة سيئة لأنها اتخذت حجة عند السودانين بأن  
المصريين يريدون الاستئثار بخيرات النيل وحدهم مع ما يعلنون من  
أنهم يعتبرون السودان ومصر قطراً واحداً ويفصلون أن تهدر مياه  
النيل في البحر الأبيض المتوسط على أن ينتفع بها غيرهم ، ولو كان هذا  
الانتفاع غير ضار بالمصريين أنفسهم اذا قام المصريون وقد السودانون  
ببناء القناطر اللازمة التي تمنحهم الانتفاع به بل تركه ينيل الى  
البحر الأبيض المتوسط

أشعر اليوم شعوراً عميقاً بأن هذه الصيحة لم تكن موفقة . صحيح  
أن أولوية مصر في الانتفاع بمياه النيل أولوية تاريخية ثابتة لا سبيل  
الى انكارها ، لكنهم لا تؤدي الى أكثر من حق مصر في استيعاب

حاجاتها من ماء النيل قبل غيرها . وما دامت المياه التي تفيض من  
النيل الأزرق والأبيض يمكن حجزها والانفراج بها لتوسع مصر  
ازراعي وبراعة السودان والبلاد الواقعة على شواطئ النيل من  
الجرينة في حق مصر وفي حق هذه البلاد المجاورة لها والمتصلة بها .  
وفي حق العالم وفي حق الاساسية ، أن لا تصب هذه المياه أدنى الصب  
وأن لا تستفيد منها مصر والسودان وغير السودان الفائدة التي تجعل  
أراضيها تنتج أعز نتيجة ممكنة والتي تفيد الصناعة وغير الصناعة من  
القوى الكهنية في انحدار مياه النيل مما تستطيع الوسائل العمية  
استخلاصه منها .

ومياه النيل اذا ضبطت ليست كافية لري القابل للزراعة من  
أرض مصر والسودان وغير السودان فحسب ، بل لتجعل من كثير  
من الأراضي الأخرى الصحراوية واحات وحات . وما دام العلم قد  
سخر للناس قوى الطبيعة فمن الجهل ومن السخافة أن لا يستعملوا كل  
ما يستطيعون استعماله من هذه القوى

ولست أريد في سبيل التدليل على هذا أن أضل والقارىء  
في يده الأرقام والمكعبات . فليست مهندسا وأكثر القراء ليسوا  
مهندسين . ويكفي أن أذكر أن حاجات مصر الحالية لماء المحزون  
تعاادل مليارين ونصف مليار من الامتار المكعبة . وحاجة السودان  
الحالية تعاادل ٨٠٠ مليون متر مكعب من الماء المخزون كذلك . أما مياه



الميسان فلا حساب لها لأنها تزيد ضعفاً مضاعفة عن حاجات مصر  
والسودان أثناء الفيضان . فإذا كان ممكناً أن يحجر فضلاً عن ذلك  
ثلاثة مليارات ونصف في بحيرة ناس وملياران ونصف عند حل  
الأولياء ( أو عند اسوان إذا أمكنت تعمية الخزان وملاؤه ) وأربع  
وعشرون ملياراً في بحيرة البرت امكن التقدير أن يتصور ما يمكن  
ريادته من المباحات المبررة في مصر والسودان . وعند ذلك يشعر  
مع عدم توفيق تلك الصيغة التي اندفع الناس لها وراء انتقادات  
السير وانكس وكس ومستر كمدي والتي كانت ترمى الى عرض آخر

صحيح ان تفصيل الانتفاع بهذه المياه وكهالة ما المصير في ذلك  
من أولوية يحتاج الى دقة فية كبيرة . وان من حق المصريين  
المعترف لهم بهذه الأولوية أن يراقبوا تصرف مياه النيل منذ صدور  
من مائة . وقد كان ذلك متعاً الى آخر الحرب إذ كانت وزارة  
الاشغال المصرية قائمة بهذه المراقبة فعلاً . لكن الأحداث السياسية  
التي حدثت بين مصر وإنكلترا بعد الحرب سبب مطاردة المصريين  
بمحتهم الطبيعي في الاستقلال وحرصهم على وحدة مصر والسودان  
في هذا المطلب أدت مع الأسف الى مسارعة إنكلترا مصر هذه  
المراقبة المترتبة حتماً على أولويتها في الانتفاع بمياه النيل . وبلغ النزاع  
أشده على أثر مقتل السير لي ستاك باشا حاكم السودان العام بالقاهرة .  
فقد ذهبت إنكلترا في انذارها الذي وجهته للحكومة المصرية بتاريخ

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣٤ على أثر هذا الحادث الى سكراتورية مصر التاريخية والى أن أيدت حكومة السودان في إقامة زراعة ما تريد دراعته في سهل الحرية من غير حاجة الى أن يتم بين هذه الحكومة وحكومة مصر اتفاق سابق على هذه الزيادة، ومن غير تقدير لما يترتب على هذه الزيادة من الضرر بأولوية مصر التاريخية في الانتماء بماء النهر. مما هددت الاحوال نوعاً وآناً للتفكير السليم أن يحل محل العجلة التي اندفعت اليها الكتل في تقرير سياستها بمصر على أثر الحادث عدلت عن هذه الفقرة من إدارها، وقررت أولوية مصر في الاتفاق على مياه النيل في وثيقة رسمية، وتفتت على أن تحدد لجنة المساحة التي يمكن زيادتها على الثلاثمائة ألف فدان المنزرعة قطعاً وأن تبحث كذلك مبلغ حاجات مصر لمياه النيل الارز وهي بحسب أن يكون تصرف هذا النهر كله وفقاً على مصر فلا يكون للحرية الا ما حصر من الماء في خزان سار

وقد قامت هذه اللجنة بالمباحث التي كلفت القيام بها. ومع ان تقريرها لم يعلن حتى ساعة كتابة هذه السطور (ديسمبر سنة ١٩٣٦). فالفهم ان الاتفاق تم على أن تزداد مساحة مشروع الجزيرة الى اربع مائة وخمسين ألف فدان بدل ثلاثمائة ألف. والحجة في ذلك أن خزان سار يكفي حتى الى اربعى نصف مليون من الافدنة وان ملائه لا يضر بمحاجات مصر لماء، فلا ضرر إذن من زيادة المساحة مائة

وخبين الف فدان أخرى . والمفهوم كذلك أن قد تقرر أن بدأ حاجات مصر لتصرف النيل الأزرق كله يقع في أول يناير في السنين العادية وفي ١٨ ديسمبر في السنين الواطئة الفيضن . وعلى ذلك بحسب البدء بتفريع خزان سنار في هذه التواريخ بدلا من ١٨ يناير وهو التاريخ الذي أشار اليه الف في لك في المذكرة التي أنشأ صورتها في الفصل السابق

وقد اعترف لمصر في هذا التقرير بحتمها في مراقبة تصرف النهر كما اعترف لها بمراقبة تصرف خزان سار . لكن تفاصيل الوسائل التي تتم بها هذه المراقبة لم تعرف بعد . وهي لا تعني فيما اعتقد غير المهندسين والمفهوم ان هذا التقرير وضع المبادئ المشار اليها بصفة مؤقتة بعد النظر فيها عند تمام إنشاء خزان جبل الاولياء وضبط المياه التي تستطيع مصر أن تستفيد منها . ذلك بأن إنشاء خزان جبل الاولياء كان مراما مقررآ يوم وضع هذا التقرير ولم يكن بدور في حساب أحد أن توقف الاعمال فيه لاعادة النظر في صلاحه أم في فصلية تعلية بناء خزان اسوان على إشارته . يمكن الحكومة التي عيّنت حكومة زيور باشا ( وهي حكومة عدلي باشا ووزير الاشغال فيها عثمان بك محرم ) قررت وقف العمل في حل الاولياء . وانتداب لجنة دولية للبت أي الاثنين أفضل إنشاء الخزان المذكور أم تعلية خزان اسوان . وإلى ساعة كتابة هذه السطور أيضا لم تحضر اللجنة لدولية التي قررت

الحكومة انذارها منذ ستة شهور ، بل لم تدع هذه اللحة للحضور ، بل لم تجمع معلومات والبيانات التي تمكن اللحنة من الفصل فيما يرد منها أن تفصل فيه

ولست فيأ في شؤون الهندسة والري لاقطع في الامر برني . وهذا الموضوع لا يدخل في نطاق كتاب وضع عن عشرة أيام قضيتها في السودان . لكن ما أخذت به نقدي في مقدمة الكتاب من أن أوجه حظاً كبيراً من همي ومن عنايتي الى هذه المسألة الخطيرة التي لم تنج في مصر كما لم تنج في السودان من شوائب الشهوات السياسية ، والتي ما تزال سبباً لشرذوة تثير بين المصريين والسودانيين المداوة والبغضاء - بمعاني أحشى أن يكون الخلاف في مسألة اسوان وحل الاولياء مشوباً بهذه الشهوات السياسية بنا كان واجباً أن يظل في دائرة البحث الفني الصرف وأن يترتب عليه ما يترتب على الصيغة العامة التي قامت في سنة ١٩٢٠ برعامة السير وايم ولككس والستر كندي والتي اتهمت بما اتهمت به . وأحشى أن يكون خلاف اليوم غير موفق كما كانت تلك الصيغة غير موفقة .

والرأي عندي أن مشروعات الري التي تم على مهر محسن كبير كائيل بيت معاقل سياسية يرجى من ورائها احضاع شعب من الشعوب ولكنها تمحور في الطبيعة يتمه العلم لغفدة الانسانية . وليست مصر وليست السودان وحدهما هما اللذان يستفيدان من هذه

المشروعات، بل تشييدها الانسانية جمعاء، وخدمة اقتصادية عظيمة وما  
دام صحيحاً، فتصدياً، ان كل زيادة في الاراج الزراعي او المعدني او  
الصناعي تحدث في ناحية من الأرض تفيد الانسانية جمعاء فمن الحرية  
ان تستعمل نسيب هذه الزيادة لشهوات سياسية وميلان كانت هذه  
الشهوات في امر مشروعات الري على النيل نامة عن مطامع بكثرتها  
او عن مخاوف مصر، ودم لمصريين مثل في قناة السويس وموعظة.  
اقد حورت هذه النمة لطبيعة لمصلحة تجارة العالم كانه فرادت بذلك  
رحاء الناس طراً. و رغم مما ثارته من الشهوات والمطامع السياسية  
التي ضرت بمصر فقد فادت مصر من القناة وخدمة مادية وخدمة  
معنوية كبرى وادراكات لم تمد كل ما كانت تستطيع اودته  
فليس اللبس في ذلك على هذا التحوير الصالح للطبيعة، بل للفساد  
على الظروف الخاصة التي لحقت بالاحبال الخسرة والتي نهتها  
لتمهيد السبيل لمعاداة الاجيال المستقبلية

ومشروعات الري الكبرى نحوير للطبيعة من هذا النوع.  
فالطبيعة تجعل مياه النيل تنحدر بها لامطار في فصل معين من السنة  
فتساب في مجراه لتضيع في البحر الايضا المتوسط. واذ امكن  
ضبطها الاستعانة بها في استعمال الاراضي القليلة للزراعة، وعلى زرع  
الاورع المختلفة في فصول السنة المختلفة، كان ذلك خيراً لمصر  
والسودان والناس جميعاً في اقطار الارض المختلفة وقد عولج ضبط

هذه المياه منذ قدماء المصريين وعومح في القرن الأخير بمجاح . فمن  
الجرية عدم صيغتها اليوم ولدينا من وسائل العلم ما يمكن من ذلك  
وإذا كان واجباً أن يعان أمثالي من غير مهندسين هذا رأى مثل  
هذه الصراحة فواحب المهندسين الذين يحترمون أنفسهم ويريدون  
أن يسخروا علمهم لمنفعة وطنهم وخدمة السياسة أن يعطوا آراءهم  
أمنية في هذا الموضوع وفي كل موضوع يعتقدون صلاحه وفائدته .  
وليس يحذر منهم بحال من الأحوال أن يخلطوا اعتبارات السياسة  
باعتبارات الفن . فاعتبارات السياسة وقتية واعتبارات الفن دائمة .  
والسياسة ظروف تنهر ولكن العلم وأمن مبادئ وقواعد تقرر . وقد  
يبدو لك أمر من الأمور السياسية اليوم في لون فإذا هو بعد زمن  
قصير في لون آخر . وقد نحسك مستطعاً أن تحكم تصرفه سياسياً  
فإذا تقديرك انقلب عليك عدداً اضطرت إلى البحث عن تصرف  
لذلك الأمر جديد . ومثل هذه الشؤون لدغة المور مع الحياة  
لا يصح لعالم يبحث مسألة من المسائل المتناقض علمه أن يدحها في  
حسابه . إنما عليه أن يقول في طائفة صميم وطهارة ذمة ما يعتقد حقاً  
عليه لعمه وحده أن يقوله . ويجب عليه لذلك أن ينسى ساعة اندث  
الرأي أنه ابن أمة ضعيفة وأن ينظر في الأمر لداته لا لاطرف سياسي  
المؤقت المحيط به

وأهل هذه الطرة العالية المنحدرة عن العاطمة السياسية أهون

على المصريين في مشروعات الري الكبرى منها في اية مشروعات  
أخرى . فالسودان ومصر وطن واحد في الحقيقة . وهل اصوان  
أقرب الى حنقا منهم الى القاهرة . والرباط التي تربط مصر والسودان  
كثيرة وثيقة ان ضمعضتها أحدثت السياسة يوماً فلن تفضيها . ثم هي  
ان تضععضها الا الى أجل . وذلك الاعتبار أصبح اليوم منه في كل يوم  
مضى . فالام في القرب والشرق تتقرب بعضها من البعض الآخر  
ولو كانت بينها فواصل طبيعية وليس بينها من الصلة ما بين مصر  
والسودان . وكلما ازدادت وسائل المواصلات تهدمت الحدود الصناعية  
بل الحدود الطبيعية . وإذا كانت الامم تسمى اليوم للقضاء على الحواجز  
الحركية التي أدت كثرتها الى ما يعنيه العالم منذ الحرب الكبرى من  
أزمات اقتصادية فسمى ذلك أن ما نقيم في الماضي من الحواجز  
الصناعية سيتمهد بطبعه

واسنا الآن نعرض بحث هذه العلاقة بين مصر والسودان  
فستفرد لها الفصل الاخير من هذا الكتاب . لكننا نورد ما أوردنا  
لقول أنه اذا وجب على رجال العلم أن يطرحوا جواباً اعتبارات  
السياسة في أبحاثهم فذلك أوجب في بحث مشروعات الري الكبرى  
بين مصر والسودان

## عشية الأوبة

يوم بحافا وشلال حلقا

عدت من حل الأولياء مساء السبت ٢٣ يناير وقد اعتزمت  
السفر بالفطار الحص الذي يبرح الخرطوم صباح العدة قاصداً حلقا .  
وكان في نيّتي أن أتناول طعام العشاء ثم أحزم متاعي وأوي الى مصحفي  
لاستريح من عاء هذه الأيام التي قضيتها بالسودان في مثل نظام  
الحند حلا وترحالا . لكن عرّبي لم يتحقق أن الفيت جماعة من  
أصحابنا الذين دعونا الى الشاي بالمكتبة القبطية ثم في بهو الفندق  
ومعهم بعض احوالنا المصريين الذين حملوا من مقامنا بالخرطوم مقاما  
بين أهل وأصدقاء . فاهصينا شطراً من الليل تناول حديثنا فيه شتى  
من شؤون السودان وعادات السودانيين والمجتمعات التي تقوم  
بها حكومة السودان في سبيل تعميره ليكون مزرعة من ندع مزارع  
القطن في العالم . وأهل السودان قسماً عرب ورنوج . فأما العرب  
فيمتازون بدقة في قسماط الوجه وبرقة الشفاء وارتفاع قصبة الأنف .  
وهم يتسمون أحياناً وعشائر كشعوب شبه الحريّة . أما الرنوج ففطس  
الانوف علاط الشفاء عثرو الاعين . وهم يقيمون أغلب الأمر في  
داحلية السودان تحت أمرة سلطان منهم ما تنزل نفسيته نفيتهم



وروحه روحهم . وبرغم امتداد الحصار الى الخرطوم والى أم درمان  
عن طريق أهل الجنسيات المختلفة الذين يقيمون بهما وعن طريق  
المصريين بنوع خاص إذ يمتنون الى العرب السودانيين بكثير من  
الصلات بينها الدين واللغة والمصاهرة والعادات ، فان داخلية السودان  
ما تزال في شبه الحياة الوحشية التي يقصون مثل قصصها عن عاشوا  
في مجاهل لأرض مد آلاف السنين . قص أحد الذين حضروا معنا  
في هذه الأسمية أنه كان مـ وراً الى رحف في المنطقة الاستوائية ،  
ثم تأخذ السلاطين روح وطاب أن يحطى بالثول في حضرة عظمتهم .  
ولما كان يعرف من أن هذه البلاد شبنًا كثيراً لم يدهشه أن ظهر  
له هذا السلطان في هيئة لا تفتار على هيئة « أي الودع » الذي يطوف  
منسولاً في قري الزيف بمصر ، وظهر من وراء السلطان مائتان ، معصية  
روحهم ، وكلهم في خدمته . فلما حطى محدثاً بحضرة السلطان قدم الى  
عظمتهم من الهدايا بعض المربا وبعض الورق المعضض الذي تنف به  
قطع الحلوي ، وكان اغتباط عظمتهم بهذه الهدايا عظيماً . ولما أمر  
لمن قدمها شيء . كثير من العاج ومن ريش النعام .

وقص محدثون آخرون شبنًا من مثل هذا القصص فأذكرني  
ذلك جان جاك روسو ورحل الطبيعة الذي صوره في كثير من كتبه  
والذي جعله المثل الأعلى لمساعدة وود معه أن تعود الانسانية الى  
احتداد مثله . وانتسبت لهذه الذكرى وتساات لو كان يرضي روسو

مثل عيش هذا الساطن وحنوده ثم سرعان ما زالت ابتسامتي حين سمعت المحدثين يذكرون من شهامة هؤلاء الرنوج وبنالهم واحتقارهم الحياة وأقدامهم على الموت طامعين زالت ابتسامتي وتحييت روسو منتصراً يقول «أرأيت يا صاح إلى هؤلاء الذين كست تحسبهم مثل الصخرة والحجارة . أنهم سعداء لأن مطامع الحياة وشهواتها لم تكن تخرج من نفوسهم أسباب العظمة الخفة التي تصل إلى الإنسان بطبيعة وتجهله حراً منها سعيداً بها مطمئناً إليها . وهم سعداء لأن العلوم والفنون لم تحدهم بإطل زحرفها ولم تربين لهم من ألوان اللهو متاع العرور . ثم هم سعداء لأنهم يعيشون عيش البساطة فكل ما يالونه من خير يزيدهم سعادة . فلم لا تعيش الانسانية عيشهم فتطرح وراءها هذا الزحرف الباطل الذي تسميه الحقائق والعلوم والفنون والذي لا يزيد على أنه عبث الذهن وهو الخيال ؟»

وأمكنك عن الاندفاع في هذا التفكير حين اضطررت لمشاركة اخواننا لم تحدثوا عن مصر وأحوالها وسأوتني عما اعتقده مصير ما تم بين أحزابها من انتلاف والحديث في السياسة كحديث الافاعي يطول . فاستغرق كلام اخواننا في مصر وشؤونها بقية سهرتنا ، ثم ودعوني واعتذر جماعة منهم بعملهم عن توديعي ساعة الرحيل من الخرطوم وتفس صبح الاحد ٢٤ يناير واعتلت شمة سماء السودان الصافية الاديم وتذلات الشاي وأعددت مناعي وذهبت الى قاعة

الطعام للافطار ثم خرجت من بهو الفندق الى حديقته الصغرى التي  
تفصل بين سياج الفندق ونائه . ولعبت عند الباب سيارة كبيرة  
وسيارات صغيرة بعثت بها حكومة السودان لتقلنا جماعة ضيوفها الى  
المحطة في طريق عودتنا الى مصر . وتخطيت الشارع وألقت بطرة  
على صفحة النيل الأزرق وتفت حولي أودع هذا المطر الذي نعت  
ونامي أسبوعاً كاملاً . في هاته المحطة دب الى نفسي احساس بخالجهما  
كلما فارقت بلداً احتواني وأنا في شئ من العودة اليه . احساس  
العراق بمنزج فيه لآلم ، لآمل ، والخوف بالرجاء . وهل العراق الا  
بعض صور الفناء والعدم والموت ! هل هو الا انهيار ما عارق في لجة  
مالا نرى ومالا نحس الا خيالاً وحداً . في هذه اللجة الفسيحة الممتدة  
الى اللانهاية والمحجوبة عما بآفاق قريبة لا تزيد على مدى ما تصل  
اليه حواسنا . وهو انهيار مخوف في لجة ارمين الذي لا يذر العالم لحظة  
من غير مور ولا تجدد . ومن يدري ما تكون الخرطوم وأم درمان  
والسودان ن قدر لي أن أعود اليه بعد سنوات ؟ هل أجد هذه  
الاشياء التي ألفت والتي أصبحت جزءاً من حياتي كما خلفتها ؟ أم أرى  
مكانها شيئاً جديداً أسدل عليها ستار الفناء وقام مقامها ! والحق عدي  
أن كل ما نرى وكل ما نحس وكل عاطفة تهرق في دنا وكل فكرة تجول  
بخواطرنا هي بعض حياتنا القصيرة التي تنقضي بعد أن تصبح هي  
الآخري بعض حياة الوجود الأبدى . ولئن كان كل ما يصيب

المادة يترك فيها أثراً لا يزول — على حد قول هربرت سبنسر --  
 فما أشك أنه في كل ما يصيب حياة الوجود يترك فيها أثراً لا يزول  
 دب الى نفسي الاحساس بالفراق حين رأيت السيارة الكبيرة  
 التي أعدت لنقل المتاع والسيارات الأخرى التي أعدت ليستقلها  
 المسافرون . ومن شأن الظروف التي تحيط بنا ساعة الفراق أن تجعل  
 هذا الاحساس مبهما . فحين سأعتمد في شغل بتاعنا والمسافرين  
 معنا وبنا ينتظرنا في سفرنا . وكنا جماعة المسافرين من الخرطوم أشد  
 ما نكون شعلا . فهذا يبحث عن بعض ريش النعام يهديه أصدقائه  
 في مصر أو في غير مصر . وهذا قد نسي بعض ما ابتاع أمس في مخزن  
 مقفل اليوم — يوم الأحد — ويريد أن يدر الوسيلة للحصول على  
 ما ابتاع . وهذا ثقل متاعه فما يدري كيف يحمله . ورجل الدوايس  
 وسائقو السيارات يستعملون المسافرين لينتهي واجبهم . وأخيراً  
 سارت السيارات تخرق بنا طرق الخرطوم فاردادت نفوسنا احاساً  
 بمعنى العراق . ثم انطلق القطار في منتصف الساعة التاسعة يقطع  
 الطريق التي قطعناها آتين من حلفا حتى بلغ عطمور أبي حمد مد ما  
 أرخى الليل سدوله . ولما حلفا في منتصف الساعة العاشرة من  
 صباح العد . ونقل متاعنا من القطار الى الباخرة برتاليا التي كان  
 مقرراً أن تسافر في أوليات المساء . فلم يك بد من أن عصي  
 النهار بحلفا .

حلفا بلد صغير شبه بسدر المر كز في مصر فيس فيه ما  
يستوقف النظر ، وحكومة السودان حد حريصة على أن لا يشعر  
ضوءه شيء من الملل . لذلك نظمت لهم سياحة صغيرة في الصباح  
الى معسكر حلفا كما نظمت لهم نزهة بعد تناول طعام الغداء على ظهر  
بركة بزرورون فيها شلال حله ويشهدون منه منظرآ من أعجب  
مناظر الطبيعة وأكثرها خللا ورهة .

ومعسكر حله ، والى جانيه بيت كنشتر يقع على نحو ثلاثة كيلو  
مترات من محطة وادي حلفا . لذلك ركبا اليه قطارآ صار لنا حتى  
كحذاء . وقد ركب معا هذا القطار جماعة من الأمريكين لم  
يكونوا بالخرطوم ولكنهم جاوا الى حلفا للنزهة بعد أن قضوا في  
هدق الشلال بأسوان رمآ غير قليل استحبوا معه تغيير منظر اسوان .  
والأمريكيون شعب حديد حفا . فالأمريكي لا يشعر بأنه مقيد بما  
يشعر أهل العدا القديم بأنهم مقيدون به من عادات ومن قواعد  
السلوك في حركاتهم وفي تهيأتهم وفي ملابسهم . وقد لقنا منظر  
شعب يسير في سراويل بيضاء ويتعل حذاء ثقيلآ عاية الثقل ويرتدي  
فوق أكتفه جاكتة وصدرية مخيب شكاهما . ولم يكن الانكاير  
من معاقل منا دهشة لهذا المظهر ، وكان هذا الشاب يسير مع سيدة  
نصف ورجل متقدم الى الكهولة عرفت فيما بعد أنهما ابواه ، وأن  
هذا الكهل أستاذ باحدى الجامعات الأمريكية واتصل بيني وبين

هذه الامرة حديث طويل ندى الشب خلاله من العجب لا يكابر  
والاوربين ومخافتهم مثل . ثموا من العجب لاستحقاقه دابة ايد .  
ومع هذا النقد المتداد وحل السفريين لجميع شغل كل يفضي الى  
اصحائه : رأى وكيف تأثر به .

معسكر حلفا قصير واسع من الزيل لا يبق من آثاره لا قوس  
فخم لمخاء ساعة نزلنا من القطر ، وكان هذا القصر مضرب حليم فرق  
الجيش المصري التي حلت مع مصطفى فهمي ومع كتشتر من بعده  
لفتح السودان على : لم يصعد نادي الامر الى القوس ولا الى الفضاء  
الذي اصبح صامت وكان من قبل معسكر رجال الحرب وعدته ، بل  
ذهبنا الى دار قبل اسمها محفظة أو ما يشبه محفظة كل ابوابها موصدة  
وليس في عمارتها ما يلفت النظر . ومنها من هذه الدار الى دار  
أخرى كانت مزللا لكتشتر شعرة أول ما دخلها استهاج أثره في  
عوسا ذلك ازرع الناصر والخصرة الباسطة القمة أمام المنزل والمعتمدة  
الى شاطيء النيل . واتقد استوقفنا هذا المطر اساعم وسط جفاف  
الصحراء حوله ، وأخذ بمجامع الفؤاد امساح النهر وقباج كشان لزل  
وراءه منموجة بين صعود وهبوط كأنها بعض موجه حين نقيضان .  
وكان للشمس فوق هذا المطر وفي ذلك اليوم من أيام الشتاء سنا  
يأخذ بالابصار . ثم ادركنا عيوسا الى ناحية هذا المنزل الذي شهد من

تدبر الحرب والسفك ما شهد والذي أصبح اليوم صامتا صمت  
مصطفى فهمي وكشتر في حجب العيب وإن كان على خلافهما ما يزل  
معرضاً لعث الحياة وتدابير الحرب والسفك ثلاث عرف قيمتها  
ما نكسه من لذكرى لا جمال فيها الا حزن ما شهدته من بطولة  
واقدام . ألم يكن الذين اقموا فيها قود الحبش المصري النازل الذي  
بعد الحفظ الى وصمت اشجاعة وحرارة سجلاته على التدرج فخرأ  
حالداً! وعلى طاهر حذران احدى العرف نقش تذكاري للذين اقاموا  
فيها واحتملوا مع الجدم احتملوا من مصص وتضحية . والى جانب  
النوحة رير قديم من المحار لعله في هشاشة ذاته صلب على الحياة  
من أولئك الدس مشروا من مياهه ولم يبق لهم اليوم على الحياة غير  
الذكر . ويزر لا يزل باقيا تمحذه الاطار وبود اصحابها شرنة من  
مياهه . وتعتقت لا بصار هذه الاثر وجاهد كل مصور يريد أن  
ياخذ منها رسماً برغم معكسة الشمس له . على أن الابصار لم تكن  
بالحديقة وشهر وكثبان الرمل على شاطئه الثاني أقل ولما . فكادت  
ما تكاد تستقر على البناء برهة حتى تعود لتحتل من هذا المنظر البديع  
لتحدد على الزمان ما تجدد ازمان جماله الساحر وسحره الفتان .

وخرجنا الى فضاء المعسكر القديم والى القوس الباقي من آثاره .  
وذهب البعض بخيالهم الى ذلك التاريخ القريب حين كانت الجنود

الذهابة من حلقا الى الخرطوم تقف في هذا المعسكر الى أن تتلقى  
الوامر بالاندفاع في تيه العظمور لاشاء سكة الحديد أو لسحب السفن  
بين احجار الشلال . و بقي آخرون سعداء بالحو الخيل حولهم و الصور  
التي كان يأخذها لمصورون لجماعتهم . وكان وقت الظهيرة قد اقترب  
فعدنا أدراجنا الى القطار الذي عادنا الى محطة حلفا حيث نزلنا  
عائدين الى بريثانيا .

ونلتنا من الراحة ما نلتنا ثم انتقلنا بعد تناول طعام العشاء الى سفينة  
أخرى سارت بنا جنوبا نحو ساعة . فلما بعدنا عن حلقا بمسافة كيلو  
مترات تبدت أماما مقدمات الشلال . فانتشرت في لجة الهركام  
صخرية من الخرايت الاسود كانت مبعثرة نادية الامر ولها من  
حالاتها فرصات ينفذ منها . لكنها كانت يقرب بعضها من بعض كما  
اقتربنا نحن منها . حتى تلاحت أو كادت وحتى لم يبق لعماء أمام العين  
الا مسارب تقف عند نوا صخري قريب . وملأت اكمام الجرايت  
ما بين الشاطئين وترامت الى مرمى النظر والى غاية الافق متموجة  
في لونها نداكن كأنها ظهور قطيع ضخم من الغيلة ما تكاد تتحرك  
أو تتلوى الا بتقدار عبث الضوء بها وانعكاسه عنها . وامتدت بين  
هذا القطيع من الخرايت أبصار تلمس التماسيح التي خرجت الى



ومن الشاطي . تد . دف . شمس الشتاء المحسنة . قال الامريكي ذو  
السراويل البيضاء

فد جئنا لمس الى ها وريا من انم سيح قطعاً كبيراً اتدد  
كل واحد من افراده على الرمل ومعرفة الى الشمس يشتقي  
بأشعتها من علل الشتاء

ورلنا من السفين الكبير الذي قلنا من حنا الى ورق أوتومويل  
ليسرب سفي تعاريج القنوت التي بين الصخور ، والتي لا تسع لزورق  
اكبر منه ، كي يصل الى شاة عالية هناك يحيط الباطر منها بالشال كله .  
وفي لحة نور الشمس الساطعة ميري سا زورق وكأنا في لحة ليل بهيم .  
فات بين اكتبين سوداوين وأمامك على ثمارا كمة سوداء ، ثلاثة  
تسكاد تنصل بهما وتقطع الطريق أو يرتطم الساري . ونشمس متارب  
الماء بين ما غربه من آكام الحرايت ويرتد بصرك ولم يفدك شيئاً .  
ثم اذا زورق انمرف شاة ليحاذي الا كمة القاطعة عليه طريقه فما  
يكاد يحاذيها حتى نسجم ثمة ا كمة جديدة يتلوى من حولها كتلوي  
الذعن في مسارب الأرض . ولم تمض دقائق فاذا في عاة كثيفة  
من صحر رهيب مخوف . لكن روح الجماعة في طبعها المرح مالم ياحمها  
الوحل أو يستثرها العصب . لذلك ظل أصحاب تلمس عيهم  
اتخاسيح التي قص عليهم الشاب الامريكي أمرها . فذا خدع أحدهم

نصره وخيل اليه انه رأى نساكاً ثم تبين أن لا نساك الا في خيله  
 تنودلت السكات من جواس الزورق عن ضخامة لحيوان الموهوم  
 وعن ذنبه سي كاد ياتي في النهر وعن فكه المرتفع ليبتلعها . ولم  
 يكن مخدوع المصر أقل بصياً في السكات من غيره . ومانا لا يخرج  
 ومعنا الدليل الذي قص علينا أنه ينسرب قاربه في هذه اللجة عشرات  
 المرات في كل شهر ومعنا الوبيون من أهل هذه الواحي يمحرون  
 بأنهم يعرفون مسارب الشلال اكثر من معرفتهم أركة قرايم . ثم  
 مانا لا نجد في هذا المنظر الرهيب موضعاً لمسرة وبيننا سيدات وقتيت  
 في تسابهن المتورد الوحنات ما يصي . الخلك ويبدد الطم وهن برهة  
 هذا المنظر معجيات بل مفتونات

وطال بنا نسرب الزورق ونويه من غير أن نحظى بتسبح واحد  
 من سرب صاحبنا لأمر يكي حتى انتهينا الى الشطي . عند أسهل القمة  
 العالية . وأسرعنا جميعاً لتسلقها ، وما كدنا نبلغ منتصفها حتى شعر  
 كثيرون بنعيب . فاقمة رملية تفوض فيها الاقدام غوصاً وتحتاح  
 من أحل ذلك الى محبودين تحلبص القدم من الرمل ، ثم التساق  
 للعوص به في الرمل من حديد . تسكر الشباب لا يعرف لمشقة ولا  
 يعجزه التعب . والطفولة لا تشعر تعب ولا مشقة . لذلك أسرع  
 الاولاد والبنات وأسرع الشباب والنات الى رأس القمة . وفي  
 النفس الانساية ون سق علم الجهد عريضة السفة وحب العور .

وكم كان عجباً مظهر شيوخ وعجزة هدم التعب واضنهم الكلال ثم  
لا يريدون أن ينظر اليهم الجبل الذي يهدم وكانهم أضغف منه حولا  
أو قل حيلة. انظر الى هذه المعجزة البادية المترهلة البيضاء الشعر كيف  
تلهث ! مكنها مع ذلك تستعين بنوي يصل بها عية القمة لتكون مع  
أبنائها وحفدتها كما يحيل اليها ثلث الحياة ملكهم وتستمتع بها استمتاعهم.  
وهي كذا عصت قدمها وعاص معها قلبها وقفت رما تسترد قلبها ولا  
وتنشل قدمها بعد ذلك. وما كنت وما كان عيري، ونحن نطل  
عليها من على القمة، بحسب انها دالة ما تحتمل كل هذا الجهد في  
سبيل نوعه. لكن الارادة القوية عالية أمد وبارادتها تغلت هذه  
السيدة على الحرم وصممه ووقفت معاني على القمة تمتع طرفها لمطر  
الرهيب العجيب

ما كان صغر هذه القمة حين كنت عيدين عنها بنظر اليها من  
فوق السفين الذي جاءنا حتى أبواب الشلال ؛ وما أصعربا نحن الآن  
فوقها ! وقف هذا الجمع الخافل الخاشد من أشات حواص لارض  
في مصر واسكتلر وريكيا وإيطاليا وغيره ، حول بصفة أحجار  
مشوة فوق رمال هذا الاكمة ، فاذا هو من قبة الكمال لا تلمحه عين  
من ضلوا فوق السفين ، لكنه مع قبة كنه صلة ما بين هذه الأفطار  
الشسعة التي يتكون العالم منها ، وهو لذلك روح هذا العالم الذي

نعيش فيه . فنه يستمد العلمُ ذوق ما في حياته وحركته . وهو لذلك  
صغير عظيم . لكن عظمته ليست في فردته ، بل هي في روح  
الإنسانية الخالدة التي تعم على الزمان كل يوم عما ترث على أزمان  
من سلطان والتي تزداد عظمة ما تشمله من الوجود في سلطانها وبها  
تدب في لوجود من نفسها .

واذ كنا صغاراً فوق لكمة شام تكون فيها حو -- والاكمة  
ليست منه شيئاً مذكوراً . مدد الطرف نريد أن نحتل غاية الشلال  
وأحجاره فأرند دون هذه الغاية وقد ألائه الآكام الحجرية  
الآتية في الماء رهبة ، وأحناها فيما حولنا من كتل الزل لمبهلة ،  
فحدثنا وإياها إلى الأفق في موح لآلاء نحت أسعة الشمس المسدرة  
إلى المغرب ، وتخطينا به النهر ود بعض أشجار نجى في هذا المحيط  
العابس جلة الابتسام ، ثم شئت رمنا فوق أكت الجرايت الدنة في  
الماء تحيط بها قو به الصيقة فما يكاد عصها ينسج مثل اقارب لدي  
تسرب ما حلال الشلال إلى حيث ارتقيا القمة التي تطل الآن من  
فوقها . وندت على الوحده ، لأنم الدهشة ولا كبار لهذا المطر المعجب ،  
هاد الصمت جمعا حياً . ثم ندُّ لجمع يتدرك اقمعة عنداً إلى  
القرب . يا محجاً ! ما أكثر ما يتغير منظر هذا السرب من القيدنة  
الجائسة في ، ، فكل تدرك الهبط سفح اقمعة بدت تحت ضياء

حريد وأخذت صورة من صورنها فبعض يزداد من بعض اقتراباً  
و بعض يزداد عن بعض بعداً ، وكذلك تتغير المحسوسات بتغير  
موقف من ، فماداً يكون شأنه ما سميه الحقائق في هذه النظريات  
من تصورات لذهن وأمية الخيال !

وحاست نساء هبوطي على حجر حشم فوق رمل وتلفت حولي  
فدُرُ احدٌ ، اقرب مني أنس كان كثيرون ، يزلون بأعلى القمة  
وكثيرون عبرهم وصلوا لقرب ، وجعلت أناجي نفسي ماداً يكون  
من هذا و هوود العظيم ! وما حياتنا الثائرة القصيرة الى جانب هذا  
الحد الساحي تدو حكمة في سكة ما حولنا وطما بسته . واني لبي  
بحه في اد مرت المعجوز البادنة معتمدة على نويين وهي تاهت في  
بروها كما كانت تاهت في صعودها . لكن انسامة على ثغرها كانت  
تعبّر عما يدور في حطرها من عظيم العبطة لانتصارها على ضعف  
الشبوحة واقدمها ، دلت نفسها ما ترون قديرة على حمل عبء  
الحياة الثقيل اللذيذ .

وعدده الى زورق فعاد يتسرب من صخور الشلال حتى  
السمية التي ضلت في تضارنا ، وعلو سطوحها والشمس تاهت للغيب  
ثم انقلبا منها الى برية الى سارت من قبيل العشاء .  
وفي الأيام التي قصيده بها حتى سوار عدت الى حاطري

صورة الشلال وصورتنا فوق الرية نجهد، بحث، محيط بكل حدوده.  
رغم، نزعهم من الاحاطة حتى بحدود الخبول. لكن هذا المعجز الذي  
يمسكنا ونحن وقوف يزول اذا تحرك فاحترق في خياسا صور الشلال  
وغير الشلال حراً بعد حره. وهذه الحيلالات المخزنة هي قوتنا وذخرا  
في الحياة وهي الميراث الذي تمنافه الاحبال فيريد الاساية صلة  
بالوحد وسلطانا عليه.

وبلعا اسوان صبح الاراء وبلعنا القاهرة صبح الخميس، فعندنا  
يهر، برد الشتاء بعد عشرة أيام قصيدها في ربوع لا تعرف الشتاء.

## مصر والسودان

لا أستطيع أن أحتم هذا الكتاب من غير أن أتناول علاقات مصر والسودان بكلمة . وليست عيبي من التكلم عن هذه العلاقات عية سياسية . فعمل القارىء قد أدرك من خلال الفصول السابقة في لم تثار في أية مسألة من المسائل التي عرّضت لها بأهول السياسة إنما كانت . و - توخيت ما يميله العدل وما تقضى به المصلحة الاساسية العليا التي لا تقف عند حدود مصر والسودان بل تتجاوزهما لما يمكن أن يستفيد العالم كله مما في هذه البلاد من حيرات . وإنما عايتي أن أبين أن حير السودان وحير مصر وحير هذه المصلحة الاساسية العليا التي تستفيد منها سكانها قبل أن تستفيد منها أية أمة أخرى مما يتحقق على وجه الكمال كما اردت مصر والسودان ارتباطاً متوازياً من أخوة لاجتماعية والجهة لاقتصادية أو الجهة السياسية وكما تعاونا من طريق هذه الرابطة الوثيقة في سبيل ترقية مصادر الانتاج المحلية والمعنوية فيهما .

ولست أريد من أجل هذا البيان أن أدلل على أن مصر والسودان مرتبطان ذريحاً بروابط قدمت نجهل من حق مصر أن قطب السودان كما كانت فرنسا قطب بلالراس واللورين . ولست

أريد كذلك أن أقيم الحجة على ما أفقته مصر في السودان من مبع  
وأموال أو أن أرفع إلى التاريخ لأي سبب من لأسباب . فلندليل  
التاريخي في مسألة كعلاقة مصر بالسودان أنبه الأشياء بالمرعات  
التي تحتاج إلى قاض للفصل فيها . والقاضي في العلاقات التي تربط  
الدول بعضها ببعض هي المصلحة الحاضرة التي يراها أساء هذا الحيل  
من غير حاجة لرجوع إلى سائد التاريخ ووثاقه .

ومن دالة القول ذكر الرابطة الطبيعية بين مصر والسودان  
وما توحه هذه الرابطة من ضرورة توثيق الصلات بين هذين الجراين  
من أحرار وادي النيل . وحاجة مصر إلى توثيق هذه الصلات  
وتوكيد تلك الروابط أوضح . فليس كمصر بلاد معلقة حياتها بنهر واحد .  
وليس بصدق على بلاد ما يصدق على مصر من مهابة النيل . ولولا  
النيل لكانت مصر بعض الصحراء الأفريقية الكبرى ولوصلت هذه  
الصحراء ما بين المحيط الاطلسي والصحراء الأحمر . لذلك كان هم  
المصريين في كل الأزمان بل كانت حياتهم معلقة على هذا النهر  
فكل ما تنثره مياهه من ظروف الطبيعة أو من عمل الإنسان تنثر  
به مصر . وما فطن التاريخ يذكر أن المصريين اتهموا إلى الله في ضراعة  
وحضوع كأنهم إلى الله ليعلم على النيل فيضله . ولا فطن المصريون فكروا  
في أمر من أمور حياتهم فكبرهم في هذا بل انخصص المحس الذي يحيي  
اليهم من طريق السودان يحمله المجرى العظيم بين حروفه .



فإذا كان أكبر هم المصريين متحها إلى الجنوب وكان أكثر  
تفكيرهم في الصلات التي تربطهم ببحرهم البيلية وفي تأكيد هذه  
الصلات وثيقة فليس ذلك منهم حيا في المنح أو اندفاعاً وراء شهوة  
الاستعمار التي يجري وراءها كثير من الأمم بل هو الحرص الطبيعي  
على الحياة حرصاً أصيلاً في سليفة كل حي وفطرته

على أنه إذا كانت حاجة مصر إلى تأكيد الروابط بينها وبين  
السودان أوضح من حاجة السودان إلى مثل هذا التأكيد لموقع  
السودان عند مدع البحر فليس ذلك معناه أن السودان أقل من حاجة  
مصر لتوثيق الصلات بينهما . ولئن كان السودان منبع الحياة المادية  
التي تمبض على مصر مع فيض النيل فمصر هي منبع الحياة المعنوية  
التي تفيض على السودان مع فيض الحضارة أيما كان مصدره . وكما  
تحيط الصحاري بمصر فتقصر حياتها على ما يعذبها النيل به من مياهه  
كذلك تحيط الصحاري بالسودان وتفصله عن مصادر الحضارة .  
وقد سمعت الطبيعة في ذلك حتى ليحسب الإنسان حين ينظر إلى  
خريطة النيل أن حوضه ماء مستقل فيه كل ما يحتاج إليه الحضارة  
من أدواته وأسبابها . وبعد فتحت موانيء على البحر الأحمر لتصرف  
تجارة السودان ولحسب التحدرة إليه . لكن هذه الموانيء لا تصلح ولن  
تصلح تكون باب الحضارة والعمران . بل كانت الحضارة وكان  
العمران يهبط إلى السودان من طريق مصر أكثر مما يهبطان إليه

من أي طريق آخر . ولذلك كان السودان . أرجئه الفبيحة هو المهجر  
الطبيعي لمصر تحمل اليه من سباب حصرة العلم ما يشركه نصيب  
في هذه الحضرة .

وقد كان الغزو والفتح وسائل الحضارة في الماضي . فسكت  
الدول ذوات الحضارة القوية تغير على غيرها من لدول فتفيد من  
حضارتها وتفيدها من الحضارة القوية . ولذلك كثير ما اتصلت  
الحروب بين مصر والسودان لاستنبق الصلات الطبيعية التي بح  
أن يشعر السودانيون والمصريون جميعاً بحجارة سباب ضمة لا  
بالحجارة في سبيل وصلها . على أن تقدم العلم وتقريبه بين شعوب  
العالم المختلفة وتصيغه دثرة الأرض جعل العرب والفتح منظوراً اليهما  
بعين المقت حتى من الاقوياء الذين كانوا يستفيدون منهما . وكما  
ارداد العلم تقدماً واردت الشعوب بعضها من بعض قرناً وتمتنت  
الروابط العقلية والمعنوية وتحصمت الحدود والحوادث رادت أسباب  
التعارف والتفهم وصبحت وسائل العنف والبطش بين الحضارات  
منظوراً اليها بعين المقت والاردرات منها اليوم بين الأفراد والطوائف .  
ويومئذ تكون بين شعبين متحورين أو بين شعب واحد يقيم في  
بقعة من قاع الارض يسر العلم أسباب الرعد فيها شتاً عجيباً ومراً  
نكراً . ويومئذ يحل التضامن بين الشعوب محل التنافس . ويكون  
بين الشعوب المتحدرة التي تصل الطبيعة بينها قوى رباط وأمن

عمدة . ثم تكون كل الاسباب الصعبة الطرئة على هذا التضامن  
والمفسدة إياه موقوته مرهونة بالروال

لا مفر إذن من أن يكون هذا التضامن بين مصر والسودان  
على القواعد التي تنهنيها ظروف الحضارة في الوقت الحاضر . وأدوات  
هذا التضامن كثيرة أشهرها إلى مصها حين الكلام عن مشروعات  
إري الكبرى . فهذه المشروعات يجب أن لا تراعى فيها إلا  
الاعتبارات الفنية التي تؤدي إلى حصر أكبر مقدار يمكن حصره من  
مياه النيل لانتفاع الأراضي الزراعية الواقعة على شاطئيه من أول مصر  
ذات الأولوية التاريخية في هذا الانتفاع إلى آخر مراع النيل كذلك  
يجب على مصر أن تكون المسع الذي تجري منه أسباب الحضارة إلى  
السودان . فليس إلى السودان سبيل للحضارة غير هذا المسع . ذلك  
لأن المصريين أكثر العاصرات مزاحا بالسودانيين مداحيال طويلا .  
وإن كان هذا الانتراج قد اقترن في أحيان كثيرة بعناصر سيئة من  
جانب أو من الجانب الآخر منه خلق بين الشعبين من الاواصر ما  
يسير التعميم بينهما إلى حد كبير . والحضارة إذا مرت بمصر كان يسيرا  
أن يسعيها السودانيون بسبب هذه الاواصر . فأما إذا حالتها إلى  
السودان عاصر أخرى ولو كانت من أمم أعلى من مصر في الحضارة  
كعبا فإنها لا تتأقلم في السودان بثل السهولة التي تتأقلم بها حين  
تعملها العاصر المصرية . ولعل الاسباب التي أدت في الماضي إلى

عدم نجاح مصر في حمل هذا العبء الانساني في السودان أن الذين  
 كانوا يقومون برئاسة المصريين هناك كانوا من عنصر غير مصرية،  
 وأن المصريين الذين كانوا مرؤوسين هؤلاء كانوا من طرار محتاج  
 لأسباب الحصار فلا يستطيع أن يقدم لغيره . وعتقد اعتقاداً كيداً  
 أن مصر تستطيع أن تعاور السودان في هذا المضمار معاونة جديده اذا  
 وحده من المصريين ذوي المكنة والمقدرة من يتطوعون لهذا العمل  
 من غير أية فكرة سياسية بل يدفع النصارى بين الشعبين وتحت  
 تأثير الفكرة الانسانية السامية وحدها

اعلم أن اعتراضاً عملياً له قيمته يقف في هذا السبيل . ذلك  
 وجود الانكليز في السودان وقيامهم بالحكم فيه . وهو اعتراض صحيح  
 إذا كان الانكليز يريدون حكم السودان لمجرد الحكم والاستعمار .  
 وهذا مالا نعتقد . فلانكلية مصالح بريطانية يقتصونها من السودان  
 أهمها القطن الذي يربح فيه . ولعل المواصلات الامبراطورية بعض  
 هذه المصالح كذلك . لكن الانكليز لا مصلحة لهم في اعاقة تقدم  
 السودان ومحمديه . وكلما تقدمت الحصار في السودان وكان أهله  
 اقدر على الاستعادة من وسائل العلم كانوا أكثر اندفاعاً في سوق العالم  
 العامة من حوائجها المحتمة . ولا شك في هذا مصلحة في مصلحة .  
 وإن كانت الظروف السياسية قد قصت في الماضي أن تقف مصر  
 وانكلترا في السودان موقف الخصومة فاعتقد أن لانكليز والمصريين

قد أدركوا أنهم لا يدركون سوى تلك السياسة وعمق نتائجها بالنسبة لأكثريتها  
ولمصر وللشعوب جميعاً. فمن الحكمة - وهذه هي الحال - أن  
يقدرُوا وجوب اتجاه السياسة في المستقبل إلى غير ما كانت سياسة  
السودان إلى اليوم

وليس نظام الحكم في السودان هو مشكلة العويصة في رأيي.  
واعتقد أن من الممكن التقدم في هذه المسألة بين مصر وأكثريتها على  
أن تكون السودان ومصر متحدثين ببعضهما مثل نظام ل ( )  
فيكون لكل في المسائل الداخلية حرية التنظيم والتشريع وترتيبها  
جميعاً في المسائل الخارجية والمسائل العامة باتفاق مقررة قواعده.  
وليس المقام هنا مقام تحديد أو تفصيل لهذا الاتحاد قبل قبول مبدئه.  
فإذا قبل هذا المبدأ كان وضع التفصيل يسيراً. واحسب أن مثل  
هذا النظام في مرونه وقابليته للتحويل يستطيع أن يحقق غاية  
الاطراف المختلفة.

وقد ينكر إذا قبل مبدئ هذا الاتحاد أن يترك الطر في مصالح  
أكثريتها وأمتيرتها في السودان إلى حكومة السودان نفسها تحكمها في  
حدود المسائل المتروكة بموجب نظام لاتحاد لتصرفها.  
وبحسب إلى أن حلاً كهذا قد يكون من شأنه أن يحل مسألة  
معلقة لا فتة لأحد من تعليقاتها، وأن يحل إلى جانب ذلك مسائل  
كثيرة كمسروعات الري الكبرى وكتحضير السودان وما إلى ذلك

مما يفيد السودان ومصر على السواء من غير أن ينشأ عنه ضرر لآية  
مصلحة من المصالح .

وإذا كان مؤتمر لامبراطوريين البريطانيين قد قبل مبدأ مساواة  
المتساويات المستقيمة مع أكثرها وأن يكون رباطها جميعاً ولاها للتاج  
وذلك لمصلحة الامبراطورية البريطانية ولفائدة السلام في العالم ،  
فإن مثل هذه الفكرة لخرة فكرة الاتحاد بين مصر والسودان قد  
تسهل الوصول الى حل مسألة السودان حلاً موافقاً لمطلب مصر من  
غير مساس بالدول من المصالح فيها .

ولهذا الحل مزايا يعود أكثرها على السودان كما أن لمصر منها  
فائدة لا تنكر . وهو في نفس الوقت يكفل لامكثرتنا أن نحصل من  
السودان على المصالح والامتيازات التي ترمي الى تخصيصها من غير أن  
تضطر لحمل عبء المسؤوليات المستقلة التي تحملها اليوم فيه .

وقول مرأيا هذا الحل أنه يحقق ما يريد المصريون والسودانيون  
من وحدة القطرين ، من غير أن يحى ذلك على عزة أي منهما ، ومن  
غير أن يعوق تقدمه متاعاً بعوائده وعقائده واعتباراته اقومية الخاصة .  
وهو مع ذلك لا يحد من الاعتراض عليه ما يحد الاندماج التام بين  
القطرين . فالذين يريدون هذا الاندماج يبنونه على التدرج وعلى  
وحدة الجنس والعادات في مصر والسودان . وحصول الاندماج

ينكرون وحدة الجنس ويدعون أن السوديين غير لمصريين  
والى أن طوائف العرب في مصر وفي السودان لا تكون سود  
الشعب في أي من البلدين وإنما هي أقباط طائفة جاءت في عصور  
الفتح لاحتيرة . وهم ينكرون كذلك وحدة العادات ويذهبون الى  
أن تطور الحضارة في مصر عبر من عاداتها القديمة حتى نواش شيئاً  
من الوحدة كان موجوداً في مصريين عدت لمصريين والسودانيين  
فقد انقطع اليوم . وسواء أكان هذا الاعتراض صحيحاً أم لا فلو  
لا يعبر من العلاقات الطبيعية التي بين القطين والتي أشرت اليها  
من قبل . وهو لذلك ادعى أن هذا لا ينهض عائقاً في سبيل  
الاندماج فلا يمكن أن ينهض عائقاً في سبيل الوحدة

والاتحاد السوفيتي وأولايات الأمريكية المتحدة ليس بين  
أولايات التي يتكون منها أي من هذين الاتحادين مثل . بين مصر  
والسودان من جهة وعلاقة . ما تصل هذه الولايات روابط الصداقة  
الاحدية . فما ما سوى ذلك فيجب بين ولاية وولاية اختلافات .  
فسوفسر على صغرهما يتكلم أنهما ثلاث لغات مختلفة هي العربية  
واللامية والبطانية . ويدين أنهما بذات مختلفة . ولا تجمع بينهم لا  
طبيعة الادهم الحنية من ناحية ومصالح الدول المختلفة المحيطة بهم من  
نحية أخرى . وأولايات الأمريكية المتحدة تجمع من مختلف الامم  
واللغات والألوان . لكن رطة حوار والمصلحة تسمو فوق كل

اعتبار آخر وتجعل من لاتحاد لأمريكي قوة قومية وعملية منتظمة الضارب  
ثم ناعتراضاً آخر بقيمة جماعة من مصريين أنفسهم يجعل  
الاتحاد وسيلة صالحة ذلك أن نظام التمثيل والملايات قد رز من  
مصر و. تنق منه لا آثار لا قوة لها ولا سلطان وحل محله النظام  
الديمقراطي الصرف الذي يجعل الحياة الدستورية هي الحياة الوحيدة  
الصالحة كعدم للحكم في مصر. ومما في السودان فمصرين نظام التمثيل  
وأنه آلات هو النظام الأساسي لدى تقوم عليه لجنة السودانية .  
وأن كانت الظروف المعاصرة قد تدفع السودان كما دفعت  
مصر نحو النظام الديمقراطي فإن هذا التطور بحاجة إلى زمن غير قليل .  
والى أن يقتضي الزمن الإبقاء لتمام هذا التطور فمن العسير بل من  
المتعسر . إحصاء السودان لا يصح أن يخصص مصر ليوم له .  
وتمت اعتبار آخر بحسبنا فصل نظام لاتحاد بين مصر والسودان  
على نظام لا يسمح ذلك أن مصر متهمة في سياستها راء السودان  
بأنها سياسة استعمارية لا سياسة تحريرية . وهذه تهمة ترونها أسرة  
السود كما روحت من قبل تهمة حرص مصر على الاستئثار بنياء الدين .  
ولا تكفي هذه الأسس بأنهم مصريين يميل الاستعمار بل تذكر  
السودانيين . أيام قديمة كان عوب حاكم مصر في السودان يسكنون  
مسكن العسك والاستبداد ويعتبرون هذا المسكن نظاماً لحكم  
المصريين . ومع بطلان هذه التهمة أمام التاريخ ولحق لأن هؤلاء

الاساسي  
سكانه  
والرحا

الدين  
معرون  
ست في  
ودن  
نصر  
ودان  
والتي  
ص

نصر  
عدد  
ات  
ت  
ها  
ي



الولاية الذين كانوا يفتدوا الى السودان لم يكونوا مصريين وء كانوا  
من حسن الحكام الذين يحكمون مصر نفسها ، فانا نعتقد أن المصريين  
أحرص من أن يهتموا الميل للاستعمار وانهم يريدون السودان التقدم  
الحقيقي نحو الحرية . وذلك يتحقق تماما تحت نظام الاتحاد . ويومئذ  
يكون المصريون الذين يذهبون للخدمة في السودان إما يذهبون  
دافع محبة السودان والحرص على رقيه لا بدافع استعمار وحكمه .  
ويومئذ يجد السودانيون الوسيلة لبرقي وتحقيق كل ما في العزة القومية  
ولهذا الحل مرييا يعود اكثرها على السودانيين أنفسهم . فهو  
يطعن جميع المصريين تمام الطمأنينة على مشروعات لري الكبرى  
ويزيين من نفوسهم كل خوف من أن تكون هذه المشروعات يوما  
من الأيام وسيلة لا كراهية على قلوب ما لا يقبله احتياراً أو سماً  
لارغام عرتهم وادلالهم . ويومئذ تنسج الاراضي المصرية القالة  
للاستغلال وتصنف في نفوس المصريين فكرة المحنة الى زمن طويل  
مقبل . وإذا كانت النفس الاساية غير مواءة بالانفل لا بدافع  
المصلحة وكان لا كثرون لا ينظرون الا لمصالحهم الخاصة القريبة  
فان المصريين الذين يذهبون في هذه الظروف الى السودان  
سيذهبون فحركهم عواطف اساية سامية تريد أن تأن صلة لحصارة  
بين السودان وكافة مواطني الحصارة التي يتعذر انتقالها الى  
السودان عن طريق غير مصر كما سبق القول . وما شك في أن

هؤلاء سيعاونون على سرعة رقي السودان في مضمار التقدم الانساني ما دامت ادوات الحصار المادية تشاد فيه فتعاون على تزايد سكانه وعلى اخذ اسائه بنصيب في المعارف اللامعة لريادة لرعد ولرخاء في ارجائه .

ونعتقد ان السودانيين يشعرون بشعور ما هذا ، وأن الانكباب الذين أقاموا بالسودان منذافتحه وتعاونوا مع المصريين في تنظيمه يشعرون بهذا الشعور كذلك . ومهما كانت احداث السياسة قد دعت في بعض الظروف الى اعلان سيئات عن المصريين واعمالهم في السودان فالحقيقة التي لا ريب فيها أن المصريين كانوا دائما اشد العناصر صلة بالسودانيين واكثرها عطفاً عليهم . وثمنهم لم يكونوا في السودان تحريكهم عاطفة الاديبة التي تحرك غيرهم من الدلائل اليوم فيه ، والتي تدفع هؤلاء الى أن يقتصروا حصرهم على المصلحة الشخصية والحرص على اقتناء الثروة .

وهذا الحل ادنى الى المصلحة البريطانية من نظام السودان الحاضر . فهو حل يرضى عيرة السودانيين وينفق وكرامتهم القومية . وهو لذلك بعد السودان عن اسباب القلق التي تكلف الحكومة البريطانية مسؤوليات الامن والنظام في السودان وما يترتب على هذه المسؤوليات من نفقات يحتملها دافع الضرائب الانكليزي من غير أن يكون لاحتماله إياها ضرورة ملجئة . ثم هو حل يتفق وتطور العالم في سبيل النصارى السعى

المنتج لخير الجميع . ولذي اصح يحل دويد محل اقوة ولا كراه  
والاستم . وهو من جهة شدة اقرار مصمم من لا يتدق مع ما تريده  
انكثرا من تقدم ردة انقط في السودان ومن نخاع مشروع الحزيرة  
نجاحاً هراً . وهو فوق ذلك يعين على هذا المصح ويحمله قرب  
مالا وقل بعت يظوع امصريين من الاخذ فيه يد السودانين  
ومعاونتهم اياهم معونة هي لا شك خير وحدي من معاونة الغلات  
وغير الغلات من المزارعين الطائين . واتن كل المصريين قد ترددو  
في هذه المعونة لما دعتهم انكثرا لها من طريق شركة الحزيرة في سنة  
١٩١٣ . فذلك لان ظروف السياسة كانت يومئذ مبعثاً للخوف وتق .  
بما قرار نظام كنظام الاتحاد بين مصر والسودان وما يترتب على  
هذا النظام من الطائفة لغوس المصريين يريل كل اسباب  
الخوف والقلق .

وتمت اعتبار آخر لا يمكن ان يميب عن فظة السياسة البريطانية  
وعد طرها . ذلك ان سواد المصريين لا يمكن ان يهدأ لهم بل اذا  
روا السودان منفصلاً عنهم . وهم سيد كرون دائماً كهم . يرهم شريف  
ماشاء : « اذا تركنا السودان والسودان ان يترك » ، وكية المستشر  
الانكليزي لوزارة الاشغال المصرية « السودان ائزم لمصر من  
الاسكدرية » . واذا صح ان مرت فترات من لوقت هدأت فيها  
عوصف السياسة لسبب من لامبب واضطر مصريون الرصي عن

حالفه مو - لعدم ملائمة الوقت لأن امة طاهرين منهم قد شمت  
 طرهم - ولوا من لمصوب والجاء واصبح لا يسمونه ولدويهم من هذه  
 الفترات لا يمكن ان تدوم في حياه لانيه مدمت . يدعوا الى برع  
 الامور فيها . كذلك لا يمكن ان يعيب عن فعلة السياسة البريطانية  
 وبعد نظرها ان السودان ومصر يشتر فصلان عن راطة النيل الطبيعية  
 راطة الامة والمقيدة والجوار . وعده روط لا وجود لها عندني من  
 الدول لاخرى امسحة للسودان وطسمي مع تقدم برقي والحظرة  
 في السودان ان تردد عقدة هذه روط ممتدة من يصر السودان  
 لمصر بمثل العطف الذي تضر مصره للسودان . وومثلا يترك  
 السودان مصر اذ هي تركته ولا يمكن ان يعيب عن فعلة السياسة  
 البريطانية وبعد نظرها خيرا ان فترت التقي اصبح اعترت بشعودة  
 السياسية واعدها عن ان تكون اعترف ملائمة للانه قد لودي لمقول .  
 وذا كان ذلك كما صحيحا كان الوقت الحاضر اسبب الاوقات  
 للمكبر في اتحاد مصر والسودان على المدى السابق ذكرها . ذلك  
 انه وقت سكبية وهدوء . فكل الفرق يتم فيه يتم عد روية وتمكبر  
 ويكون مبعثا عن عتد صحيح مصلاحه .

ولقد اكدت لي فمقي القصيرة بالسودان صحة هذا لربي  
 الذي عرضت . فكما ان السودانين بحاجة الى ان يقوموا بالعمل  
 لتطور نظمهم الحاضرة في تحه رتق وسيرة العاة الحاضرة - هذه

السيرة التي لا مفر من وصولها الى اتحاد مشبهة كبيرة بين نظم الحكم في مختلف دول العالم بسبب ما تقرب المواصفات الدول بعضها من بعض - فهم بحاجة في هذا السبيل الى معونة صادقة مخلصه ليست لها أية عاية سياسية . وإذا كان وجود الانكليز للاشراف على تقديم زراعة القطن في سهل الجزيرة من شأنه أن يعطيهم في ذلك مثلاً صالحاً فإن الفارق بينهم وبين الانكليز في اللغة والحس والعادات والدين يحولهم بحجة الى المصري القريب منهم في ذلك كله والذي درس الانكليز عن قرب ، والذي لا يرحو بعد وضع قواعد الاتحاد بين مصر والسودان ، الآن يهد السبيل لبقاء هذا الاتحاد وثيقاً متيناً بعيداً عن العثرات والصعوبات .

ومل هذا الرأي يروق الاطراف المختلفة ذوات المصلحة فيه ، ومل الطبعة الثانية لهذا الكتاب - اذا قدر له أن يطلع طبعة ثانية - تضع في جانب هذا الفصل الاخير من فصوله صورة الاتفاق الذي يتم تأييداً لهذا الرأي



## خاتمة

ارحون أن اكون قد وفقت في الصحف النبيلة التي يحتويها هذا الكتاب الى نقل صورة صحيحة مما رأيت أثناء العشرة الايام التي قصيت في السودان، كما ارجو أن تكون الآراء التي سحنت في مختلف الشؤون متفقة ومثلية الرغائب الانسانية السامية التي جاهدت الدعوة الى تحقيقها غير متضرر بأي هوى من أهواء السياسة . ولهذا المناسبة أرى واحداً علي أن اصرح أن هذه الآراء شخصية بحتة لا تعبر إلا عما جل بحطري كفرد من افراد المصريين . فهي لا تعبر عن وجهة نظر جماعة من الجماعات أو حزب من الاحزاب . بل هي قد تأتي من كثيرين في مصر وفي السودان وفي انكلترا معارضة شديدة، كما ارجو أن تأتي من كثيرين كذلك في مصر وفي السودان وفي انكلترا تعضيداً له وتأييداً ولما دفعني الى ابدائها بالصراحة التي أديتها بها حرصي على تقديم السودان ورفاهيته وعلى طمأنينة مصر ومصالح انكلترا وسلام العالم ، وعلى الحق الذي يجب أن يكون له السودان دائماً في النهاية .

وكت ارجو أن يظهر هذا الكتاب من أشهر ما ضيه . فقد بدى في طبعه في شهر مارس سنة ١٩٢٦ . لكن ظروفًا طرأت على

مند شهر بریل حالت می و بین الاستمرار في كتابة الفصول اللاحقة  
لفصل ثم درمن . ولم تمكن من العود لتحرير سائر الفصول وتقديم  
للطبع لا منذ نوفمبر مني  
ومذ نوفمبر تركت على من شؤون الخبيرة ما جمالي سير مطا  
شديد . على أن هذا الخطأ كانت له مرياً لأنة في تقدير الوقائع  
والآراء . وذلك ما بحملي غير كاف عليه

التهرة في ٣٠ يناير سنة ١٩٣١

# فهرس

صفحة	
٣	اهداء الكتاب
٥	مقدمة
١٣	من مصر الى الخرطوم
٤٣	الخرطوم للشرطة الأولى
٥٨	عيد الملك أو يوم الملك
٦٩	حكومة السودان في الخرطوم
٨٥	يوم نأم درمان
١٠٠	حفلة افتتاح خزان سنار
١٢٣	العودة الى الخرطوم - عند مخيم قحان السودان في بركات
١٣٩	خران سنار ومشروع ري الخريرة
١٦٣	يوم في حل الاولياء - مشروعات نزي الكبرى
١٨٧	عشية الأوبة - يوم بحلها وشلال حه
٢٠٢	مصر والسودان
٢٠٧	خاتمة



★

## مطبوعات المطبعة المصرية بمصر

٧٠	القاموس المصري عربي وانكليزي تأليف الياس انطون الياس
٥	» » » » انكليزي وعربي
٣٠	قاموس الحبيب عربي وانكليزي
١٥	» » » » انكليزي وعربي
٣٠	» » » » وبالعكس
٥٠	» » » » لمدرسى
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية
١٣	الهدية السنية » » » » والعربية
١	قاموس عربي وانكليزي (باللفظ) تأليف سقراط سبيرو
١٠	القصص المصرية (٨٠ قصة مصورة) ترجمة توفيق عبد الله
٣	بول دي سوييف الفاجرة » » » »
١٠	رواية تايبس مصوره (لانتول فرانس) ترجمة احمد الصاوي محمد
١٥	» » » » ( » » » » )
١	التربية الاجتماعية تأليف علي فكري

• تطبع هذه الكتب من كل المكاتب في مصر واسودان والسودان  
وسوريا والعراق ، او ما رأساً بالعنوان الاتي : —  
الياس انطون الياس — صاحب لمطبعة المصرية — بالمحلة (مندوق البريد  
رقم ٩٥٤)

٥	خواطر حمار ( مصور للاولاد و لرجال ) ترجمة حسين الجمل
١٠	مسارح لأذهان ( ٣٥ قصة كبيرة مصورة ) تأليف خليل بيدس
١٠	الحضارة المصرية القديمة ( لغوستاف لوبون ) ترجمة صادق رستم
٨	مقدمة الحضارات الاولى « « « « «
٢	المرأة وفلسفة التناسليات ( مصور ) تأليف الدكتور فخري
٢٥	« « « « « مجلد قماش
٣	الامراض التناسلية وعلاجها وطرق الوقاية منها « «
١٠	رسائل عرام جديدة ( مزين مصور ) تأليف سليم عبد الاحد
١٠	الغريبال ، بقلم مخايل نعيمه عضو الرابطة القسمة مريكا
٢٥	علم الاجتماع ( الجزء الاول في حياة الهيئة لاجتماعية ) تأليف
٢٥	« « ( الجزء الثاني في تطور الهيئة لاجتماعية ) نقولا حداد
١٠	حصاد الهشيم ( مصور ) تأليف الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
١٠	مختارات سلامة موسى ( تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير )
١٠	نظرية التطور واصل الانسان تأليف الاستاذ سلامة موسى
١٥	أسرار الحياة الروحية ترجمة نقولا حداد
١٥	الحب والزواج تأليف « «
١٥	في أوقات الفراغ تأليف الدكتور محمد حسين هيكل بك
٣	كتاب الحقوق الوطنية تأليف فرنسيس مخايل
٢٠	روح الاشتراكية تأليف غوستاف لوبون وترجمة محمد دل زعيتر

- ١٠ - آراء المعتقادات تأليف عونت فلو بون وترجمة محمد عدل رعيتر
- ٨ - رواية الانتقام العذب ترجمة اسعد خليل د غره
- ١٠ - قصة لمهدي، أو سعادة السودان (شرت تبعا في لاهرام)
- ٢٠ - رواية رديان (٣ احراء كبيرة) ترجمة طانيوس عبد
- ٣٠ - » لاميرة فوست (حران كبيران) » » »
- ١٦ - » كايثن (حران كبيرن) » » »
- ١٠ - » فارس الله » » »
- ١٦ - » الساحر العظيم » » »
- ٥ - » روكامول (عن احراء الوحد) » » »
- ١٥ - » فوسيرج (حران كبرن) » » »
- ٦ - » النفس الحائرة، تأليف فريد هادي حيش
- ١٥ - لديا في اميركا تأليف لاستاذ امير بقطر
- ١٢ - المراحمت تأليف لاستاذ عباس محمود العقاد
- ٢٥-٣٠ - اتول فرانس في مبادله، تأليف سعادة لاميرنكي ارسلان
- ٢٠ - ملقي السيل في مذهب النشوء ولارثة، تأليف اسماعيل مظهر
- ٨ - التعميم و لصحة تأليف الدكتور محمد بك عبد الحميد
- ١٠ - سريرة الحديث وكيف نسوسهم بقلم لاستاذ عبد الله حسين
- ٥ - مركز سريرة ترجمة الاستاذ سيم عتد
- ١٠ - عشرة أيام في السودان، تأليف الدكتور محمد حسين هيكل بك

# في اوقات الفراغ

نائب الكاتب الكبير

الدكتور محمد بك حسين هبيل

مدير جريدة الديار

مجموعة مقالات مختارة من كتبه هذا العالم الكبير

عن اناطول فرانس وبييرلوني وقاسم أمين وحورحي زبدان  
وغبرهم. ثم رسائل خاصة بمصر، منها خلاصة كتاب مسند كارتو  
من قبر توت عنخ امون، وقصصاً وأحاديث، كأييس وسميراميس  
وخالده، وغير ذلك مما يضيق بنا المقام عن الاسماء في شرحه  
من النسخة ١٥ قرشاً واجرة البريد ٣ فروش

مختارات

## سلامة موسى

ليس بين كتاب مصر الآن من هو أصرح برأيه وأجهره  
من الأستاذ سلامة موسى الذي يعرفه جميع قراء الصحف والمجلات  
فهو كثيراً ما يفتحهم المبادئ التي تخشى اقتحامها الملائكة، لا يبالى

أن يصرح برأيه في الدين وفي الاشتراكية وفي المرأة ، وفي مثل  
هذه الشئون الاجتماعية ، غير متعمد في كل ما يكتبه . ظهر برعة  
أو التباهي بمهارة ، وإنما عيته التي لا يحيد عنه هي فائدة القارى .  
ولست هذه بالميزة القليلة القيمة في وقت يرى فيه عدداً غير قليل  
من كتابنا لا ينبغي من وراء كنهه لأن يقول عنه الناس كما يقولون  
عن البهلوان « ما أبرعه ! » في حين كان يجب أن يقولوا « ما أنفعه » .  
ولسنا نشك في أننا نخدم جميع قراء العربية بجميع هذه المقالات  
النفيسة ، وغيرها مما لم ينشر للآن ، حتى يتيسر للحبل الجديد  
قراءتها والانتفاع بها دون أن يحتاج إلى الكد في البحث عنها في  
متفرق المجلات والصحف — ثمة ١٠ فروش مصرية

---

## فروض الاسود رواية غرامية تاريخية

بقلم الكاتب الروائي الاشتهر المرحوم

طانيوس عبده



AUC - LIBRARY



DATE DUE

23 DEC 1996

A. U. C.

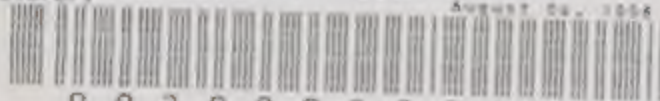
2 - APR 2002

1974

APR

The American University in Cairo  
Library

August 28, 1954



00300039623







